جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا
قسم اللغة العربية

عليه ٢٠
صفحة ١
عدد ٤
٥٧
٢٠٠٨/٥

الجنة في القرآن

دراسة في البناء اللغوي والأسلوب البلاغي

إعداد
خليل عبد القادر قطناني
بإشراف
الأستاذ الدكتور يحيى عبد الرؤوف جبر

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

فلسطين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

.....
.....

ملاحظات : ١- اذا نجح الطالب في المناقشة بدون اجراء التعديلات، عليه تسليم عدد (١٦) نسخة من الأطروحة مع هذا التقرير .

٢- اذا كان هناك تعديلات مطلوبة على الأطروحة، تعرض النسخة المعدلة مرة أخرى على لجنة المناقشة لاتخاذ القرار النهائي (ناجح أو راسب)، وذلك على النموذج الخاص الصادر عن عمادة كلية الدراسات العليا (استمارة رقم دع - ٣/ د) .

فهرس المحتويات

الإهـــــــداء .....

شكر وعرفان .....

مقدمة ..... أ – ج

التمهيد : مشاهد الجنة في القرآن ومضامينها ١– ١٦

- الصورة المحسّه لنعيم الجنة ٣
- الصورة المعنوية لنعيم الجنة ٨
- الأغراض والمضامين ١٢

الفصل الأول جماليات التشكيل الصوتي ١٧– ٥٠

- جمال الفاصلة القرآنية ٢١
- القيم التعبيرية للأصوات ٣٦
- المقاطع الصوتية ٤٥

الفصل الثاني : تجلّي الظاهرة الأسلوبية في نصوص الجنة..... ٥١– ١٧٦

١– بناء الجملة القرآنية في نصوص الجنة

- أسلوب التنكير ٥٢
- أسلوب التعريف ٥٦
- بلاغة الحذف ٧٥
- سياقات التقديم والتأخير ٩٠
- بلاغة الخطاب بين الاسم والفعل ٩٧
- أسلوب التأكيد ١١٢
- أسلوب التكـــرار ١٢٠

- نظام الربط بين الجمل (الوصل والفصل) ١٢٦

٢– بناء الجملة الطلبية في نصوص الجنة ١٣٧

- أسلوب الاستفهام ١٣٧
- أسلوب الأمر ١٤٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات ،والصلاة والسلام على سيد الكائنات ، محمد – صلى الله عليه وسلم – الذي أرسله الله تعالى بأعظم المعجزات ، فحوى أصناف العلوم والخيرات ، وعلى آله وصحبه النجوم الزاهرات وبعد :

فإن القرآن يبقى المعين الذي يستقي منه اللغويون والأدباء أفكارهم وأساليبهم باعتباره المرجع الأساس للغة العربية .

ومن هذا المنطلق يممّ اللغويون أقلامهم تجاه هذا الكتاب العزيز ، يفسرونه ويقعّدون من خلاله القواعد ، ويرسون الأسس على المستويات اللغوية عامة (الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية) .

وقد وجدت في القرآن ضالتي التي كنت أبحث ، ورأيت فيه محورا لدراستي ؛ ذلك أن لغة القرآن جديرة بالبحث ، يستسهل الدارس في سبيلها الصعب أو يدرك المنى.

وهذا بحث يتناول موضوعا أساسا من موضوعات القرآن وهو الجنة التي أعدّها الله لعباده المتقين في الآخرة جزاءً وعطاء .

وقد تناول البحث هذا الموضوع من زوايا لغوية وبلاغية رغبة في إبراز الجوانب الفكرية والجمالية لنصوص الجنة في القرآن .

وتجدر الإشارة إلى أن الجنة المقصودة دراستها في البحث هي جنة الخلد الباقية في الآخرة ، وليس جنة الدنيا ؛ ذلك لأن القرآن خاطب العرب بما تعارفوه في بيئاتهم المختلفة ، ولهذا تعد جنة الآخرة جامعة لكل الصور والأوصاف لجنة الدنيا؛ ولأنه ليس في جنة الخلد من جنة الدنيا إلا الأسماء .

كما أن الجنة المدروسة ليست الجنة التي أُسكنها آدم وزوجه عليهما السلام؛ لاعتقادنا بأنها ليست جنة الخلد ، فليس في الجنة منع ومعصية وخروج .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أهمية البحث

تبرز أهمية البحث من حيث إنه يبين أثر الدراسات البلاغية في الكشف عن أسلوب القرآن الفريد في تقديم المعنى ، والتأثير في المتلقّي . الأمر الذي يحتم على الباحث السعي الجادّ ، والحرص في التأويل ، ولعل موضوع الجنة في القرآن الكريم كان من أبرز الموضوعات التي ألح القرآن عليها خلف كل قضية تثار ، أو حكم يقرر أو عمل يرجى من ورائه الخير ، بوصفها – أي الجنة – طريق الترغيب والتشويق ، ولعل هذا المثير يحتاج إلى أسلوب لغوي ممتاز يحقق الهدف منه ، وهذا ما أخذه البحث على عاتقه ، وتكفل بكشفه مستلهما من الله التوفيق . ويبدو لي أن الطريقة التي تناولها البحث في معالجة موضوع الجنة ، طريقة جديدة في الدرس من حيث إنها تدرس الجنة بقطع النظر عن الجزء أو السورة التي جاءت فيها مع مراعاة الوحدة الموضوعية للسورة ، والجو الفكري والنفسي لها .

الدراسات السابقة :

يعثر الدارس من خلال قراءاته على هوامش متفرقة تتصل بموضوع البحث ومن هذه الكتب التي عالجت جانبا أو جوانب مختلفة من حيثيات الرسالة كتاب المشاهد في القرآن الكريم – للدكتور حامد قنيبي ، ولا شك في أن المؤلف قد تناول بالتحليل كثيرا من مشاهد القرآن الكونية والقصصية والغيبية ، والملاحظ على هذا الجهد المبارك أن الكاتب – جزاه الله خيرا – لم يوف أيا من المشاهد حقا وكانت دراسته لها برقا ، قطف من كل بستان زهرة ، ولم يتوقف ليشتم أريج كل الأزهار . وكتاب آخر أويت إلى كنفه ، فزادني من شرفه كتاب (مشاهد القيامة في القرآن) للمفكر الشهيد سيد قطب – رحمه الله تعالى – فلقد ألح علي بطريقة ما أن أركب عباب البحث ،وأوجه الشراع ، ولقد أفدت من هذا الكتاب لغته الظلالية ، وعباراته الإيحائية ، وطريقته في دراسة المشهد القرآني فجزاه ا لله كل خير . ومن الكتب التي عالجت ألفاظ الجنة كتاب (التطور الدلالي بين لغة القرآن ولغة الشعر) للدكتور عودة أبو عودة . وكذلك كتاب (لغة القرآن في جزء عم) للأستاذ محمود نحلة ، وقد أفدت من منهجهما في معالجة الألفاظ القرآنية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غير أنني لم أجد كتابا مستقلا يدرس موضوع الجنة كما تناوله هذا البحث ، وأرجو أن أكون قد أضفت أشياء جديدة سواء أكان ذلك في المعلومات أم في الطريقة ،وأطمح أن أقدم تصورا عميقا لجنة القرآن من زوايا لغوية وبلاغية ، اخترتها بعناية لأكشف من خلالها عن الملامح التمييزية للأسلوب القرآني في التعبير عن هذا الموضوع . وأثر هذا الأسلوب في تحقيق أهداف القرآن الفكرية .

المنهج :

يفترض الباحث لعمله منهجا يسير عليه ، وقد جعلته في أكثره منهجا وصفيا تحليليا ، ودراسة تطبيقية في النظم الأسلوبي ، إلى جانب المنهج التاريخي للألفاظ .

خطة البحث :

جاء البحث في تكوينه محتويا على تمهيد وأربعة فصول وخاتمة .

وقد عالجت في التمهيد : البناء الفكري لمشاهد الجنة في القرآن من حيث الصورة الحسية للنعيم التي تلبي حاجة الجسد للمؤمنين كالطعام والشراب والنساء . والصورة المعنوية التي تشي بالراحة النفسية والشعورية لأهل الجنة كالرضا والاطمئنان ،ثم تحدثت عن أبرز المضامين والأغراض التي ربط القرآن تحقيقها وجزاءها بالجنة وقد شملت جوانب التشريع كلها من عقائد ومعاملات وعبادات .

ثم صدرت البحث بالفصل الأول وتناولت فيه الجانب الصوتي ، عالجت فيه بعض التشكلات الصوتية كنظام الفاصلة القرآنية ، والقيم التعبيرية التي تحملها الأصوات على مستوى الصوت المفرد أو اللفظ المفرد، وحاولت أن أطبق نظام المقاطع الصوتية على بعض نصوص الجنة بهدف الكشف عن جماليات الإيقاع الصوتي في هذه النصوص وأثره في تشكيل المعنى والدلالة .

ثم أردفت الفصل الأول بالثاني الذي حمل عنوان (تجلي الظاهرة الأسلوبية في نصوص الجنة) ، وقدمت لهذا الفصل بمقدمة بينت فيها أهمية النظم البلاغي . ووضحت مفهوم الظاهرة الأسلوبية ثم قمت بتقسيم الفصل إلى أقسام ثلاثة :

تحدثت في الأول عن بناء الجملة القرآنية بحسب المعطيات اللغوية التي تشكل ظواهر تعبيرية متعددة كالتنكير ، والتعريف ،والحذف، والتقديم والتأخير ، والخطاب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالجملة الاسمية والفعلية ، والتأكيد ، والتكرار ثم أسلوب الفصل والوصل بين الجمل ، ولقد تبين لنا من خلالها روائع الأسلوب القرآني وبدائعه ولطائفه في إثبات المعنى وترسيخ المضمون .

وتحدثت في القسم الثاني عن بناء الجملة الطلبية ، وقد برز من بين أساليبها المتعددة أسلوبا الاستفهام والأمر اللذان خرجا عن أصل وضعهما النحوي إلى أغراض أسلوبية عميقة .

ثم بينت في القسم الثالث بعض الظواهر الفنية التي تمثل خصائص المشهد القرآني في وصف الجنة وهي ظواهر لا يمكن إدراجها تحت عنوان الظاهرة الأسلوبية ، فجعلتها في قسم خاص وسمته بـ (ظواهر فنية أخرى) تناولت فيه عنصر التصوير الذي يمثل رسم المشهد بالكلمات بكل الأبعاد والظلال والزوايا . وعنصر المقابلة مع أهل النار كي يظهر التمايز الحقيقي بين الصنفين ، ويظهر البون بين الفريقين ، وعنصر الحوار الذي برز في مشاهد الجنة مع أطراف متعددة ، وكشف عن نفسية كل طرف .

ثم عززت الفصل الثاني بالثالث وعالجت فيه ألفاظ الجنة وقضاياها اللغوية من زوايا ثلاث : تمثلت الزاوية الأولى بمعالجة الألفاظ الغريبة ، شرحت فيها معنى الغريب وأسبابه ، وبلاغة استعماله، وبعض الألفاظ التي اتفق على غرابتها .

وتمثلت الزاوية الثانية بدراسة الألفاظ الدخيلة حيث شرحت فيها معنى الدخيل كاصطلاح لغوي ، وبينت حكمة وقوعه في القرآن ، ورصدت الألفاظ الدخيلة في نصوص الجنة وعالجتها محاولا ترجيح رأي يردها إلى أصلها الأعجمي .

بينما حملت الزاوية الثالثة عنوان إيهام الترادف، وهذه زاوية أعتز بها من حيث أنني أظهرت الفروق الدلالية بين الألفاظ القرآنية ، وأثبت أن لا ترادف في القرآن بالحجة والبرهان ، وقد حاولت أن أحوم حول الفروق ولا أقع فيها خوف الزلل والشطط في التأويل .

وبعد هذا التطواف أثبت في خاتمة البحث أهم النتائج التي توصلت إليها ، حيث تركزت حول ماهيات الأسلوب البلاغي في نصوص الجنة وكانت معظمها- فيما أظن — جديدة تمس شغاف الموضوع المطروح

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر والمراجع : -

لا شك في أن البحث قد اتكأ على مصادر ومراجع كثيرة كان أهمها كتب التفاسير المختلفة، ومؤلفات اللغة ،والبلاغة- قديمها وحديثها- حيث ساندت البحث طوال مسيرته حتى بلغ .

شكر وتقدير :

أجدني مدفوعا برغبة إلى تقديم الشكر الجزيل، والعرفان الأثيل لأستاذي الدكتور يحيى عبد الرؤوف جبر الذي تابعني في كتابة هذا البحث ، وتفضل بالإشراف علي متحملا أعباء كثيرة ، فجزاه الله عني خيرا .

ولعله يحسن أن أختم هذه المقدمة بالبوح عن نيتي المسبّقة ، فلقد كنت مصمما منذ البداية أن يكون بحثي حائما في دائرة القرآن العظيم ، إرضاء لله تعالى، وخدمة متواضعة لهذا الكتاب المعجز ، وتيمنا بقول الشاعر :

وما من كاتب إلا سيفنى ويبقي الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بكفك غير شيءٍ يسرُّك في القيامة أن تراه .

ومن هذا المنطلق أقدم هذه الرسالة بين يدي حسابي عند لقاء ربي علّها تشفع .

وأرجو أن أكون قد زودت المكتبة القرآنية ببحث يأخذ مكانه المتواضع بين رفوفها الزاخرة .

والله أسأل أن يلهمني الإخلاص في الجهد ، وأن يصفح عن زلل القلم .

إنه سميع مجيب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التمهيد

مشاهد الجنة في القرآن ومضامينها

- الصورة المحسّة لنعيم الجنة
- الصورة المعنوية لنعيم الجنة
- الأغراض والمضامين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مدخـــل

من المناسب – قبل تفصيل الحديث في هذا الجزء من الرســـالة – أن أوضّـح بعض جوانب العنوان ، ففيما يتعلّق بالمعنى اللغوي لكلمة (مشهـد) ، يـدلّ الأصـل (ش.هــ.د) في المعاجم العربية على الإخبار والحضور والمعاينة والإقرار واجتمـاع الناس[١] .

وقد ورد في الكتاب العزيز لهذه الدلالات جميعها ، فمن معنى الإخبـــار قولـه تعالى : { وما شَهِدنا إلاّ بِما علِمنا }[٢]، ومن معنى الحضور قوله تعالى : { إنّ قُـرآنَ الفجرِ كان مَشهوداً }[٣]، ومن المعاينة قوله تعالـــى : { أشَهـــدوا خَلقَـهم سَـتُكتب شَهادتُهم ويُسْألون }[٤]، ومن الإقرار قوله عز وجلّ : { وشَهِدوا على أنفسِهم أنّهم كانوا كافرين }[٥] ، أما دلالة اجتماع الناس فيمكن أن نلمسها في قوله تعالى في مجال ذكـر مناسك الحج : { ليشهدوا منافع لهم }[٦]، فمَشـاهده – أي الحـج – هـي " مواطنـه الشريفة التي تحضرها الملائكة والأبرار من الناس "[٧].

وقد اشتملت مشاهد الجنة على هذه الدلالات أيضاً ؛ فهي تبتدئ بالإخبـار عـن مصير المؤمنين ، ويعاين المؤمنون هذا المصير بأنفسهم بعد انقضاء حسابهم ، ومن ثم يقرون بأنّ هذا هو الوعد الحق : { الحمد لله الذي صَدَقنا وَعدَه }[٨]، وهنـاك يجتمـع المؤمنون في مجالسهم ومحاضرهم يتسامرون ويتذاكرون أحوالهم وأحوال أهل النار .

أما دلالة المشهد في الأدب المسرحي فتعني : عرض جزء من المسرحية أمـام الجمهور في مكان وزمان محدّدين ، ويتسم المشهد هذا بالحركة والحوار والصـراع ،

١- ينظر ابن منظور ، جمال الدين محمد ، لسان العرب ،مادة شهد . وينظر ، ابن فارس ، أحمد ، المقاييس .

٢- يوسف ، ٨١.

٣- الإسراء ، ٧٨.

٤- الزخرف ، ١٩.

٥- الاعراف ، ٣٧.

٦- الحج ، ٢٨.

٧- الراغب الأصفهاني ،الحسين بن محمد ، مفردات ألفاظ القرآن ، مادة شهد.

٨- الزمر ، ٧٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتحقق بعض عناصر هذا المفهوم في مشاهد الجنة ، غير أننا نفتقدها في مواضع أخرى لفائدة مرجوّة ، كما سيتضح .

و (الْجَنّة) من الكلمات الإسلامية التي تطورت دلالتها بعد نزول القرآن الكريم وكانت تعني قبل ذلك : " البستان الذي سترت أشجاره أرضه ، وكل شيء ستر شيئا فقد أجنه ، ومن ذلك الجنة والجَنة والجن والمجِن والجنين "[1]، وقد وردت بهذا المعنى في أشعار الجاهليين كقول زهير بن أبى سلمى : [2]

كأن عينيَّ في غربَيْ مقتّلـــةٍ من النواضح تسقي جَنّةً سحُقا

وقد أصبحت الدلالة الجديدة للجنة تعني دار الثواب التي أعدها الله لعباده المتقين " إمّا تشبيها بالجنة في الأرض- وإن كان بينهما بون -، وإمّا لستره نعمها عنا المشار إليها بقوله تعالى : { فلا تَعلمُ نفسٌ ما أُخفيَ لهم من قُرة أعين }"[3].

" وقد ورد لفظ الجنة في القرآن الكريم للمعنيين كليهما : الجنة دار الثواب ، والجنة البستان . غير أن ورودها فيه للمعنى الثاني قليل ، الأمر الذي قل بسببه استخدامها له في العربية من بعد ، اكتفاءً به مصغراً (الجنيْنة)، أما استخدامها للمعنى الأول فكثير جداً حيث وردت أكثر من ست عشرة ومائة مرة في خمسين سورة "[4].

ولا ريب في أن دراسة مشاهد الجنة وإيضاح خصائص كل مشهد وما يدل عليه من الأهمية بحيث يقدم للقارئ صورة جلية عنها ، فيستحضر جوّها ويعيش معها ، كما أنّ دراسة هذه المشاهد تمهد للدراسة الأسلوبية التي هي أُمّ هذه الرسالة ، إذ كيف يفهم القارئ الأسلوب اللغوي للقرآن في رسم هذه المشاهد دون أن يكون قد ألـمّ بها مُسبقاً ؟! وبذا يُعدّ هذا التمهيد جزءاً مُهمّاً من هذا البحث بكل محتوياته .

١- الأندلسي ، أبو حيان ، تفسير البحر المحيط ، ١ / ٢٥١.

٢- ابن أبي سلمى ، زهير ، الديوان ، ص٥٩.

٣- الراغب ، مفردات ألفاظ القرآن ، مادة جنن.

٤- جبر ، يحيى عبد الرؤوف ، ألفاظ البيئة الطبيعية في القرآن الكريم ، ص٥،٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خلق الله تعالى الإنسان من مكوّنين أساسين : قبضة من طين ، وهذه تمثل الجانب المادي في الإنسان ، ونفحة من روح ، وهي تمثل الجانب الروحي فيه ، ولكل جانب حاجته ؛ فالجسد بحاجة إلى ما يشبع غرائزه ورغباته من طعام وشراب ولباس وشهوة والروح كذلك تحتاج إلى غذاء ، بيد أنّه غذاء من نوع مميز ؛ إنّه الرضا والبِشر والاطمئنان .

والناظر في آيات الجنّة يجد أن القرآن قد لبّى لأهل الجنة حاجات الجانبين معاً ، وسنفصّل الحديث عن هذين المحورين في السطور الآتية :

- أولاً : الصورة المحسّة لنعيم الجنة :

يلحظ القارئ لآيات القرآن الكريم في صفة الجنة صوراً حسية متعددة ، ولا يتكلف المرء كبير عناء في تبيّن هذه الصور ، فكل ما تشتهيه النّفس وتلذّ العين مُيسّر النوال سهلُ المنال ، لا شيء ممنوع أو محرم ، بل هو الخلود في النعيم السرمدي الدائم .

وتتعدد مشاهد الصور المادية ، ابتداءً من دخول المؤمنين الجنة وما يستقبلون به من الحفاوة والتكريم بعد تأمينهم من الفزع الأكبر في أثناء الحساب ، وقد حوت أولى آيات المصحف التي ورد فيها ذكر الجنّة محاسنها جميعاً ، قال تعالى : { وبشّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنّ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رُزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رُزقنا من قبلُ وأُتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواجٌ مُطهّرة وهم فيها خالدون }[1] ، ويشير الأندلسي في معرض تفسيره لهذه الآية بقوله : " ولما كانت مجامع اللذات في المسكن البهي والمطعم الشهي والمنكح الرضي ، ذكرها الله تعالى فيما يبُشّر به المؤمنون ، وقد بدأ بالمسكن لأنّ به الاستقرار في دار المقام ، وثنّى بالمطعم لأنّ به قوام الأجسام ، ثم ذكر ثالثاً الأزواج لأنّ بها تمام الالتئام "[2].

ثم ذكرت الآيات التالية تفصيل تلك المحاسن : فالجنة منزل المؤمنين المتقين ، دار الثواب التي أعدها الله لعباده ، تتوافر فيها خصائص المنزل الكريم كلها من بناء رفيع : { لكنِ الذين اتّقوا ربّهم لهم غرفٌ من فوقها غرفٌ مبنيّة تجري من تحتها

١- البقرة ، ٢٥.

٢- الأندلسي ،تفسير البحر المحيط ، ٢٥٩/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأنهار }[1]، ومسكن هنيء لا همّ فيه ولا عناء : { ومساكن طيبة في جنات عدن }[2]، وضياء على غير ما عرف من مصادر الضوء في الدنيا : { لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً }[3].

وتسرد الآيات مظاهر النعيم المادي في ذلك المنزل الكريم بذكر ملابس أهل الجنة وحللهم وحليهم وفرشهم وبسطهم ووسائدهم ونمارقهم وزرابيّهم ، قال تعالى : { أولئك لهم جنات عدنٍ تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساورَ من ذهب ويلبسون ثياباً خُضراً من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نِعمَ الثواب وحَسُنت مرتفقاً }[4]. فحليّهم الذهب، ولباسهم الحرير الرقيق والسميك بعد أن كانا محرمين عليهم في الدنيا ، ويوحي اللون الأخضر بالراحة والحيوية ، ويزداد النعيم جمالاً عندما يوصف منظر الاتكاء دليل الحبور ، ولقد جاء وصف الاتكاء في آيات أخرى بزيادة كلمة (متقابلين)، فأهل الجنة لا ينظر بعضهم إلى أقفاء بعض وإنّما ينظر بعضهم لوجوه بعض، ويقول تعالى : { فيها سررٌ مرفوعة * وأكوابٌ موضوعة * ونمارقُ مصفوفة* وزرابيّ مبثوثة }[5]. فالأسرة مرتفعة كناية عن الطهارة وعلو المنزلة ، والوسائد مرتبة ، والبسط متناثرة في جنبات المنزل ، وكل شيء معدّ لاستقبال ضيوف الرحمن .

وفي مشهد آخر يصف القرآن الكريم أنهار الجنة وعيونها وأصنافها ومجاريها والأواني التي يشرب بها المؤمنون ، والغلمان الذين يطوفون عليهم . فأنهار الجنة كثيرة ، وأذواقها متنوعة قال تعالى : { مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لَبن لم يتغيّر طعمه وأنهارٌ من خمرٍ لذّة للشّاربين وأنهارٌ من عسل مصفّى}[6]، وتُلقي كلمة (أنهار) ظلالاً ماديةً توحي بالكثرة ، فهي ليست كؤوساً ولا أباريق ، وإنما أنهار ، ومن ضمن هذه الأنهار أنهارُ الخمر التي اجتنبها المؤمنون في الدنيا طاعةً لربهم ، مع أنها كانت مما يشرّف الإنسان العربي ويعزز مكانته الاجتماعية .

١- الزمر ، ٢٠.

٢- التوبة ، ٧٢.

٣- الإنسان ، ١٣.

٤- الكهف ، ٣١.

٥- الغاشية ، ١٣-١٦.

٦- محمد ، ١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتتعدد عيون الجنة وينابيعها في النكهة والحركة ، فأهل الجنة يشربون من كأس مترعة بالخمر التي لا تغتال العقل ، ولا تذهب بهيبة الإنسان ، ممزوجة بالكافور والزنجبيل ، من عيون تسمى (السلسبيل) ؛ لسهولة جريانها : { إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا }[1]،{ ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا * عينا فيها تسمى سلسبيلا }[2].

كما أن المؤمنين يسقون من الرحيق المختوم بالمسك من عين تسمى (تسنيم) : { يسقون من رحيق مختوم * ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون *ومزاجه من تسنيم }[3].

أما طعام أهل الجنة فقد فصله القرآن في مواضع مختلفة : فالفواكه متنوعة الأشكال ، يختار المؤمن ما يشاء من العنب والرمان والنخيل ... وهناك اللحم المشتهى بل إن هذه الأطعمة من الكثرة بحيث لا تقطع ولا تمنع : { وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون }[4]، فهي موجودة ، ولكن الله يمدهم بالمزيد ، وقال تعالى : { فيهما من كل فاكهة زوجان }[5]، فلكل نوع طعمان مختلفان .

وتفيض الآيات في أوصاف نساء الجنة وجمالهن وحالهن الظاهر والباطن ؛ فنساء الجنة مطهرات من كل أذى يصيب نساء الدنيا ، عفيفات لا ينظرن إلى غير أزواجهن ، و لا يتزين إلا لأزواجهن ، شابات لا يكبرن ولا يهرمن ، { وعندهم قاصرات الطرف عين * كأنهن بيض مكنون }[6]، وهذا التشبيه على ما جرت به عادة العرب في وصف النساء وفي هذا المعنى يقول امرؤ القيس :[7]

وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهو بها غيرمعجل (الطويل)

١- الإنسان ، ٥.

٢- الدهر ، ١٧-١٨.

٣- المطففين ، ٢٥-٢٧.

٤- الطور ، ٢٢.

٥- الرحمن ، ٥٢.

٦- الصافات ٤٨-٤٩.

٧- امرؤ القيس ، الديوان ، ٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واللافت هنا : أنّ القرآن حذف الموصوف ، وأقام الصفة مقامه ليتعلق الفكر بها فالحور– على جمال عيونهنّ – لا يتطلعن إلى غير أزواجهن ، وتعطي دلالة اللون الأبيض النقي مع كلمة (مكنون) قيمة كبرى للوصف ؛ لأن اكتنانه يحافظ على بياضه والشمس تذهب بصفاء اللون ، وقال تعالى : { إنّا أنشأناهنّ إنشاءً * فَجعلناهنّ أبكاراً *عُرُباً أتراباً }[1]، وهذه الآيات جمعت سمات نساء الجنة سالفة الذكر .

غير أن أعظم تكريم يحظى به أهل الجنة – عدا ما ذكرنا – هو رؤيتهم لله تبارك وتعالى بأبصارهم ، وقد فسّرت الزيادة في قوله تعالى : { للذين أحسَنوا الحسنى وزيادة }[2] بالنظر إلى وجه الله تعالى[3]. وقد سئل الرسول ﷺ عن الآية السابقة فقال: " للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى وهي الجنة ، والزيادة وهي النظر إلى وجه الله تعالى"[4].

" وقال عكرمة في تفسير قوله تعالى:{ وجوهٌ يومئذ ناضرة }[5] قال : تنظر إلى ربها نظراً ، ثمّ حكى ابن عباس مثله ، وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والحديث "[6].

ويعلّق سيد قطب على هذه الآية فيقول : " إنّ الإنسان لينظر إلى شيء من صنع الله في الأرض من طلعة بهيّة ، أو زَهرة نديّة ، أو جناح رفاف ... فإنّ السعادة تفيض من قلبه على ملامحه فيبدو فيها الوضاءة والنضارة ، فكيف بها حين تنظر إلى جمال الكمال مطلقاً ؟!"[7].

وبعد هذا الوصف للنعيم الذي لا يفنى ولا يبيد ، لا بد أنّ نتبين القيمة التي تتضمنها الصورة الحسّية ، حيث إنّ تلك الصورة التي خاطب بها القرآنُ الإنسانَ العربيّ بما تعارفه ، تقريباً لذهنه ؛ " لأنّ الإنسان بالمألوف آنس ، وإلى المعهود أميل

١- الواقعة ، ٣٥-٣٧.

٢- يونس ، ٢٦.

٣-ينظر الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٥ /١٤٩.

٤- ينظر ابن قيم الجوزية ، شمس الدين ، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ،٢٦٣ .

٥- القيامة ، ٢٢.

٦- ابن قيم الجوزية ، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، ٢٦٩.

٧- قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ، ٦ /٣٧٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا رأى ما لم يألفه نَفر عنه طبعُه ، وعافته نفسه "[1].

أقول : إنّ تلك الصورة الحسّية تتوافق وحالة الحرمان التي عايشها المؤمنون في الدنيا ؛ إمّا لفقرهم المقدر عليهم ، وما يستتبع هذا الفقر من معاناة وضعف ، فهذا عروة يخاطب زوجه فيقول : [2]

دَعيني للغنى أسعى فإنّي رأيت الناس شرّهم الفقير

وإمّا لزهدهم في ملذات الدنيا طمعاً في نيل جائزة الآخرة ، كما قال أبو العتاهية : [3]

ما الفخر إلا في التقى الزهدِ وطاعةٍ تعطي جنانَ الخلد

وهي أيضاً تتوافق وحالة الغنى التي يتمتع بها الأغنياء ؛ فهم إنما يشكرون الله على نعمته ، وينفقون منها توسعة على عباد الله المحاويج ، ويصور ذلك أبو العتاهية بقوله : [4]

ألا إنّما مالي الذي أنا منفق وليس لي المال الذي أنا تاركه

ثم إنّ بعض النفوس تحب أن ترى نتيجة عملها شيئاً ماديّاً ملموساً ، ومثل هذا النعيم الحسّي : " يصلح لتربيتهم ، ولاستجاشة همّتهم للعمل كما يصلح لجزائهم ويرضي نفوسهم "[5].

وفي الصورة الحسية ردّ على المثاليين والرمزيين وبعض المتصوفة الذين يعتبرون الإسلام ديناً مغرقاً في الخيال والأوهام ، ولا يعترف أبدا بالماديات .

وإذاً .. فالصورة الحسيّة ذات صلة وشيجة بنفسية الإنسان ، وقد جاء الخطاب القرآني متساوقاً مع ذلك كله .

١- الزمخشري ، أبو القاسم جار الله ، الكشاف ، عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ، ٢٦١/١.

٢- ابن الورد ، عروة ، الديوان ، ٦٣.

٣- أبو العتاهية ، إسماعيل بن القاسم ، الديوان ، ٦٩.

٤- أبو العتاهية ، الديوان ، ١٩١.

٥- قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ، ٦ /٣٢٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانياً : الصورة المعنوية لنعيم الجنة :

كان الحديث في السطور السابقة عن الصورة المحسّة لنعيم الجنة ، وأعتقد أن الصورة هذه قد لبّت لأهل الجنة حاجات الجسد ورغباته ، كما حققت قيمة الجانب المادي فيه .

والصورة المعنوية قسيم الحسية ، جاءت أيضاً لتلبي حاجات الجانب الروحي للمؤمنين في الجنة، وتتمثل الصورة المعنوية بما يتلقاه المؤمنون من مظاهر التكريم النفسي ، والشعور الرضي بتحقيق وعد الله تعالى .

وكما تتعدد الصور الحسية لنعيم الجنة ، تتعدد الصور المعنوية كذلك : فالبشرى بالرضوان أول ما يتلقاه المؤمنون من ربهم ، فيحل عليهم رضوانه ولا يسخط عليهم أبداً ، والرضا من الناس محبّب للنفس البشرية ، يقول القحيف العقيلي : [1]

إذا رضيت عليّ بنو قشيرٍ لعمرُ الله أعجبني رضاها

فكيف إذا كان الله تعالى مصدر الرضا الحقيقي ؟! وهذا الرضا متبادل ، أعني : أن يرضى الله تعالى عن عباده ، ومن ثمّ يرضى المؤمنون عن ربهم ، وتلك هي قمّة الصفاء في العلاقة ، قال تعالى :{ رَضيَ الله عنهم ورضُوا عنه ذلك لمن خَشيَ ربَّه }[2].

والتسليم من الله تعالى وملائكته صورة من صور التكريم المعنوي ، إذ السلام يوجب الحبّ حيث يقول الرسول ﷺ : " أوَلا أدلّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببْتم ؟ أفشوا السلامَ بينكم "[3]، وبهذا المعنى جاء قوله تعالى : { سلامٌ قولاً من ربٍ رَحيم }[4].

وتستقبلهم الملائكة بالتحايا : { حتى إذا جاءوها وفُتحت أبوابها وقال لهم خزنتها

١- ينظر ابن عقيل ، بهاء الدين ، شرح ابن عقيل ، ٢ /٢٥.

٢- البينة ، ٨.

٣- مسلم ،أبو الحسن مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم بشرح النووي ، مج١ ، ٢ / ٣٥.

٤- يس ، ٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سلامٌ عليكم طبتم فادخلوها خالدين }[1]، إنهم ضيوف الرحمن وحقّ على المـــزور أن يكرم زائره ، ولعلّ في تسمية الجنة (دار السلام) دلالة أكيدة على تلك الصورة .

وإذا كان السلام من الناس يوجب الحب ، فإنه – أي السلام – يوجب الود مـــن الرحمن : { إنّ الذين آمنوا وعَملوا الصالحاتِ سيجعل لهم الرّحمنُ وُدّاً }[2]، وتفســـير ذلك كما يقول صاحب الكشاف : " سيحدث لهم في القلوب مودةً ويزرعها لهم فيـــها ، من غيـــر تودد منهم ولا تعرض للأسباب التي توجب الودّ "[3]، وتدلّ السّين في قولـــه (سيجعل) على أن الود من الله تعالى يكون يوم القيامة "بما يعرض من حســـناتهم ، وينشر من ديوان أعمالهم "[4]، والحب القلبي جزء من الود الذي يشمل – غير الحب – أشياء كثيرة كالرعاية والتقريب .

ومن صُوَر التكريم الروحي أيضاً ، ذلك النور الذي يشع من وجوه المؤمنين : { يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورُهم بين أيديهموبأيمانهم بشراكم اليوم ...}[5].

لكن الفرحة ناقصة ، ولن تكتمل إلا بلقاء الأحبة والاجتماع معهم في دار الخلـود وأعظم لقاء يشرح صدور المؤمنين هو لقاؤهم نبيّهم ﷺ وأصحابه وأحبابه : { ومَـــن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعمَ الله عليهم من النّبيـــين والصّديقيـــن والشّـــهداء والصّالحين وحسن أولئك رفيقاً}[6].

وممّا يسرّ المؤمنين من مظاهر التكريم المعنوي ويؤكد الفرحـــة فـــي نفوســـهم اجتماعهم مع ذراريهم وأزواجهم ، قال تعالى : { والذين آمنوا واتّبعتهم ذريتهم بإيمـــانٍ ألحقْنا بهم ذريتَهم }[7]، وتفسير الآية : " أنّ المؤمنين الذين اتبعتهم ذريتهم في الإيمـــان يكونون في مراتب آبائهم ، وإن لم يكونوا فـــي التقوى والأعمـــال مثلـــهم ؛ كرامـــة

١- الزمر ، ٧٣.

٢- مريم ، ٩٦.

٣- الزمخشري ، الكشاف ، ٢ /٥٢٧.

٤- نفسه ، ٢ / ٥٢٧.

٥- الحديد ، ١٢.

٦- النساء ، ٦٩.

٧- الطور ، ٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لآبائهم "[1].

ومعلوم في علم اللغة النفسي أنّ لغة الإنسان تتفق وحالته النفسية التي يكون عليها ؛ فبالمشاهدة نجد الغضبان ينطق بلغة شديدة الانفعال ، قوية الجرس ، تتلاحق الكلمات بفِيه ، فلا يستطيع لها لجماً ، أمّا مَن اطمأنت روحه وأصلح الله باله ، فإنّ لغته تكون هادئة الإيقاع ، جميلة البيان ، بعيدة عن الشذوذ والتعقيد ، وهذه هي لغة أهل الجنة عندما يرفعون أكفهم بالدعاء قائلين : { الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن إن ربنا لغفور شكور* الذي أحلّنا دار المقامة من فضله لا يمسّنا فيها نصبٌ ولا يمسّنا فيها لغوب }[2]. وتنعكس تلك الحالة النفسية في تعاملهم مع الآخرين ، فلا إحنَ ولا أحقادَ كما كان في الدنيا : { ونزعنا ما في صدورهم من غِلٍ إخواناً على سُررٍ مُتقابلين }[3].

وكما أنّ للصورة الحسية قيمة تبلغها ، فإن الصورة المعنوية تتضمن قيماً تؤديها وأهدافاً تبلغها ؛ فهي – أي الصورة المعنوية – تتواءم مع ما كان يتعرض له المؤمنون في الدنيا من السخرية والاستهزاء والغمز اللمز ، وغير ذلك من عبارات الأذى التي أطلقها الكفار عليهم إمعاناً في إذلال القلة المؤمنة : { إنّ الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون *وإذا مرّوا بهم يتغامزون *وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فَكهين }[4]، ولكنّ الحالة في الآخرة مختلفة تماماً ، فالسخرية من المؤمنين في الدنيا تقابلها السخرية الحقة يوم القيامة : { فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون * على الأرائك ينظرون }[5].

وتتناغم الصورة المعنوية أيضاً ونفسية قومٍ " يعبدون الله لأنهم يشكرونه على نعمه التي لا يحصونها ، أو لأنهم يحبّونه ويتقرّبون إليه بالطاعات تقرّب الحبيب للحبيب "[6]. وتجيب رابعة العدوية سفيان الثوري حينما سألها عن حقيقة إيمانها فقالت : " ما عبدته خوفاً من ناره ، ولا حباً لجنته ؛ فأكون كالأجير السوء ، عبدته شوقاً

١- الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٨ / ١٤٦.

٢- فاطر ، ٣٤-٣٥.

٣- الحجر ، ٤٧.

٤- المطففين ، ٢٩-٣١.

٥-المطففين ، ٣٤-٣٥.

٦- قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ، ٦ / ٣٢٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إليـــه "[1].

وهذه طبيعة الخطاب القرآني في تعامله مع النفس الإنسانية ، والنعيم المعنـــوي بعد ذلك ردّ على دعاة المذهب المادي والوجودي الذين يذهبون إلى أنّ الإنسان ما هـو إلا جسد وحسب ، والتكريم المعنوي الروحي يدحض افتراءاتهم ويقرر بأنّ الإنســـان جسد وروح أيضاً .

وأستدرك هنا فأقول : إنّ الصورتين الحسية والمعنوية تتداخلان فيمـــا بينـــهما ، وتندغمان في مواضع محددة من القرآن ، حتى ليصعب على الدارس أن يفصل بينـهما ذلك أنّ الحسيـــات مردهـــا إلى المعنويات ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، يقول تعـــالى : { كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون }[2]، فالطعام والشراب من مظاهر النعيم المـــادي والهناء فيهما من مظاهر التكريم المعنوي ، ويقول تعالى : { إنّ المتقين فـــي جنـــاتٍ ونَهَر *في مقعدِ صدقٍ عند مَليك مُقتدر }[3]، فالنعيم المادي يتمثل في الجنات والأنـهارِ في حين يتمثل النعيم الروحي في مجاورة الله تعالى في أرفع مقعد وأسمى منزلة .

ولعل هذا التداخل في الصور مردّه إلى إيضاح الصورة العامة لمظاهر النعيـــم ، وإبراز جوانبه كلها .

١- قطب ، سيد ،في ظلال القرآن ، ٦ / ٣٢٩٢

٢- الطور ، ١٩.

٣- القمر ، ٥٤-٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المضمون :

على الرغم من أنّ الحديث يدور في هذا الفصل حول مشاهد الجنة وصورها ، غير أنّ دراسة المضامين والأغراض من الأهمية بحيث تجلي لنا قيمة المشاهد ، وتعرفنا الى أصحابها وصفاتهم التي تحلوا بها فنالوا الجزاء العظيم .

ولا شك في أنّ الإنسان ينفعل بالحديث عن موضوع ما يسمعه أو يشاهده ، سواءٌ أراقه هذا الحديث أم لم يرقه ، فإذا ما راقه وأعجبه فإنه يجتهد في أن يسلك السبيل التي توصله إلى مقصوده ونتائجه .

ومقصد القرآن في حديثه عن الجنة أن يرغّب الناس في القيام بالأمور التي تبلغهم إليها ،ويستطيع الدارس أن يطلق على أسلوب الترغيب في الجنة لفظ (المثير) الذي يعمل بدوره على إثارة انفعال السامع وحثه لكي يقوم بسلوك مستقيم ، ويمكن أن نسمي هذا السلوك (الاستجابة)، " والمثير والاستجابة يُعدّان من عناصر السلوك الانفعالي "[1].

ولقد سلك القرآن في ترغيب الإنسان طرقاً عدة تنتظم أمور الإسلام جميعاً ، وتصب في نهاية المطاف في نهر الوحدانية والإيمان. ومن خلال استعراض آيات القرآن في حديثه عن الجنة دار الثواب، يكتشف الدارس سبب الجزاء الذي استحقه المؤمنون مكافأة لهم على أعمالهم الصالحة .

ويختلف القرآن الكريم في هذا المجال عن الكتب السماوية السابقة ونظرتها إلى الجزاء ؛ " فعلى حين تجعل التوراة السعادة الموعودة في طيبات هذا العالم ، ويحصرها الإنجيل تقريباً في السماء "[2]، نجد القرآن يجمع بين القولين ؛ فقد يكون جزاء المؤمن في الدنيا مادياً كقوله تعالى : { وأخرى تحبّونها نصرٌ من الله وفتحٌ قريب}[3]، أو معنوياً كقوله تعالى : { ولله يحبّ المحسنين }[4]. غير أنّ هذا الجزاء الدنيوي يَعتَوِر ُه ُ القصور لِما يرافقه من تفكير في البحث عنه ، وهمّ في الحصول

١- ينظر العثمان ، عبد الكريم ، الدراسات النفسية عند المسلمين ، ٢٣٦.

٢- دراز ، محمد ، دستور الأخلاق في القرآن ، ٣٤٣.

٣- الصف ، ١٣.

٤- آل عمران ، ١٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليه ، وتنغيص جرّاء زواله ، فمن الطبيعي إذاً أن يكون الجزاء الأوفى يوم القيامة .

وقد اتخذ القرآن من ذكر الجنة وسيلة لاستقامة الحيـــاة ، ســـواء أكـــانت هـــذه الاستقامة على مستوى الفرد أم على مستوى المجتمع .

وتطالعنا معظم آيات الجنة بعبارة (الذين آمنوا وعملوا الصالحات)، وتعدّ هـــذه العبارة قاعدة تنطلق منها كل أعمال المؤمن التي تكون سبباً في إرضـــاء الله تعـــالى ، وهي قبل ذلك عبارة جامعة فكلّ عمل صالح أساسه الإيمان ليس له جزاء إلا الجنة .

وبوسع الدارس أن يسرد كل الآيات التي دار مضمونها حـــول تبيـــان أعمـــال المؤمنين الذين سيدخلون الجنة ، ولكننا نكتفي بذكر بعض النصوص القرآنية التي تفي بالغرض وتحقق المراد :

ففي مجال الحديث عن بعض أحكام التشريعات يقول تعالى : { تلـــك حـــدود الله ومن يطع الله ورسوله يُدخلْه جنات تجري من تحتها الأنهار وذلك الفوز العظيـــم }[1]، فقد جاء هذا النص القرآني تعقيباً على آيات سبقتها تحدثت عن أحكام المـــيراث التـــي تمثل جانباً من جوانب التشريع الإسلامي في مجال الأحوال الشخصية .

والتقوى خلقٌ عظيم تناولته نصوص كثيرة من نصوص القرآن الكريـــم ، وقـــد امتدح القرآن أصحاب هذه الصفة وبين أعمالهم ؛ إنهم أناس يتصفون بخِلال تمكّننا بأن ننعتهم بالأتقياء ، فهم قوم قد طهرت نفوسهم من الشح ، وحلهاَ الإيثـــار ، وترّفعـــوا بإيمانهم عن بقية الناس فعفوا عن الصغير والمسيء ، غير أنهم يظلـــون فـــي دائـــرة النقـــص البشري ، يذنبون ولكنهم يستغفرون ويتوبون ، وفي بيان ذلك يقول تعالـــى : { وسارعوا إلى مغفرة من ربّكم وجنّة عرضها السماوات والأرض أعدّت للمتقيـــن * الذين ينفقون في السّراء والضّراء والكاظمين الغيظَ والعافين عـــن النـــاس والله يحـــبّ المحسنين *والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومـــن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون * أولئك جزاؤهم مغفرة مـــن ربهم وجناتٌ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين }[2].

وفي نصّ آخر يجمع القرآن بين سلوك المؤمن الظاهر منه والبـــاطن ، ويرســـم

١- النساء ، ١٣.

٢- آل عمران ، ١٣٣-١٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صورة للمؤمنين رقيقي القلوب ، سريعي التأثر بكلام الله تعالى ، وهذه الرقة هي التي تدفعهم للقيام بالعبادات المفروضة عليهم كالصلاة والزكاة ، يقول تعالى : { إنما المؤمنون الذين إذا ذُكِر الله وَجلت قلوبهم وإذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون *الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون *أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرةٌ ورزقٌ كَريم }[1].

ومن مضامين آيات الجنة التي تعرفنا بسلوك المؤمن وحركته في الحياة تعامله مع الآخرين ، فليست حركة الإيمان مقتصرة على التوجه السليم لله تعالى ، بل تتعدى ذلك إلى حركته في كل خطوة من خطوات الحياة ، كالحفاظ على الأعراض وأداء الأمانة والوفاء بالعهد وشهادة الحق .. إلخ، يقول تعالى : { والذين هم لفروجهم حافظون **إلاّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين *فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون *والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون** *والذين هم بشهاداتهم قائمون *والذين هم على صلاتهم يحافظون *أولئك في جنّاتٍ مُكرمون }[2].

وحركة المؤمنين لا تقتصر على وقت من الأوقات ، بل هي مستمرة على مدار اليوم كله ؛ فهم بالنهار قوم متواضعون في مشيتهم مترفعون عن ترّهات الجاهلين ، فإذا ما أقبل الليل فإنهم يهجرون الفراش ويتوجهون إلى الله بالعبادة ، قال تعالى: { وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً *والذين يبيتون لربهم سُجّداً وقِياماً }[3]، ويأتي تعقيب القرآن على جزاء من يتّصف بتلك الصفات : { أولئك يُجزون الغُرفة بما صبروا ويُلقّون فيها تحيةً وسلاماً *خالدين فيها حَسُنت مُستقرّاً ومُقاماً }[4].

وتعرض آيات الجنة لمضمون الجهاد في سبيل الله ، وتصوّر روح التضحية والفداء للمؤمنين ، وتبرز صبرهم على الأذى والاضطهاد من المشركين، فيبشّرهم الله تعالى بالجزاء الأوفى والمقام الحسن، قال تعالى : { فالذين هاجروا وأُخرجوا من ديارهم وأوذوا في سَبيلي وقاتلوا وقُتلوا لأكفّرنّ عنهم سيئاتهم ولأدخلنّهم جناتٍ تجري

١- الأنفال ، ٢-٤.

٢- المعارج ، ٢٩-٣٥.

٣- الفرقان ، ٦٣-٦٤.

٤- الفرقان ، ٧٥-٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من تحتها الأنهار ثَواباً من عند الله ولله عندَه حُسن الثواب }[1].

وأشير هنا إلى أن هذه المضامين يستوي في جزائها المؤمنون والمؤمنات ، فلا عبرة للجنس ، وإنما التقوى هي مدار الحكم ، وفي هذا المقام يقول الله تعالى : { إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدِّقين والمتصدِّقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعدّ الله لهم مغفرةً وأجراً عظيماً }[2].

وهكذا يتبيّن للدارس من خلال سرد مضامين آيات الجنة أنها مضامين عملية وواقعية تتناسب ومقدور المؤمن وسعته ، وهي كذلك ملامح تربوية تهدف إلى إقامة مجتمع إسلامي مثالي ، وبذا يكون ذكر الجنة في القرآن قد حقق أغراضه في بناء حياة مستقيمة يحكمها الإيمان ويزيّنها العمل الصالح ، من خلال تقديم نماذج إنسانية رفيعة الأخلاق راقية السلوك .

وتظهر هذه الاستقامة في ذكر أوصاف النعيم ، والدارس يجد أن القرآن قدّم المظاهر الأخلاقية للنعيم ، ثم ذكر الخصائص المادية له ، فالقرآن عندما وصف نساء الجنة بقوله : (وعندهم قاصرات الطرف عين)، قدّم صفة العفاف على جمال العيون وعندما وصف نساء الجنة (أبكاراً) فإنّه لا يخبرنا عن جماع أهل الجنة أبداً ، وفي وصف الشراب (لا فيها غولٌ ولا هم عنها ينزفون) فإن صفة المحافظة على الكرامة واستبقاء عقل الإنسان منتبهاً تُزاحم صفة الشراب المادية . وهكذا بنى القرآن الكريم وصفه لنعيم الجنة على أساس أخلاقي يتفق وغرضه القرآني في استقامة سلوك المؤمن في الحياة .

ولا يفوتنا أن نذكر أن مضامين الجنة قد انتظمت مجالات الإسلام كلها : العقائد والعبادات والتشريعات ، وبذا تحقق آيات الجنة الوحدة الموضوعية للقرآن مع احتفاظ كل سورة بأغراضها الخاصة بها .

ولعله من تمام القول أن نشير إلى قضية مهمة تتمثل في أن الغرض الديني الذي

١- آل عمران ، ١٩٥.

٢- الأحزاب ، ٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تحققه آيات الجنة " يتناسق مع الأصول الفنية للقرآن الكريم "[1]، بل هو ثمـــرة تلـك الأصول الفنية ، وبمعنىً أعمق: إذا كان مقصود القرآن في ذكر الجنة جعْـل حركـة الحياة تنسجم وحركة الدين ، فإنّ وسيلته لتحقيق ذلك الانسجام تنبع من الأسس الفنيـة التي تتمتع بالقدرة على خلق ذلك التساوق ، وذلك لا يتم إلا عن طريق استخدام اللغـة استخداماً معجزاً ، وبأسلوب تتوافر له كل عناصر التعبير الفني الخلاق . وهـذا مـا سيعالجه البحث في الفصول القادمة إن شاء الله تعالى .

١– قطب ، سيد ، مشاهد القيامة في القران ، ص٦٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

جماليات التشكيل الصوتي

- جمال الفاصلة القرآنية
- القيم التعبيرية للأصوات
- جمال المقاطع الصوتية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مدخـــــل

دار الحديث في التمهيد عن أوصاف الجنة وأصناف نعيمها ، بمعنى أن الحديث السـابق كان إجابة عن سؤال مفترض فحواه : ماذا قال القرآن عن مشاهد الجنة ؟

وأجبنا عن ذلك بتفصيل القول عن الصورتين المحسة والمعنوية وقلنا : إنّ تَيْنـك الصورتين ساقهما القرآن في معرض حديثه عن مظاهر التكريـم الـذي يحظـى بـه المؤمنون ، ولقد جاءت الصورتان متكاملتين تتمّم إحداهمـا الأخـرى ، كمـا جاءتـا متساوقتين مع المضامين العامة للقرآن .

ويبقى السؤال : كيف قال القرآن ذلك كله ؟ وما وسائله التعبيرية وعناصره الفنية في إخراج تلك المشاهد ؟ وللإجابة عن هذه الأسئلة نقول : لقد استخدم القرآن الكريـم طرائق متعددة ، وأساليب متميزة للتعبير عن مشاهد الجنة ، وهي وسائل تعتمد الأنساق والعلاقات ، والبنى اللغوية في الكشف عن الظواهر الأسلوبية على المستويات كافـة ، الصوتية ، والنحوية ، والدلالية ، التي تتضافر في إبراز الجوانب الجمالية ، والفكريـة للأسلوب القرآني .

وبوسعنا أن نقسم هذه التشكلات التعبيريـة بحسـب أنظمـة ا للغـة المختلفـة، ومستوياتها المتعددة ، ونبدأ بالمستوى الصوتي لما يمثله من فاعلية في النظام اللغوي ؛ بوصفه العنصر الأول الذي تقوم عليه اللغة في مراتبها ، ثم تليـها الأسـس اللغويـة الأخرى .

وسندرس المستوى الصوتي من زاوية جمالية تشي بأهمية الأصوت فـي إبـراز المعنى المقصود ، من خلال التركيب السياقي للكلام .

وقد اخترنا لمعالجة هذا الفصل زوايا ثلاثاً تتمثل في التعرف إلى النسق الموسيقي لنصوص الجنة ، من خلال الفاصلة القرآنية ومعطياتها ، ومدى إسهام الصوت المتكرر الذي يحمل القيمة التعبيرية في الدلالة ، ثم محاولة توظيف المقاطع الصوتية ، توظيفـا بلاغيا نستطيع من خلاله استنطاق الأغراض الدلالية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تقديـــــم :

استحوذ القرآن الكريم على أسماع العرب وأفئدتهم ؛ لما لَه من تأثير في خطـــاب النفس ، وامتلاك لمشاعر الوجدان الإنساني ، ولعل ذلك نابع من التناســـق الموســـيقي المبثوث في القرآن الكريم المنبعث من جماله التوقيعي عبر الوقفـــات ، والحركـــات ، والمدات ، والتكرار ، إلى غير ذلك من مظاهر التشكيل الإيقاعي . ومع الإيمان الجازم بـــإعجاز القرآن اللغوي الذي عجز العرب – وهم أهل فصاحة – أن يأتوا بسورة مـــن مثله ، إلا أن منبع السحر في القرآن ينبني على الإيقاع الموسيقي المتمثل في طول الآية وقصرها ،ومقاطعها ، وفواصلها ، وقد عدّ سيد قطب هذا الإيقاع أحد مظاهر التناســـق الفني للقرآن بقوله : " ومنها ذلك الإيقاع الموسيقي الناشئ من تخير الألفاظ ونظمها في نسق خاص " [١]. ومن هنا كان العرب – بوصفهم أهل طـــرب وغنـــاء – يســـتمعون للقرآن الكريم على الرغم من كفرهم بالرسالة ، حتى إنّهم أحسّوا في ذلـــك الاســـتماع بتأثير كبير على عامة الناس فوجدوا في الابتعاد عن سماع القرآن واللغو فيـــه أفضـــل طريقة لمنع انتشار الإسلام ، وهذا ما صوّره القرآن بقوله : { وقال الذيـــن كفـــروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوْا فيه لعلكم تغلبون }[٢]. ومن هذا المنطلق سندرس نصـــوص القرآن في وصف الجنة متخذين من المستوى الصوتي موضوعاً للدراسة .

ويطمع الباحث أن يكشف عن بعض جماليّات التشكيل الصوتي في هذه النصوص من خلال الزوايا التي اختارها ، وإبراز علاقاتها الفنية ودلالاتها الفكرية .

ويلحظ القارئ في نصوص الجنة ظاهرةً صوتيةً تكاد تكون سمة عامة لها وتتمثل في **قصر الآيات** ، وإن تخلّلها بين الحين والآخر بعض الطول الذي يقطعه الوقف فـــي أكثر المواقع .

ومن البدهيّ أنّ الآيات المكّية جاءت لتثبّت عقائد الغيب في النفوس ، ومنها الجنة باعتبارها وعداً بالغيب . وكانت وسيلته – أي القرآن – لذلك مسّ نفوس الناس برفـــق مؤثر ، وأسلوب جذاب " ولـــمّا كانت جموع المشركين متعصبين لأديانهم وعاداتـــهم وتقاليدهم ، وفي أخلاقهم جفوة ، وفي ألسنتهم خصومة ، اتجهت الســـور المكيـــة فـــي

١– قطب ،سيد ، التصوير الفني في القرآن ، ٧٢ .

٢– فصلت ، ٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خطابهم إلى الوجدان والمشاعر تقسو عليهم بالزجر والتسفيه ... والتبشير والإنذار في أسلوب شديد الأسر ، حادّ قوي ، متتابع السجعاتِ الرنّانة المدوّيةِ القصيرة ..."[1]. ومما يزيد في شدة التأثير أنّ الموضوع المذكور هو النعيم وملذاته وأصنافه . " وقد ينبئ الكلام عن محل صاحبه ، ويدلّ على مكان متكلمه ، وينبّه على عظيم شأن أهله وعلى علوّ محلّه "[2].

وقد فصّل العلماء الحديث حول قِصَر الآيات وطولها ، وحدّدوا مقدار ذلك من البلاغة – والقرآن كلّه بلاغة ، بل هو في المكان الأوّل منها – فقد قسّموا آيات القرآن باعتبار قِصَر آياته وطولها ثلاثة أقسام : قصير موجز ، ومتوسط معجز ، وطويل مفصح مبيّن للمعني مبرز ؛ أمّا الأول وهو القصير فاعلم أنّ أقصر الفقرات القصار في السجع ما يكون من لفظين ، وأطول الفقرات القصار ما يكون من عشر لفظات ، وما بين هذين متوسط ، وأقصر الطوال ما يكون من إحدى عشرة لفظة وأطولها غير مضبوط [3]. وجلّ نصوص الجنّة من النوع الأول والثاني وقد تطول في مواقع قليلة ، وبخاصة في السّور المدنيّة التي لا يتجاوز ذكر الجنّة فيها آية أو اثنتين أو ثلاثاً على الأكثر " والقِصَر أوعر أنواع التسجيع مسلكاً ، وأصعبها مدركاً ، وأخفّها على القلب ، وأطيبها على السمع ؛ لأنّ الألفاظ إذا كانت قليلة فهي أحسن وأرقّ "[4]، وبوسع الدارس أن يسرد الآيات التي توضّح ذلك القِصَر ، وتبيّن دلالاته الإيقاعية ، وتسهم طريقة تلاوته في إبراز هذه الدلالات . ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى :

{وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين}

{في سدر مخضود}

{وطلح منضود}

{وظل ممدود}

{وماء مسكوب}

{وفاكهة كثيرة}

{لا مقطوعة ولا ممنوعة}

{وفرش مرفوعة}

{إنّا أنشأناهنّ إنشاءً}

{فجعلناهنّ أبكاراً}

١– لاشين ، عبد الفتاح ، البديع في ضوء أساليب القرآن ، ١٢٤ .

٢– الباقلاني ، أبو بكر : إعجاز القرآن ، ٢١٠ .

٣– ينظر ابن القيم ، شمس الدين محمد ، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، ٢٢٧ .

٤– العلوي ، يحيى بن حمزة ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، ٢٣/٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

{عرباً أتراباً}
{لأصحاب اليمين}
{ثلة من الأولين وثلة من الآخرين }[1].

ويلحظ القارئ في هذا النص القِصَر ، فأقصَر آية تقوم على لفظين في حين أنّ أطولها بلغ ستّ لفظات ، ممّا يستريح له نَفَسُ القارئ ويُحقّق له لذّة التلاوة ، ولعلّ المدّ العارض للسكون [2]في أواخر الآيات يزيد في هذا الترنّم ويعطي فسحة للتنغيم والتفكير في مضمون النص .

وقد يزداد طول الآية بما لا يُخرجها من دائرة القِصَر في هبوط النغمة وصعودها وارتفاعها وانخفاضها ، وفي مراوحة مستمرة ، ممّا يتيح للقارئ التنغيم المتردّد ، خارجاً بذلك عن رتابة الإيقاع الواحد ، ومحدثاً نوعاً من التجدّد . وإذا أخذنا بعين الاعتبار أحكام الوقف[3]، فإنّ ذلك من شأنه أن يسهم في تحديد المسافات ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى :

{إنّ المتقين في جنات ونعيم}
{فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم}
{كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون}
{متكئين على سرر مصفوفةصلى (وقف جائز والوصل أولى)
وزوجناهم بحور عين}
{والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيءج }(وقف جائز)
{كل امرئ بما كسب رهين}
{وأمددناهم بفاكهة ولحم ممّا يشتهون[4] }

فهذه الآيات وغيرها[5] تحقق التنويع الموسيقي المتركّز في نفَس الآيات المتغير، ممّا يحقق صدمة فنّية للحركة النفسية ، ويزيد من هذا التغير الموسيقي ذلك الاختلاف الناشئ من تناوب الحرف الأخير بين الميم والنون ، وكذلك الوقف على كلمتي (

١- الواقعة ، ٢٨-٤٠ .

٢- هو أن يكون حرف المد قبل آخر حرف في الكلمة وقد سكن بالوقف عليه ، ينظر ملحس ، محمد سعيد، أحكام تجويد القرآن ، ٥٠ .

٣- الإطلاع على أحكام الوقف ينظر ، ابن الجزري ، النشر في القراءات العشر ، ٢٢٤/١ ، وأيضا الداني ، أبو عمرو، المكتفي في الوقف والابتداء المقدمة وما بعدها .

٤- الطور ، ١٧-٢٢.

٥- يمكن تطبيق نماذج أخرى على القصر مثل ، سورة النبأ ، ٣٢-٣٦ ، الرحمن ٤٦-٦٠ ، المطففين ، ٢٢-٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مصفوفة) و (شيء) ، فالوقف يحقق غير فائدة ، ففيه " استراحة القارئ وتدبّره لما يقرأ ، وإفهام السامع ، ثمّ الإيقاع الموسيقي "[1]، ولعلّ فيما سبق بياناً لأثر قِصَر الآيات في الإيقاع والمعنى .

وسندرس في السطور الآتية بعض الزوايا التي تشكل في مجموعها جمال الإيقاع الصوتي ، ومن أهمها الفاصلة القرآنية .

جمال الفاصلة

الفاصلة باب واسع من أبواب علوم القرآن ، اهتم به علماء المسلمين قديمهم وحديثهم وألّفوا فيه الكتب والأبحاث[2]. ونشأ علم الفاصلة أول ما نشأ في بحوث القراءات القرآنية ، ثم انتقل إلى الدرس البلاغي ؛ نظراً للدور الذي تقوم به الفاصلة في تحديد جمال الإيقاع وإفهام المعاني ، وتُعرّف الفاصلة بأنّها : " كلمة آخر الآية ، كقافية الشعر ، وقرينة السجع "[3].

وتقوم الفاصلة بتحقيق فوائد جمّة ؛ منها ما يتصل بجانب الإيقاع ، ومنها ما يتصل بجانب الاستدلال على تمام المعنى . فأمّا الجانب الإيقاعي الذي تؤديه الفاصلة فهو " دلالتها على المقاطع ، وتحسينها الكلام بالتشاكل ، وإبداؤها في الآي بالنظائر "[4]. فالفاصلة تبرز ابتداء الكلام وانتهاءه فيستريح نَفَس القارئ بها ، ويطرب لتشاكلها ، وأمّا علاقتها بالمعنى فهي تحقق معنى الآية كلها ، ويتركز مضمونها في هذه الكلمة الأخيرة فتأتي في مكانها المرسوم لها ، فيحسّ القارئ بتمام المعنى ؛ ولذا فإنّه لا تحسُن المحافظة على الفواصل لمجرّدها ، إلا مع بقاء المعاني على سدادها ، على النهج الذي يقتضيه حسن النظم والتئامه "[5].

وقد اشتجرت الآراء حول صحّة وقوع السجع في القرآن ، ونفي وقوعه ، وجملة القول في ذلك أنّ العلماء انقسموا في بحث وقوع السجع في القرآن فريقين : فريق يرفض وقوعه وينفيه ، كالأشاعرة وأبي بكر الباقلاني وابن خلدون والسبكي ، ومن

١- الحسناوي ، محمد ، الفاصلة في القرآن ، ١٧٩ .

٢- ينظر مثلا ، الزركشي ، البرهان في علوم لقرآن ، وأيضا السيوطي ، الاتقان في علوم القرآن ، وابن القيم ، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن ، وأيضا الحسناوي ، الفاصلة في القرآن.

٣- السيوطي ، أبو الفضل جلال الدين ، الإتقان في علوم القرآن ٢٠٩/٢.

٤- الرماني ، أبو الحسن علي بن عيسى ، النكت في إعجاز القران من خلال كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ٩٩ .

٥- الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ١٠١/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التماثل والتجانس في الفاصلة

نبتدئ دراسة جمال الفاصلة القرآنية من حيث الحرف الأخير الذي تنتهي به الفاصلة ، ويمكن أن نستبدل حرف الروي بالحرف الأخير – مجازاً – ، فقد قسّم العلماء الفاصلة بحسب صوت الروي قسمين هما : " ما تماثلت حروفه في المقاطع ... وإلى ما تقاربت حروفه في المقاطع ولم تتماثل "[1]، فسمّي القسم الأول بالفواصل المتماثلة ، والثاني بالفواصل المتقاربة ، وقد وُجد النوعان في آيات الجنّة ، ففي حين تفوّقت نسبة الفاصلة المتماثلة[2] على غيرها من الفواصل المتقاربة ، تفوّقت الفواصل المتماثلة بصوت النون المسبوق بحرف مدّ على مثيلاتها المختومة بأحرف أخرى غير النون .

ولعلّ سبب هذا التفوّق يعود إلى زيادة التوقيع الدلالي من جهة ، " والمعروف أنّ جمع المذكّر السالم في العربية ، وثلاثة من الأفعال الخمسة تنطوي على هذه الصيغة ؛ لذلك كانت دلالة هذا النوع من الوقف معبرة عن غاية القرآن في مخاطبة الجموع "[3].

وسبب آخر يتعلق بالإيقاع الصوتي جعل القرآن يُؤثر هذا الختم ، ويُفصح عن ذلك صاحب البرهان فيقول : " قد كثر في القرآن الكريم ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المدّ واللين وإلحاق النون ؛ وحكمته وجود التمكّن من التطريب بذلك "[4]. قال سيبويه - رحمه الله – : " أمّا إذا ترنّموا فإنّهم يُلحقون الألف والياء والواو... لأنّهم أرادوا مدّ الصوت "[5] ، فهذه الأحرف تتميّز بقدر كبير من الوضوح والغنّة كما أنّها - أي حروف المدّ - تمكّن القارئ من إطالة زمن الكلام المنطوق عن طريق التنغيم فيه ، ومثال ذلك قوله تعالى : { إنّ المتقين في مقامٍ أمين * في جنات وعيون * يلبسون من سندسٍ وإستبرقٍ متقابلين * كذلك وزوجناهم بحورٍ عين * يدعون فيها بكلّ فاكهةٍ آمنين }[6]، والأمثلة على ذلك كثيرة .

وليس حرف النون وحده المتحقق في الفواصل المتماثلة ، فهناك الباء وهو : " صوت شديد مجهور .. وقد حرص القدماء على الجهر بهذا الصوت ... فأضافوا إليه صوت لينٍ قصيرٍ جداً يشبه الكسرة ، وسمّوا تلك الظاهرة بالقلقلة حرصاً منهم على

١- الزركشي ، ١٠٢/١.

٢- يسميها الرماني الفواصل المتجانسة ، ينظر الرماني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ٩٨ .

٣- الحسناوي ، ١٩٤.

٤- الزركشي ، ، ٩٩/١.

٥- سيبويه ، الكتاب ، ٢٠٤/٤ .

٦- الدخان ، ٥١-٥٥ ، وينظر الآيات الزمر ، ٧٣-٧٥ ، وينظر الزخرف أيضا ، ٧٠ – ٧٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إظهار كل ما في هذا الصوت من جهر "[1]. وقد ورد صوت الباء رويّاً في قوله تعالى : { هذا ذكرٌ وإنّ للمتقين لَحُسن مآب * جنّات عدنٍ مفتّحة لهم الأبواب * متكئين فيها يدعون فيها بفاكهةٍ كثير وشراب * وعندهم قاصرات الطّرف أتراب * هذا ما توعدون ليوم الحساب }[2]. فالوقوف على صوت الباء الساكن يحقق التماثل النطقي الذي يشبع رغبة القارئ في الاستمرار على هذه الوتيرة ، ويزيد في قوة هذا التماثل الإيقاعي وجود حرف المدّ الذي سبق حرف الباء ؛ممّا يمكّن القارئ من المدّ والتنغيم ، " وألف المدّ هي الوحيدة بين الحركات التي إذا جاءت قبل الرويّ التُزِمَت ... لأنّها أوضح كل الحركات في السمع "[3].

وإذا كانت الفواصل المتماثلة قد حققت الرتابة الموسيقية القائمة على وحدة النغم الذي ينشأ تباعاً عن تكرار الحرف الواحد ، فإنّ الفواصل المتقاربة تكسر هذه الرتابة ، وتخلق نوعاً من الدهشة القائمة على الانتظار ، والمفاجأة المؤسسة على التوقع نتيجة اختلاف الروي ، ولعلّ في قانون التغيّر هذا من الدلالات الجمالية والفكرية ما يؤكّد نسق القرآن الصوتي المعجز ، فالقارئ لهذه الآيات :

{ إلا عباد الله المخلصين }
{أولئك لهم رزق معلوم}
{فواكه وهم مكرمون}
{في جنات النعيم}
{على سرر متقابلين}[4]

يلحظ تناوب صوتي النون الساكنة المسبوقة بحرف مدّ ، والميم الساكنة المسبوقة بحرف مدّ أيضاً ، وهذا التناوب في الحروف يُحقق التنوّع الموسيقي ، ثمّ إنّه ليس نافراً في موقعه ، بل إنّ العلاقة التي تجمع الحرفين علاقة صوتية وشيجة ؛ فكلاهما يمتاز بقدر كبير من الأنفية ، والميوعة ، والوضوح السمعي ،[5] وعلى ذلك أكثر فواصل القرآن الكريم .

ونموذج آخر يجلي ظاهرة التغير في حروف الروي ، ويكسب التلاوة نوعا من التفكر ، وشد الانتباه ، وطرح السؤال ، حيث يقول تعالى :

{ وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد }

١- أنيس ،إبراهيم ، الأصوات اللغوية ، ٤٥ .

٢- سورة ص ، ٤٩ – ٥٣.

٣- أنيس ، موسيقى الشعر ، ٣٦٥ .

٤- الصافات ، ٤٠ – ٤٤ .

٥- ينظر النوري ، محمد جواد ، وحمد ، علي ، فصول في علم الأصوات ، ٢٤٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

{ هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ }
{من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب }
{ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود }
{لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد }[1] .

ويمتد تأثير حروف الروي المتغيرة في هذه الآيات ليخلق نوعا من حرية التعبير والتفكير ، فالقارئ للآية الأولى التي ختمت بصوت (الدال) ، يتوقع أن تكون الآية التالية مختومة بالصوت نفسه ، وهنا يفاجأ بصوت آخر هو (الظاء) المفخمة ، وتعلو درجة الصدمة الصوتية في الآية الثالثة حين يفجؤه صوت (الباء) ، وتبلغ هذه الدهشة أوجها في العودة إلى صوت (الدال) في الرابعة والخامسة ، نعم إن الوقف بالسكون على آواخر الفواصل قد ينشئ نوعا من التغطية الصوتية على هذا التغير ، كما أن وزن الفواصل (فعول) يسهم في ذلك أيضا ، غير أن من ينعم النظر يجد درجة الاختلاف منحصرة في الآيتين الثانية والثالثة اللتين تدوران حول بيان صفات اهل الجنة وهي (أواب ، حفيظ ، خشي الرحمن بالغيب ، قلب منيب) ، والآيات الباقيات تصف الجنة ونعيمها ، وما أعده الله لعباده فيها .

ولعل في هذا التغير من الدلالات الفكرية ما يعطي هذه الصفات إبرازا وتمايزا ، ويفسر لنا بعض الجوانب المعنوية التي يحققها قانون التغير الصوتي ، فضلا عن تحقيق جماليات التشكيل الصوتي .

ونموذج آخر للتغير الناشئ عن اختلاف حروف الروي اختصره لطوله بما يحقق الشاهد منه ، حيث يقول تعالى :

{ إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا }
{ عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا }
.....
{ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا }
{ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا }
{عينا فيها تسمى سلسبيلا }
.....
{إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا}[2] .

ويلمح القارئ التغير بين صوتي الراء المطلقة ، واللام المطلقة كذلك ، وثمة شبه بين الصوتين بالإضافة إلى صوت النون (ر ، ل ، ن) وهو " أنها مع قرب مخارجها

١- سورة ق ، ٣١-٣٥ .

٢- الإنسان ، الآيات ٥، ٦، ١٤، ١٧ ، ١٨ ، ٢٢ ، على الترتيب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تشترك في نسبة وضوحها الصوتي ، وأنها من أوضح الأصوات الساكنة في السمع ؛ ولهذا أشبهت - من هذه الناحية - أصوات اللين ، فهي جميعا ليست شديدة ... وليست رخوة " [1] .

وقد يكشف للدارس بعض أسرار هذا التغير ، ويخفى بعضها ، إن اختلاف صوت الروي هنا يحقق الناحية الجمالية للتشكيل الصوتي ، بيد أن ثمة معاني ودلالات تقف وراء هذا التشكيل ، وسندرس آيتين إحداهما مختومة بالراء المطلقة وهي قوله تعالى : (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ، عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا)، حيث نجد صوت الراء الذي يختص بملمح تمييزي يتفرد به عن بقية الأصوات العربية وهو التكرار ، حيث " تتتابع طرقات اللسان على اللثة عدة مرات ، فتسمع الراء على صورة سلسلة من الإنحباسات والإنفجارات المتوالية "[2] ، والراء بخصائصها هذه تتناسب وصوت الماء المتفجر مرة بعد مرة .

والآية الثانية التي تختم بحرف اللام ، ويتصف هذا الصوت بملمح الجانبية إذ " يتصل طرف اللسان باللثة خلف الأسنان العليا ، بحيث تنشأ عقبة في وسط الفم تمنع تيار الهواء من المرور إلا من منفذ يسمح للهواء بالانسياب من أحد جانبي الفم ، أو كليهما " [3] ، وهذه صفة أطلق عليها القدماء الانحراف [4] فانحراف الصوت نحو جانبي الفم متفاديا السد الناشئ من ارتفاع اللسان يؤكد انحراف القطوف واقترابها ، وتكرار هذا الصوت أربع مرات ، يوحي بتكرار الاقتراب لهذه القطوف ، مما لا يحوج أهل الجنة إلى بذل الجهد في تحصيلها .

١- أنيس ، الأصوات اللغوية ، ٦٣، ٦٤ .

٢- النوري ، محمد جواد ، علم أصوات العربية ، ١٦١ .

٣- نفسه ، ١٦٤ .

٤- ينظر سيبويه ، ٤ / ٤٣٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا تتبين أهمية الفاصلة القرآنية في التشكيل الجمالي الصوتي لنصوص الجنة ، من زاوية حرف الروي الذي جاء متناغما مع المعنى والإيقاع .

أشكال الفاصلة القرآنية :

تحدثنا في القسم الأول عن الحرف الذي تختم به الفاصلة ، وعرفنا أقسامها تبعا لذلك ، وتبينا تشكيلاتها الإيقاعية ،وما تعطيه من دلالات ومعان ، وندرس في هذا القسم أشكال الفاصلة ، فقد " قسم البديعيون السجع والفواصل أيضا إلى متواز ومطرف ومتوازن [١] وهذه الأقسام تجمعها علاقة وطيدة بالتشكيل الصوتي :

١- المتوازي : يعرف المتوازي بأنه " رعاية الكلمتين الأخيرتين في الوزن والروي " [٢] ، والمتوازي بهذا التعريف يحمل دلالات إيقاعية ، فالوزن جزئ من الإيقاع والحرف الأخير كذلك ، " والكلام الموزون ذو النغم الموسيقي يثير فينا انتباها عجيبا ؛ وذلك لما فيه من توقع لمقاطع خاصة تنسجم مع ما نسمع لتتكون منها جميعا تلك السلسلة المتصلة من الحلقات التي لا تنبو إحدى حلقاتها عن مقاييس الأخرى ، والتي تنتهي بعدد معين من المقاطع بأصوات بعينها " [٣] . وقد وجدت الفواصل المتوازية في نصوص الجنة بصورة لافتة للنظر ، وامتدت لتشمل مشاهد بأكملها ، وهي بذلك تؤسس بيئة إيقاعية تطرد فيها النغمات ، وتتوافق معها الحركات ، كما يتضح من قوله تعالى : { وجوه يومئذ ناعمة * لسعيها راضية * في جنة عالية * لا تسمع فيها لاغية * فيها عين جارية * فيها سرر مرفوعة * وأكواب موضوعة } [٤] .

فالفواصل (راضية ، عالية ، لاغية ، جارية) تتوازى في الوزن :

راضية ⟸ را ، ض ، ية مقطع متوسط ، مقطع قصير ، مقطع متوسط .

عالية ⟸ عا ، ل ، ية مقطع متوسط ، مقطع قصير ، مقطع متوسط .

لاغية ⟸ لا ، غ ، ية مقطع متوسط ، مقطع قصير ، مقطع متوسط .

جارية ⟸ جا ، ر ، ية مقطع متوسط ، مقطع قصير ، مقطع متوسط .

وتتوازى في حرف الروي أيضا ، وهو الياء تليها التاء الساكنة بالوقف . كما جاءت الفاصلتان (مرفوعة ، موضوعة) على وزن واحد ، وختمتا بروي العين ، إضافة إلى ما أدخله الطباق بين الكلمتين من الدهشة وشدة الانتباه .

١- الزركشي ، ١٠٤/١ .

٢- ابن القيم الجوزية ، الفوائد المشوق، ٢٢٦ .

٣- أنيس ، موسيقى الشعر ، ١٣ .

٤- الغاشية ، ٨ – ١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتكرر المشهد في سورة أخرى ، ولكن بتفاصيل وجزئيات تبرز خصوصيته ، حيث يقول تعالى :

{... فهو في عيشة راضية * في جنة عالية * قطوفها دانية * كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية } [1] ، فالكلمات (راضية ، عالية ، دانية ، خالية) يجمعها التوازي وزنا ورويا . وهناك مقاطع أخرى يكون للوزن دور في التشكيل الصوتي ، إذ يمتد ليشمل أجزاء من التركيب ، ويخلق جوا موسيقيا أثيريا ، يتواءم مع التلاوة وأنغامها وقدرتها على تحقيق الطرب ، ، ومن هذا قوله تعالى :

{ وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين }

{ في سدر مخضود }

{ وطلح منضود }

{ وظل ممدود } [2]

فالمقاطع تتوازن أولاً في كل من (سدر ، طلح ، ظل) ، وتتوازى الفواصل (مخضود منضود ، ممدود) في الوزن والروي :

مخضود ⟸ مخ ، ضود مقطع متوسط ، مقطع طويل

منضود ⟸ من ، ضود مقطع متوسط ، مقطع طويل

ممدود ⟸ مم ، دود مقطع متوسط ، مقطع طويل

وقد يُلتزم قبل حرف الروي حرف آخر ، وهو ما يعرف بلزوم ما يلزم فيعمق الإيقاع الصوتي ، ومن ذلك قوله تعالى : { لا مقطوعة ولا ممنوعة } [3] ، وقوله تعالى أيضا : { ولقّاهم نضرةً وسرورا * وجزاهم بما صبروا جنّةً وحريرا } [4] . فالتوازي متحقق بين كل زوجين (مقطوعة ، وممنوعة) و (سرورا ، وحريرا) ، كما أن الكلمتين (نضرة ، وجنة) يحفهما التوازي بالوزن والروي .

١- الحاقة ، ٢١ – ٢٤ .

٢- الواقعة ، ٢٨ – ٣٠ .

٣- الواقعة ، ٣٣.

٤- الإنسان ، ١١، ١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويحقق التوازي أيضا أداء إيقاعيا من خلال قوله تعالى :{ حدائقَ وأعنابا * وكواعبَ أترابا } [1] ، وقوله تعالى أيضا : { وتلك الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون * لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون } [2] .

٢ — **المُطرّف** : وإذا كان المتوازي يحقق التكامل في الإيقاع باتفاقه وزنا ورويا ، فإن **المطرف** يحقق جانبا إيقاعيا واحدا وذلك " أن تتفق الكلمتان الأخيرتان في الحرف الأخير دون الوزن " [3] ، وهو بهذا يأتي في المستوى الثاني لإيقاع الفواصل ، وأحرف الروي التي تتكرر في نهاية كل مقطع تزيد من قوة التوقع ، وتغطي على بعض الاختلافات الناشئة عن الوزن ، " فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها ، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة " [4] . ونحاول النظر في نصوص الجنة لنتعرف إلى الدور الذي يقوم به المطرف في التشكيل الجمالي للأصوات من خلال قوله تعالى : { هذا ذكرٌ وإنَّ للمتقين لحسنَ مآب*جناتٍ عدنٍ مفتحة لهم الأبواب*متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثير وشراب*وعندهم قاصرات الطرف أتراب*هذا ما توعدون ليوم الحساب }[5].

فالفاصلتان (مآب ، والأبواب) تتفقان في حرف الروي ، وهو الباء الساكنة ، غير أنّهما تختلفان في الوزن :

وتتفق الفاصلتان (شراب ، وأتراب) ، في حرف الروي ويفترقان بالوزن ، وعلى الرغم من اختلاف هذه الفواصل في الوزن إلاّ أنّ القرآن ناوب بينهما في السياق لتعود النغمة الأولى إلى الأذن ، وهكذا في الثانية والثالثة والرابعة ؛ ممّا يحقق التنويع الموسيقي في الآيات .

ويقول تعالى : { تعرف في وجوههم نضرة النعيم*يُسقون من رحيق مختوم }[6].ويقول تعالى : { وفاكهةٍ مما يتخيّرون *ولحمِ طيرٍ مما يشتهون }[7] ويقول تعالىأيضا: { وجوهٌ يومئذ مسفرة*ضاحكة

١- النبأ ، ٣٢، ٣٣ .

٢- الزخرف ، ٧٢، ٧٣.

٣- ابن القيم ، الفوائد المشوق ، ٢٢٧.

٤- أنيس ، موسيقى الشعر ، ٢٤٦ .

٥- سورة ص ، ٤٩ -٥٣ .

٦- المطففين ، ٢٤، ٢٥ .

٧- الواقعة ، ٢٠، ٢١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مستبشرة }[1]. فالفواصل في الآيات (النعيم ، ومختوم) و (يتخيرون ، يشتهون) و (مسفرة ، مستبشرة) تأتلف في أحرف الروي (الميم والنون والراء) على الترتيب ، غير أنّ الوزن فيها مختلف .

٣- **المتوازن** : وإذا كان المطرف قد حقق الإيقاع الموسيقي بالتزامه الحرف الأخير دون الوزن ، فإنّ المتوازن يحقق الإيقاع على نسق مختلف ، وذلك بأن تأتي " ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في الوزن ... وللكلام بذلك طلاوة ورونق ، وسببه الاعتدال لأنه مطلوب في جميع الأشياء ، وإذا كانت مواقع الكلام معتدلة وقعت من النفس موقع الاستحسان "[2]. والمتوازن كثير في القرآن الكريم ، حتى إنّ ابن الأثير يرى أنّ " معظم آياته جارية على هذا النهج ، حتى إنه لا تخلو منه سورة من السور "[3]. والوزن كما هو معلوم جزء من الموسيقى بل هو اللبنة التي تؤسس عليها الأنغام في الشعر العربي ، ولنصوص الجنة في القرآن نصيب من هذه الإيقاعات ، يقول تعالى : { وأزلفت الجنة للمتقين غيرَ بعيد*هذا ما توعدون لكلِ أوّابٍ حفيظ }[4]. ويقول تعالى : { فيهن خيراتٌ حسان*فبأي آلاء ربكما تكذبان*حورٌ مقصوراتٌ في الخيام }[5]. ويقول تعالى أيضاً : { وظلٍ ممدود*وماءٍ مسكوب }[6].

فالفواصل (بعيد ، وحفيظ) و (حسان ، والخيام) ، وكذلك (ممدود ، ومسكوب) وإن اختلفت حروف مقاطعها التي ختمت بها ، إلا أنّ كل زوجين يتفقان في وزنٍ واحد ؛ ممّا ينشئ الإحساس بالنغم ، وبالأثر الموسيقي . والأمثلة على ذلك متعددة ، منها قوله تعالى : { إنا أنشأناهنّ إنشاءً*فجعلناهنّ أبكاراً }[7]، وقوله تعالى : { وإذا رأيتَ ثَمّ رأيتَ نعيماً وملكاً كبيراً*عاليهم ثيابُ سندسٍ خضرٌ وإستبرق وحُلّوا أساورَ من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهوراً }[8]، وقوله تعالى : { ونمارق مصفوفة*وزرابيّ مبثوثة }[9].

فالتوازن ظاهر بين كل فاصلتين مما يلي : (إنشاءً ، وأبكاراً) و (كبيراً ، وطهوراً) و (مصفوفة ومبثوثة) ، وممّا لا شك فيه أنّ التوازن في هذا الآيات

---

١ - عبس ، ٣٨،٣٩ .

٢- ابن الأثير ، ضياء الدين ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ١/٣٧٧، ٣٧٨.

٣ - نفسه ،١/٣٨٠.

٤ - سورة ق ، ٣١- ٣٢ .

٥ - الرحمن ، ٧٠- ٧٢ .

٦ - الواقعة ، ٣٠ -٣١ .

٧ - الواقعة ، ٣٥- ٣٦.

٨- الإنسان ، ٢٠- ٢١.

٩ - الغاشية ، ١٥- ١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جميعاً يلبي طموح القارئ في تحقيق التواؤم الإيقاعي ، ويعد بذلك مسرباً من مسارب التشكيل الصوتي .

ويظهر ممّا سبق أنّ نصوص الجنة في القرآن تحقق الإيقاع الصوتي في أرفع مستوى ، وأعلى درجة ، بالوزن مرة ، وبحرف الروي أخرى ، وثالثة بكليهما ، ولعلّ في هذا التشكيل الصوتي إيحاءٌ يرسم – فيما أرى – صورة للنعيم المتنوع والمتعدد ، وبذا يتسق الشكل الصوتي والمعنى والدلالة في حلقة واحدة .

قرائن الفواصل وعلاقتها بالتشكيل الصوتي :

تركز الحديث فيما مضى حول بيان جمال الفاصلة القرآنية بوصفها الكلمة الأخيرة التي تختم بها الآيات من زوايا عدة ، على نحو ما عالجناه في الصفحات السابقة ، غير أنّ الجمال الصوتي لا يقتصر على ذلك ، بل يمتد ليشكل جسراً يضم الفاصلة إلى ما يسبقها من مقاطع الكلام ، وهو ما اصطلح على تسميته بالقرائن .

وينصرف الأصل اللغوي (ق ، ر ، ن) إلى دلالة تقع على معنى وصل الشيء بالشيء واجتماعه ومصاحبته لعلاقة أصلية بقرني الدابة إذ لا يكونان إلا معاً ، فنقول : " قرن الفرس قرناً : وقعت حوافر رجليه مواقع حوافر يديه، وقرن الشيء إلى الشيء : وصله وشده إليه . واقترن الشيء بغيره : اتصل به وصاحبه ، وتقارن الشيئان : تلازما "[1]، وقرينة الفاصلة هي القطعة من الكلام المتصلة بسياق الآيات التي تسبق الفاصلة لتحقيق معنى ما ، وفي هذا يقول صاحب البرهان : " اعلمْ أنّ من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة– مقاطعَ الكلام وأواخرَه ، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله ، فلا بدّ أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولاً ، وإلا خرج بعض الكلام عن بعض ... وهي منحصرة في أربعة أشياء : التمكين ، والتوشيح ، والإيغال ، والتصدير "[2].

وائتلاف الفاصلة مع قرائنها عدا ما يحققه من الجانب المعنوي يتصل بالجانب الصوتي أيما اتصال ، وسنحاول أن نجمع بين الأمرين ما أمكن .

ففيما يتعلق بالموضع الأول ، وهو التمكين ، فقد أدرجه ابن أبي الأصبع تحت " باب ائتلاف الفاصلة مع ما يدلّ عليه سائر الكلام "[3].

والتمكين : هو " أن يمهد قبلها - {أي الفاصلة} – تمهيداً تأتي به الفاصلة ممكّنة في مكانها ، مستقرة في قرارها ، مطمئنة في موضعها ، غير نافرة ولا قلقة ، متعلقاً معناها بمعنى الكلام كله تعلقاً تاماً ، بحيث لو طرحت اختل المعنى واضطرب

---

١ – المعجم الوسيط ، مادة قرن .

٢ ــ الزركشي ، ١٠٧/١.

٣– المصري ، ابن أبي الأصبع ، بديع القرآن ، ٨٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفهم "[1]. ويفهم من هذا النص أنّ التمكين يؤدي دوراً في التشكيل الإيقاعي ، يتمثل في مناسبة سائر الكلام لنهايته ، وهذه المناسبة هي التي تحقق الائتلاف ، وتزيل قلق الكلام ونفوره ، وبذا تحقق الانسجام للقارئ ، ولا تُلبس عليه المعنى ، وإنما ينبني الفهم على الانسجام الحاصل بين الصوت والمعنى . ولتوضيح ذلك في نصوص الجنة نأتي بالنماذج ، حيث يقول تعالى : { قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد }[2]. ففي هذه الآية ما يقرّ بالأفضلية للجنة ونعيمها ، ويميزها عن النعيم الظاهر في الدنيا الذي يشير إليه اسم الإشارة (ذلكم) من شهوات وأموال ونساء ... ، ومعلوم أنّ متع الدنيا ظاهر فعلها في الناس ، ومتحقق بالمشاهدة والممارسة ، ونعيم الجنة موعود به غيباً ، ولذلك ختمت الآية بما ختمت ؛ لأنّ الذي يبصر الناس ويعلم سرّهم وعلانيتهم هو الذي ينبئ بالأفضل ويخبر بالأحسن ، فناسب صدق الأنباء صفة البصر .

ويقول الله تعالى : { إنّ الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ج إنّ الله يفعل ما يريد }[3]. ولطيفة ختم الآية تتمثل في أنّ إدخال المؤمنين الجنة فعل يحتاج إلى إرادة قادرة على تحقيق ذلك الفعل ، فختمت بقوله : (إنّ الله يفعل ما يريد) ؛ تأكيداً للفعل ونسبته إلى الله تعالى ، ومن تمام المناسبة أنّ القرآن استهل الآية بالتوكيد والفعل المضارع (إنّ الله يدخل) ، وختمها بالتوكيد والفعل المضارع أيضاً (إنّ الله يفعل) ، ولو قال : إنّ الله يقدر ، لم تدلّ القدرة على جريان الفعل حقيقة ، فجاءت الفاصلة ممكّنة في مكانها ، ومناسبة لمجمل الكلام .

ويقول تعالى أيضاً : { قالوا إنّا كنّا قبل في أهلنا مشفقين*فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السّموم*إنّا كنّا من قبل ندعوه صلى إنه هو البر الرحيم }[4]. والواضح أنّ القرآن ختم الآية بذكر صفتي البرّ والرحمة ؛ لأنّ الأولى - أي البَر - ومعناها : المحسن تناسب صفة المَنّ وصفة استجابة الدعاء ، في حين ناسبت الصفة الثانية (الرحيم) الوقاية من العذاب ، والمناسبة بينهما ظاهرة ، والتمكين بذلك يحقق المراد .

ويقول تعالى : { أمّا الذين سُعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك صلى عطاءً غير مجذوذ }[5]. وقد يتبادر لذهن القارئ ، ويخطر بباله أنّ ثمّة تناقضاً ، فنعيم الجنة خالد لا يفنى ، والآية في ظاهرها توحي بأن النعيم

١- الزركشي ، ١/١٠٨.

٢- آل عمران ، ١٥ .

٣- الحج ، ١٤ .

٤- الطور ، ٢٦-٢٨.

٥- هود ، ١٠٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قد يفنى بزوال السماوات والأرض ، فجاءت الفاصلة لتقطع الشك ، وتعزز اليقين في نفوس المؤمنين بأنّ هذا العطاء غير مقطوع .

ومن ذلك قوله تعالى : { جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه }[1]، إذ ختمت الآية بالعمل الذي يستحقه الجزاء المذكور في أولها .

ومما يتصل بالتمكين اختلاف الفواصل في مواقع متعددة ، على نحو ما نجده في قوله تعالى في بيان جزاء الكافرين : { جزاءً وفاقاً }[2]، وفي خبر المؤمنين : { جزاءً من ربك عطاءً حساباً }[3]، وتتمثل اللفتة القرآنية هنا فيما أورده صاحب التفسير الكبير بقوله : " وفي المعنى وجهان الأول : أنه تعالى أنزل بهم عقوبة شديدة بسبب أنهم أتوا بمعصية شديدة ، فيكون العقاب (وفاقاً) للذنب ... والثاني : أنه (وفاقاً) من حيث أنه لم يزد على قدر الاستحقاق ولم ينقص عنه "[4].

وأمّا قوله : (جزاءً من ربك عطاءً حساباً) ، " وهو أنّ ذلك الاستحقاق إنما يثبت بحكم الوعد لا من حيث إنّ الفعل يوجب الثواب على الله ، فذلك الثواب – نظراً إلى الوعد المترتب على ذلك الفعل – يكون جزاءً ، ونظراً إلى أنه لا يجب على الله لأحد شيء يكون عطاءً "[5]، وهذا العطاء موصوف بالكفاية التي تدعمها كلمة (حساباً) وبهذا يشكل التمكين زاوية من زوايا الجمال الصوتي لنصوص الجنة في القرآن .

ومن قرائن الفاصلة التصدير[6]: وهو مظهر من مظاهر ترابط الكلام ، وحقيقته " أن تكون تلك اللفظة بعينها تقدمت في أول الآية ، وتسمى أيضاً ردّ العجز على الصدر "[7]. ويعرفه ابن أبي الأصبع بقوله : " عبارة عن كل كلام بين صدره وعجزه رابطة لفظية غالباً أو معنوية نادراً ، تحصل بها الملاءمة والتلاحم بين قسمي كل كلام "[8]. والفرق بينه وبين التوشيح : " أنه إن تقدم لفظها بعينه في أول الآية سمي تصديراً ، وإن كان في أثناء الصدر سمي توشيحاً "[9]. وفرق آخر يتمثل في " أنّ

١- البينة ، ٨ .

٢- النبأ ، ٢٦.

٣- النبأ ، ٣٦.

٤- الرازي ، فخر الدين ، التفسير الكبير المسمى (مفاتيح الغيب) ، ١٥/٣٢.

٥- نفسه ، ٢٠/٣٢.

٦- ويسمى الترديد أيضا ، ينظر ابن منقذ أسامة ، البديع في نقد الشعر ، ٨٥.

٧- السيوطي ، الاتقان ، ٢٢٣/٢.

٨- ابن أبي الأصبع ، ٣٦ .

٩- الزركشي ، ١٠٧/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التوشيح دلالته معنوية ، وذاك – أي التصدير – لفظية "[1]. ومن الملاحظ هنا تداخل مفهومي التصدير والتوشيح " وربما اختلط التوشيح بالتصدير لكون كل منهما صدره يدلّ على عجزه "[2]، فآثرت لذلك أن أدرس التصدير فقط ؛ لأنه أدخل في التشكيل الصوتي .

وللتصدير فوائد تتصل بالإيقاع الموسيقي ، فهو يعطي الكلام " أبّهة ويكسوه رونقاً وديباجة ، ويزيده مائية وطلاوة "[3]. ويلمس من كلمة (مائية) تلك السلاسة والعذوبة التي يحققها . ويقوم التصدير على ترديد كلمة بعينها أو مشتقاتها في الكلام ، والقصد من التكرار والإعادة " استجلاب النغمة نفسها ، واستبقاء أثرها في الأذن ؛ لأنّ المتكلم أحسّ أنّ طاقات الكلمة وشحناتها لم تنفذ بعد فكررها "[4]، وهذه الفوائد ستتضح في التطبيق ، يقول تعالى : { ... ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب }[5]، فقد تكررت كلمة (ثواب) مرتين ، والتكرار هنا تركيز للمعنى ، وتأكيد على أنّ هذه الجنات كانت ثواباً للمؤمنين على أعمالهم الصالحة والثواب لا يأتي إلا بعد عمل . وإذا كان الناس يثيبون بعضهم بعضاً فإنّ الله عنده الثواب الحسن الذي لا يقارن بثواب مخلوق .

ويقول تعالى : { لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون "[6]، إنّ ترديد (أصحاب الجنة) يعطي القارئ لذة في إعادة ذكرهم . وقد ترك ذكر أهل النار ، فلم يقل وأصحاب النار هم الخاسرون مثلاً ؛ إهمالاً لشأنهم ، والملاحظ أنّ المسافة الكتابية بين تكرار الكلمتين تكاد تكون معدومة لولا حالة الوقف الجائز ، وفي هذا التلاحق إشعارٌ بمنزلتهم .

وتتكرر كلمة الوعد كثيراً في آيات الجنة ، وتكرار الوعد (بألفاظ مختلفة) تأكيدٌ لنفاذه ، وترسيخه في ذهن السامع ، وقيمة الوعد عظيمة في نفس العربي ، ومنزلته عالية ، فقد قالوا في المثل : " أنجز حرّ ما وعد "[7]، ونستذكر في هذا المجال قول الشيطان يوم القيامة لأتباعه { إنّ الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم }[8]. وفي

١-ينظر السيوطي ، الاتقان ، ٢/٢٢٤.

٢-الزركشي ، ١/١٠٨ .

٣- ابن رشيق ، أبو علي ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ٢/٣ .

٤- سلطان ، منير ، البديع تأصيل وتجديد ، ١٠١ .

٥- آل عمران ، ١٩٥.

٦- الحشر ، ٢٠.

٧- ينظر البكري ، أبو عبيد ، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ، ٨٥.

٨-سورة إبراهيم ، ٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه الفاصلة معنىً زائد: يتمثل في عظمة الفوز الذي حازه الصادقون ، وأيّ فوزٍ بعد رضا الله ودخول الجنة ؟ وهذا الإيغال يتكرر في نصوص الجنة كثيراً[1].

ومن أمثلة الإيغال أيضاً قوله تعالى : { إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون }[2]، وقوله تعالى : { للذين أحسنوا الحسنى وزيادةc ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلةc أولئك أصحاب الجنةصلى هم فيها خالدون }[3]، والمعنى - كما هو جليّ - قد تمّ في الآيتين بقوله تعالى : (أولئك أصحاب الجنة) ، ولكن لَمّا كانت هذه القرينة لا تصلح أن تكون فاصلة ، أردفها بفاصلتها الأثيرة في القرآن ، وهي (هم فيها خالدون) ، فأفاد معنىً جديداً يتصل بشعور الإنسان الدائم للخلود والبقاء .

ويقول تعالى : { إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنّا لا نضيع أجر من أحسن عملاً*أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلّون فيها من أساورمن ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائكc نعم الثواب وحسنت مرتفقاً }[4]، فإنّ المعنى تَمّ بقوله (نعم الثواب) ، ثمّ أراد فاصلة تناسب رؤوس الآيات ، فأوغل بها ، حتى أتى بقوله (وحسنت مرتفقاً) ، وبه يتمّ إيقاع المقطع، وبه أيضاً أفاد معنىً آخر يتمثل في حسن الاتكاء الدائم . الذي تفيده كلمة (مرتفقا)

وهكذا يتضح لنا أنّ علاقة الفاصلة بقرائنها يحقق الانسجام الموسيقي الذي يتولد عنه الانسجام المعنوي ، وتبيّن أنّ التمكين والتصدير والإيغال مظاهر تتجلى فيها القدرة على التشكيل الصوتي بصورة فائقة دون أن تخلّ بمعنى ، أو تأتي متكلفة في مكانها ، ولعلّ في ذلك ما يؤكّد أنّ الإعجاز القرآني قائم على موسيقاه الشجية ، التي تتولد عنها المعاني في كل حين . وسنحاول البحث عن جمال التشكيل الصوتي في جانب آخر من جوانب الإيقاع في القسم الثاني الذي يدرس القيم التعبيرية للأصوات .

القيم التعبيرية للأصوات

ننطلق في صياغة هذا القسم من البحث من قاعدة تؤمن بالمناسبة الطبيعية بين الصوت والمعنى ، ومقصدنا من وراء هذه القاعدة الكشف عن العلاقات الماثلة بين أصوات اللغة ومعناها الذي تحمله ، وسنقصر الحديث هنا على نصوص الجنة بصفة

١- ينظر الآيات النساء ، ١٣٥، التوبة ، ٧٢، ٨٩، الدخان ، ٥٧.

٢- هود ، ٢٣ .

٣- يونس ، ٢٦.

٤- الكهف ، ٣٠، ٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خاصة . ومن البدهي أنّ الأصوات بمفردها لا تحمل دلالة ألبتة ، غير أنها إذا انتظمت في لفظ أو تركيب حازت على معناها من خلال هذا اللفظ وذلك التركيب .

وفيما يلي سنحاول تبيان قيم الأصوات التعبيرية ، وكيف يمكن أن تؤدي دوراً ما في الإيحاء بالمعنى المقصود ، وذلك بتعقب آراء بعض المتقدمين والمحدثين في هذه القضية ، فابن جني – مثلاً – يؤكد الصلة الطبيعية بين الصوت والمعنى ، فهو يقول في (باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني) : " اعلَمْ أنّ هذا موضع شريف لطيف ، وقد نبّه عليه الخليل وسيبويه ، وتلقّته الجماعة بالقبول له ، والاعتراف بصحته "[١]. وفي موضع آخر من الباب نفسه يكشف عن رأيه بصيغة لا تقبل الريب ، فيقول : " فأمّا مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب واسع ... وذلك أنّهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبّر عنها ، فيعدّلونها بها ، ويحتذونها عليها ... ، وذلك أكثر ممّا نقدّره ، وأضعاف ما نستشعره "[٢]. ويؤكد السيوطي هذه الصلة حين يقول : " وأمّا أهل اللغة والعربية ، فقد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعاني "[٣].

غير أنّ الجرجاني – مؤسس نظرية النظم – يرفض الصلة بين الصوت ومعناه ، ويصفها بالاعتباطية والفوضوية ، ويُرجع الدلالة إلى نظم الكلام ، لا إلى نظم الحروف فيقول : " وممّا يجب إحكامه بعقب هذا الفصل [نظم الكلام بحسب المعاني]الفرق بين قولنا حروف منظومة ، وكَلِمٌ منظومة ، وذلك أنّ نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط، وليس نظمها بمقتضى عن معنى ، ولا الناظم لها بمقتفٍ في ذلك رسماً "[٤]. وأرى أنّ الجرجاني بموقفه هذا يضيّق على اللغة ، ويحدّ من إمكاناتها وطاقاتها ، ولعلّ ما دفع الجرجاني إلى تبنّي هذا الرأي هو خوفه من الوقوع في التناقض ، فكيف يقول : إنّ صيغ الألفاظ – بوصفها أصواتاً – تحمل الدلالة في ذاتها ، وهو ينسف ذلك في نظريته ؟!

ولقد حاول عالم معاصر التوفيق بين الرأيين ، والتوسط بين الموقفين ، آخذاً من هذا بطرف ، ومن ذاك بطرف ، فقال : " ونحن حين نتخذ طريقاً معتدلاً بين هؤلاء وهؤلاء ندرك كلّ الإدراك أنّ في اللغة معانيَ تتطلب أصواتاً خاصة ، وأنّ هناك من المدلولات ما تسارع اللغة للتعبير عنه بألفاظ معينة ، وربّما كان من العسير حصر تلك

١- ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، الخصائص ، ١٥٢/٢.

٢- نفسه ، ١٥٧/٢.

٣- السيوطي ،عبد الرحمن ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، ٤٧/١.

٤- الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المجالات اللغوية التي نلحظ فيها وثوق الصلة بين الأصوات والمدلـولات "[1]، ويقـف البحث بجانب الرأي القائل بالوسطية ، فليس الإثبات على إطلاقه ، كما أننـا لا ننفـي الصلة على إطلاقها ، وإنما الاعتقاد أنّ جانباً كبيراً من اللغة وضع أصلاً بنـاءً علـى الأصوات التي لها إمكانات التعبير عن المعنى ، كتقليد أصوات الطبيعة وما فيها مـن مظاهر ... وهذا ما " لم يستطع أحد من اللغويين إنكاره ، حتى أولئك الذين غالوا فـي معارضة فكرة الاتصال العقلي بين الأصوات والمدلولات "[2].

إنّ فكرة الإفادة من طبائع اللغة وتوقيفاتها فكرة معقولة ، راقت الدراسات الحديثة فهي تؤكد وجود ما يسمّى بالأسلوبية الصوتية التي تعتمد " علـى مفـهوم المتغـيرات الصوتية الأسلوبية ، وبمقدار ما يكون للّغة حرية التصرّف ببعض العناصر الصوتيـة للسلسلة الكلامية ، تستطيع اللغة أن تستخدم تلك العناصر لغايات أسلوبية "[3].

واللغة العربية تمتاز عن بقية اللغات بهذه المتغيرات ، ونحن نأخذ على الدراسات القديمة تقصيرها في هذا الجانب ، نعم ، درس القدماء الأصوات ومخارجها وأصنافـها وصفاتها ، غير أنهم لم يتجاوزوا ذلك إلى الربط بين الأسس الصوتية السابقة والمعـاني التي تحققها . ولقد أحسن علماء الشريعة حينما اتخذوا من المعارف الصوتيـة وسـيلة لإيجاد علم عظيم هو علم التجويد وأحكام التلاوة ، وعلى العموم يمكن القـول : " إنّ للأصوات قيمة تعبيرية ، أحياناً تأتيـها مـن خصائصـها الفيزيائيـة (الطبيعيـة) ، والأكوستيكية (الطبيعية) ، ومن التداعيات بالمشابهة "[4].

وسأطبق مضمون الكلام السابق على نصوص الجنة في القرآن علـى مسـتوى الصوت المفرد ، وأثر تكراره في توجيه المعنى ، ومن زاوية اللفظ الواحد ، مراعياً في عملي عدم التكلف ؛ لنرى مدى تأثير هذه الأمور في التشكيل الصوتي .

تكرار الصوت المفرد وعلاقته بالدلالة

تقدّم أنّ الصوت المعزول عن إطاره اللغوي يتجرّد من دلالته حتماً ، غـير أنّ تكرار الصوت الواحد في تركيب ما ، قد يعطي الدارس نوعاً من الجرأة في اسـتخدام حدسه الدلالي ، كما أنّ ترديد الأصوات على نسق معين ، قد يفضي إلى تشكيل جمالي من خلال سياقه الموجود فيه ، فثمّة " تفاعل مستمر بين التشكيل الصوتـي والسـياق ؛ بمعنى أنّ السياق قد يوسّع مدلول الصوت الأصلي أو يعدّله ، وقد يؤدي إلى تغيـيره ،

١-.أنيس ، من أسرار اللغة ، ١٤٥

٢- أنيس ،من أسرار اللغة ، ١٤٥.

٣- جيرو ، بيير ، الأسلوبية ، ترجمة ، منذر عياشي ، ٦٠.

٤- مفتاح ، محمد ، تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناص ، ص ٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو يوجّه تصوّرنا له "[1]. وتكرار الأصوات وتواليها عبر مساحات متناسقة ، يشبه تكرار الألوان في لوحات مختلفة ، مع احتفاظ كل لوحةٍ بمذاقها الخاص ، ورؤيتها المتميزة ، ولعلّ هذه الظاهرة - أعني تكرار الأصوات - موجودة في الشعر العربي ، " فقد كان الشاعر يسعى إلى تحقيقه من طريقين متقابلين : أحدهما نمطي يتصل بنظم القصيدة القديمة ... والثاني إبداعي يكشف فيه الشاعر عن قدراته الخاصة في إحداث أصوات بعينها تتكرر في كل بيت على حِدة ، فتخلق في داخله (جناساً صوتياً) "[2]. غير أنّ التكثّر والمبالغة في هذا الأمر يخرج بالدراسة الجمالية إلى السؤم والملل " فليس تكرار الحروف قبيحاً إلا حين يُبالغ فيه ، وحين يقع في مواضع من الكلمات يجعل النطق بها عسيراً ، فالمهارة هنا تكون في حسن توزيع الحرف حين يتكرر ، كما يوزع الموسيقي الماهر النغمات في نوتته "[3]. وسنختبر تكرار الحروف في الآيات التي قد توحي بشيء من الاستدلال على المعنى ، يقول تعالى : { عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلّوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهوراً }[4]، إنّ القارئ لهذا النص يجد تكرار صوتَي السين والراء بنسبة تفوق بقية الأصوات ، ونقرأ معاً النص التالي : " أولئك لهم جنات عدنٍ تجري من تحتها الأنهار ، يُحلّون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقاً }[5]. إنّ الأصوات التي يبقى رنينها في الأذن،ويستمرّ صداها في النطق هي نفسها (السين والراء)، ونتساءل : هل لهذا التكرار علاقة بالمعنى ؟

ونخال أنّ ذلك واقع ؛ فتكرار صوت السين بما يتميز به هذا الصوت من الهمس والصفير ، ولا يهتز الوتران الصوتيان عند النطق به[6]، فيخرج سهلاً دون إعاقة من سدّ ، أو التقاء مع أعضاء أخرى . نقول : إنّ السين بملامحها تلك تناسب ثياب أهل الجنة من (السندس) ، وهو ما رقّ من الديباج ، و (الإستبرق) ، وهو ما غلظ منه ولعلّ ألفاظاً في اللغة تساندنا هنا ، " ومنها الثوب المسّل ... فاليد إذا مرّت عليه للّمس لم يستوقفها عنه جدّة المنسج ولا خشنة الملمس " [7]. " ومنها اللمس وذلك أنه إن عارض اليد شيء حائل بينها وبين الملموس ، لم يصح هناك لمس "[8]. والانطباع الذي يخرج

١- سلوم ، تامر ، نظرية اللغة والجمال في النقد الأدبي ،٤٤، ٤٥ .

٢- محمد ، إبراهيم عبد الرحمن ، الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية ، ٢٩٢ .

٣- أنيس ، موسيقى الشعر ، ٤١.

٤- الإنسان ، ٢١ .

٥- الكهف ، ٣١.

٦- ينظر أنيس ، الأصوات اللغوية ، ٧٥.

٧- ابن جني ، الخصائص ، ٢/ ١٣٧.

٨- نفسه ، ١٣٨/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيه الدارس هو تلك العلاقة الإيحائية التي يتضمّنها صوت السين ، وتتوافق مع الرقّة والنعومة لثياب أهل الجنة . ونتساءل أيضاً : هل لصوت السين علاقة بلفظ (أساور) ؟ ويبدو أنّ صوت السين الصفيري يرسم صدى الأساور المتحركة ، حتى إنّ صوت الحليّ وهو (الوسواس)[1] يتكرر فيه صوت السين . ولعلّ في تكرار حرف الراء نوعا من إفادة الاستمرار والتأكيد كما أن تكرار صوت النون وهو صوت الغنة يعطي القراءة طابع التنغيم .

ونحاول أن نختبر صوت الراء في نص آخر وهو قوله تعالى : { **إنّ الأبرار يشربون من كأسٍ كان مزاجها كافوراً*عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً** }[2]، إذ يتكرر صوت الراء بشكل لافت ، " والصفة المميزة للراء هي تكرر طرق اللسان للحنك عند النطق بها "[3]، وهذا التكرار يوافق حركة الماء المتفجّر من عيون الجنة ، ولقد جاءت الراء في الألفاظ (الأبرارَ ، يشربون ، كافوراً ، يشرَب ، يفجرُونها ، تفجيرًا) محركةً بالفتح والضم ، والراء إذا جاءت كذلك فإنها تفخم في النطق وتصبح بذلك " من الناحية الصوتية أحد أصوات الإطباق "[4]، وهذا مما يزيد في قوة الحركة وعلوّها ؛ لأجل قوة التفخيم في الراء ، ولعلّ من المناسبة أن يأتي تكرار الراء في صوت الماء ، وهو (الخرير) ، وتسهم حروف المدّ (رو ، ها ، جي ، را) في تزويد الإيحاء وقتاً أطول .

وتشكل أحرف الاستعلاء (ص ، ض ، ط ، ظ ، خ ، غ ، ق) حيزاً صوتياً في بعض نصوص الجنة ، وتتميز هذه الأصوات عن غيرها بصفة التفخيم ، وهو " أثر سمعي ناتج عن ارتفاع مؤخرة اللسان قليلاً إلى أعلى في اتجاه الطبق "[5]. ويتلو الدارس قوله تعالى: { إنّ المتقين في جنات ونهَر*في مقعد صدق عند مليك مقتدر }[6]، حيث يلحظ ترديد الأصوات المفخمة بصفة بارزة ، من خلال الألفاظ (المتقين ، مقعد صدق ، مقتدر) ، ويُخيّل إلينا أنّ في دواخل هذا التكرير ظلالاً لمعنى العلوّ والرفعة الذي يشهده المتقون ، وإيحاءً بسموّ المنزلة التي وصلوا إليها ؛ تعظيماً لشأنهم ، وهذه الإيحاءات تحققها أحرف التفخيم ، وكأنّ ارتفاع اللسان بالنطق نحو الطبق يوازي ارتفاع المؤمنين في درجات الجنة ، والآيتان السابقتان مقتبستان من سورة القمر ، فهل

١- الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، مادة (و س س).

٢- الإنسان ، ٥، ٦ .

٣- أنيس ، الأصوات اللغوية ، ٦٦ .

٤- نفسه ، ٦٦.

٥- النوري ، محمد جواد ، علم أصوات العربية ، ١٥٣.

٦- القمر ، ٥٤، ٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثمة توافق بين ارتفاع اللسان في الكلام ، وارتفاع النظر نحو السماء لرؤية القمر ، وبين ارتفاع شأن المؤمنين في الجنة ؟

ويتحسّس الدارس معاني حروف التفخيم في النص التالي : { وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد*هذا ما توعدون لكلّ اوابٍ حفيظ*من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلبٍ منيب*ادخلوها بسلامٍ ذلك يوم الخلود }[1]، فالألفاظ (المتقين ، غير ، حفيظ ، خشي ، الغيب ، قلب ، ادخلوها ، الخلود) تتميز عن غيرها من كلمات النص بتكرار أحرف التفخيم ، ونحسب أنّ في هذا التكرار دلالةً تتأتى من خلال معاني الكلمات التي تحتوي على هذه الأصوات ، وهي (التقوى ، الحفظ ، الخشية ، الغيب ، القلب ، الدخول ، الخلود) ، فهذه المفاهيم عظيمة ، تستحق التمايز والاهتمام والتأكيد ، وهذا ما تقوم بتجليته أحرف التفخيم ، وهو جزء من الدلالات التي استطعنا أن نكشف عنها ، بينما خفي عنّا كثير منها .

ومن خلال ما تقدم ، يظهر أثر تكرار الأصوات في الدلالة و الموسيقى ، ومن هنا " فإنّ عودة الحرف في الكلمة تكسب الأذن هذا الأنس ، لو لم يكن لعودته مزية أخرى تعود إلى معناه "[2].

وننتقل إلى التشكيل الصوتي للفظ الواحد ، لنرى سرّ التشكيل له ، وقدرته على إبراز الدلالة وحملها .

علاقة اللفظ بالتشكيل الصوتي

تشكل الكلمة الدائرة الثانية بعد الصوت المفرد ، وقد عثرت في نصوص الجنة على بعض الألفاظ التي يمكن تخريجها – دلالياً – ، عن طريق تحليلها صوتياً ، ويشير الدكتور يحيى جبر إلى هذا الأمر ويعدّ ذلك من الظواهر التي تعكس (ديناميكية) اللغة فبعد أن يستفيض في ذكر الأمثلة ، يخلص منها إلى القول : بأنّ " لكلّ صوت من أصوات العربية معنىً يسهم به مع غيره في توجيه دلالة الجذر الذي يشترك فيه ، وأنّ هذه الأصوات لا تدلّ على معانيها بطريقة عفوية ، أو اصطلاحية تواضعت عليها الناس ، ولكن التعبير عنها يتمّ بموجات تُدرك بالسمع فالدماغ "[3] ، فمن تلك الألفاظ (**سلسبيلاً**) في قوله تعالى : { عيناً فيها تسمّى سلسبيلاً }[4]، وقد جاءت وحيدة المادة والصيغة ، ويحمل هذا المورفيم كتلةً من الأصوات الدالة على المعنى ، تتوحّد هذه الأصوات فيما بينها ، ويساند أحدها الأخر . فصوت السين المتكرر بملامحه التمييزية

١- سورة ، ق ، ٣١-٣٤.

٢- السيد ، عز الدين علي ، التكرير بين المثير والتأثير ، ١١.

٣- جبر ، يحيى ، نحو دراسات وأبعاد لغوية جديدة ، ١٦٠ .

٤- الإنسان ، ١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المتمثلة في الهمس والصفير ، والوضوح السمعي ، يوحي بخفة جريان الماء من هذه العين ، وصوت اللام الجانبي الذي يتميز بخصيصة الانحراف ؛ حيث يستمر تدفق الهواء عبر جانبي الفم ، وهذا يعبّر عن تواصل الماء وانسيابه وتسلسله ، وتساند الكسرة الطويلة هذا الجريان ، ولعلّ في القافية المطلقة استمراراً لزمن هذا الجريان ، وبذا يتشكل معنى اللفظة في اللغة ، أي " سهلاً لذيذاً سَلِساً ، حديد الجرية "[١]. ونختبر بعض الكلمات التي قد تسعفنا في إرساء هذا المعنى ، مثل التي تتكرر فيها الأصوات نفسها أو بعضها ، في لفظ (سلسبيل) مثل (سهل ، ساح ، السائب ، سال ، ساغ ، الْمَسَل) ، والكلمة الأخيرة يفسّرها ابن جني بقوله : " الْمَسَل والْمُسَل والمسيل كله واحد وذلك أنّ الماء لا يجري إلاّ في مذهب له ، وإمام منقادٍ به ، ولو صادف حاجزاً لإعتاقه فلم يجد متسرباً عنه "[٢]. وقد استغل أحد الشعراء هذه الكلمة ، فأحدث فيها جناساً صوتياً جميلاً بقوله [٣]

سل سبيلاً فيها إلى راحة النفـ ـسِ براحٍ كأنها سلسبيلُ

ومن الألفاظ التي يحمل فيها الصوت الدلالة ، لفظ (**غول**) ، وقد ورد في وصف خمر الجنة مرّة واحدةً مسبوقاً بنفي ، وذلك في قوله تعالى : { لا فيها غولٌ ولا هم عنها يُنزفون }[٤]، ومعناه اللغوي " غيبوبة العقل ، وأصله إهلاك الشيء ، من حيث لا يُحسّ به ... وقيل : الغول : الصداع والتدويم في الرأس "[٥]. وأعتقد أنّ الذي وجّه دلالة هذا اللفظ ليدلّ على الغيبوبة والهلاك ، هو حرف الغَيْن ، وجُلّ الكلمات التي تستهل بالغين تدلّ على الخفاء والاحتجاب ، وننظر في الكلمات التالية : الاغتيال ، الغلّ الغياب ، الغيم ، الغبار ، الغابر ، الغفران ، الغلام ، الغاسق ، الغبق ، الغمّ ، الغور ... نجد أنها تنبثق من دلالة واحدة ، هي الخفاء . وهل فعل الخمر في عقل شاربها إلا فعل في إخفائه ؟ حتى أنّ مخرج الصوت ، وهو أدنى الحلق فيه بعد ، وهو أدخل في الفم بل إنّ لفظ الغين نفسه يعني : الشجر الكثيف الملتف ، والإحاطة والغشية ، فيقال : غِين على قلبه : غشي عليه "[٦].

١- الراغب ، مفردات الفاظ القرآن ، مادة سلس .

٢- ابن جني ، ١٣٨/٢.

٣- الزمخشري ، الكشاف ، ١٩٩/٤.

٤- الصافات ، ٤٧ .

٥- السمين الحلبي ، أحمد ، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، مادة غول .

٦- المعجم الوسيط ، مادة غين .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونوظف أسلوب المقارنة بين أصوات الألفاظ أملاً في توضيح العلاقات الدلالية التي تتضمنها ، فكلمة (لغو) – مثلاً – وردت أيضاً في وصف خمر الجنة ، قال تعالى : { يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم }[1]. فهل ثمة اشتراك بين (غول) و (لغو) ؟ إنّ ثمة توافقاً في أصوات الكلمتين ، فضلاً عن علاقتهما الموقعية في وصف خمر الجنة ، ولكن بكسر ترتيبها ، فإن بحثنا عن معنى اللغو وجدناه : " الكلام القبيح ، والساقط من القول "[2]. وهل الكلام القبيح الساقط غير المعتدّ به إلا نتيجة لغياب العقل ، وهو (الغول) مادياً ومعنوياً ؟!

ومن المواد التي يتشكل معناها الدلالي وفقاً للتشكيل الصوتي (**نضاختان**) ، حيث وردت في وصف عيون الجنة ، وقد وردت وحيدة المادة والصيغة ، وذلك في قوله تعالى : { فيهما عينان نضاختان }[3]، والمعنى اللغوي للنضخ هو : رش الماء ، وعين نضاخة : كثيرة الماء[4]. وثمة لفظ آخر قريب في أصواته من النضخ ، هو النضح (بالحاء) ، والنضخُ فوق النضح ، ولقد أغفل صاحب المفردات في معجمه مادة (نضخ) ، وكذلك فعل الأندلسي في كتابه الموسوم (تحفة الأديب) ، ومن قال بمعناها لم يزد على ذكر الدلالة اللغوية ، دون أن يتعرض إلى الجهة التي جاءت من قبلها كثرة الماءوقلّته في اللفظين. وتسعفنا صفات الحروف في توجيه الدلالة ، فالخاء صوت مفخم ، وعند النطق به " يندفع الهواء ماراً بالحنجرة ، فلا يُحرك الوترين الصوتيين ، ثم يتخذ مجراه في الحلق ، حتى يصل إلى أدناه إلى الفم "[5]. ومن هنا يحمل صوت (الخاء) دلالة كثرة الماء وعظمه ، وأمّا الحاء – وهي صوت مرقق – فتحمل دلالة الضعف الذي تمثله قلّة الماء . ولعلّ في تقسيم سيبويه لمخارج الأصوات من الحلق ما يدعم هذا القول ، فهو يقول : " فللحلق منها ثلاثة : فأقصاها مخرجاً الهمزة والهاء والألف ، ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء ، وأدناها مخرجاً من الفم الغين والخاء "[6]. فهل لقرب مخرج الخاء من الفم ، وبعد مخرج الحاء عن الفم ، علاقة بنسبة ارتقاء الماء ونزوله ؟ومعنى الأصل نضخ -كما يقول الفيروز آبادي -: " ما اشتد فورانه من ينبوعه ، أو ما كان من سفل إلى علوّ "[7]. ولعلّ ابن جني قد أدرك ذلك بحسه اللغوي الرهيف ، فقال : " ومن ذلك قولهم : النضح للماء ونحوه ... قال

١- الطور ، ٢٣ .

٢- السمين الحلبي ، مادة لغو .

٣- الرحمن ، ٦٦ .

٤- السمين الحلبي ، مادة ، نضخ .

٥- أنيس ، الأصوات اللغوية ، ٨٨ .

٦- سيبويه ، ٤/ ٤٣٣.

٧- الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، مادة نضخ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعالى : {فيهما عينان نضاختان } فجعلوا الحاء- لرقتها- للماء الضعيف ، والخاء - لغلظها- لما هو أقوى "[1]. ولعلّ الزمن الذي يستغرقه نطق صوت اللين يسهم في علو الماء ، فأصوات اللين بطبيعتها أطول من الأصوات الساكنة . ولو طبقنا المقاطع الصوتية على (نضاختان) بهذه نظام المقاطع الصوتية على كلمة (نضاختان) بهذه الصيغة ، فقد نجد فيها تلك المناسبة بين الصوت والمعنى ، ويجدد معنى الفوران (ن ـَ ض/ضا/خ ـَ / تان . فالمقطع الأول ينتهي بحرف الضاد المفخم ، فعند النطق به " ينحبس الهواء عند التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ، فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا العليا سمعنا صوتاً انفجارياً "[2]. وما انفراج العضوين وانفجار الصوت بعد ذلك إلا ظل لحركة خروج الماء من العينين .

والكلمة الأخيرة التي يمكن معالجتها تحت باب التشكيل الصوتي ، كلمة(زحزح) في قوله تعالى : { ... فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور }[3]. والتشكيل الصوتي يعتمد على الصيغة الصرفية لهذا اللفظ ، وهي الفعل الرباعي المضعف ، ومصدره الزحزحة ، وهذه الصيغة تدل على التكرار ، كما يقرر ذلك ابن جني في باب (إمساس الألفاظ أشباه المعاني) ، حين قال : " وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير ؛ نحو الزعزعة ، والقلقلة ، والصلصلة ... فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر ... والمثال الذي توالت حركاته للأفعال التي توالت الحركات فيها "[4]. وبناءً على هذا الكلام نقول : إنّ صيغة (زحزح) تمثل حركة الزحزحة ، التي يتم فيها الابتعاد عن النار ، بما فيها من ثقل وبطء ، " وكل جذر يتوسطه الصوت المرموز له بالحرف (ح) فهو لدلالة على معنى الاحتكاك،والحك "[5]. والحاء لصَحْلها ، أي البحّة في الصوت[6]، تصوّر احتكاك شيئين ، والزحزحة تفعل ذلك ، وكأن عملية ابتعاد الإنسان عن النار عملية شاقة ، تحتاج إلى جهد وتعب ، وهذا التعب تمثله حركة الحاء بصفاتها السابقة ، وبعد ذلك لا يظنن أحد أن الأمر سهل ، بل يحتاج إلى عمل دؤوب.

١- ابن جني ، ٢/١٥٨.

٢- أنيس ،الأصوات اللغوية ، ٤٨ .

٣- آل عمران ، ١٨٥.

٤- ابن جني ، ٢/ ١٥٣.

٥- حجر ، يحيى ، نحو دراسات وأبعاد لغوية جديدة ،١٥٩.

٦- ينظر ابن جني ، ٢/ ١٦٣ ، الحاشية .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن صيغ الأفعال التي أدى تكرار الصوت فيها إلى معنى ما ، وانفرد بجزء من الدلالة عليه ، تلك الأفعال المضعفة العين ، وكل زيادة في المبنى ، تؤدي إلى زيادة في المعنى . ومنها أفعال وردت في صفة أهل الجنة وأهلها ، مثل الفعل (يحلّون) ، في قوله تعالى : { ... يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق }[1]، والفعل (فتحّت) في قوله تعالى : { حتى إذا جاؤوها وفتّحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم }[2]، وقد ورد هذا الفعل الأخير مبنياً للمفعول ، كما جاء في قوله تعالى : {جنات عدنٍ مفتّحة لهم الأبواب }[3]. وكذلك الفعل (وقّانا) في قوله تعالى : { ووقّانا عذاب السموم }[4]. الفعل (يصدّعون) من قوله تعالى:{ لا يصدّعون عنها ولا ينزفون }[5]. والفعل (لقّاهم) من قوله تعالى : { ولقّاهم نضرةً وسروراً }[6].

ولا شكّ في أنّ تضعيف عين الفعل دليل على المبالغة والقوة في الحدث ، فليس معنى الفعل (فتّح) كمعنى الفعل (فتَح) ، وليس الدلالة التي يحملها معنى الفعل(وقّى) هي نفسها في الفعل (وقى) ، وقد تولّدت هذه الدلالات الإضافية جرّاء تكرار الصوت ، ومثل هذا التكرار يزيدنا خبرة بمشاهد الجنة ، ويعرّفنا إلى الكثير من صفات أهلها ، وقد أشار ابن جني لمثل هذا بقوله : " ومن ذلك أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلاً على تكرير الفعل ، فقالوا : كسّر، وقطّع ، وفتّح ، وغلّق ؛ وذلك أنهم لَمّا جعلوا الألفاظ دليلة المعاني ؛ فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل "[7].

وبعد ، فقد حاول البحث أن يوظف بعض الجوانب الصوتية في الكشف عن جمال تشكيلاتها للمعاني ، مستفيداً من التنوعات الصوتية التي تمنحها اللغة على مستوى الصوت المفرد ، واللفظ المفرد ولقد حاول البحث أن يتلمّس الصلة القائمة بين الصوت ودلالاته في نصوص الجنة ، لا سيما أنّ إمكانات اللغة تقبل مثل هذه الإشارات ، كما أنّ العقل يعشق الكشف ، ومن ذاق عرف . ولعلّ ابن جني لمس صعوبة هذا المسلك ، فنبّه عليه بقوله : " الآن قد أنستك بمذهب القوم فيما هذه حاله ، ووقفتك على طريقه ، وأبديت لك عن مكنونه ، وبقي عليك أنت التنبّه لأمثاله ، وإنعام الفحص عمّا هذه حاله ... فأبْهْ له ولاطفه ، ولا تجفُ عليه ، فيُعرِضْ عنك ، ولا يبهأ بك "(٨)

١- الكهف ، ٣١.

٢- قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ، فتحت ، ينظر ، ابن مجاهد ، أبو بكر ، كتاب السبعة في القراءات ، ٥٦٤

٣- سورة ص ، ٥٠ .

٤- الطور ، ٢٧، على قراءة أبي حيوة ينظر الأندلسي ، البحر المحيط ، ٨/ ١٤٧ .

٥- الواقعة ، ١٩ .

٦- الإنسان ، ١١.

٧- ابن جني ، ٢/١٥٥.

٨- ابن جني ، ٢/ ١٦٨ ، ويبهأ : يأنس .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جمال المقاطع الصوتية

تُعدّ دراسة المقطع الصوتي – في اللسانيات – من الاتجاهات الجديدة للدرس اللغوي ، وقد قام نفر من العلماء ، من أمثال : إبراهيم أنيس ، وعبد الصبور شاهين ، وتمام حسان ، وكمال بشر ، بدراسة المقاطع الصوتية ، وعملوا على تقسيمها وتصنيفها وتطبيقها على واقع اللغة العربية .

ويمكن تعريف المقطع الصوتي بأنه : " حركة قصيرة أو طويلة ، مكتنفة بصوت أو أكثر من الأصوات الساكنة "[1]. وعلى هذا التعريف فإنّ الحركات تؤدي دوراً في تشكيل المقطع الصوتي ، على عكس علم العَروض العربي الذي أهملها ، ويمكن تقسيم المقطع الصوتي إلى نوعين : " متحرك ، وساكن ؛ والمقطع المتحرك : هو الذي ينتهي بصوت ليّن قصير أو طويل ، أمّا المقطع الساكن : فهو الذي ينتهي بصوت ساكن "[2]. وأمّا بخصوص المقطع ، باعتبار زمن النطق به ، فيمكن تقسيمه إلى أقسام ثلاثة [3]:

١)مقطع قصير : وهو عبارة عن (صوت ساكن + حركة قصيرة) كَ كُ كِ .
٢)مقطع متوسط : وهو عبارة عن (صوت ساكن + حركة قصيرة + صوت ساكن) ، كَم ، كُم ، كِم . أو عبارة عن صوت ساكن + حركة طويلة (حرف مد) مثل كا كو كي .
٣)مقطع طويل : وهو عبارة عن (صوت ساكن + حركة طويلة + صوت ساكن) ، نار ، طول ، نير .

أو عبارة عن (صوت ساكن + حركة قصيرة + صوتان ساكنان) بَحْر ، دُرْج ، فِكْر .

ولا تعنينا التقسيمات السابقة إلا بالقدر الذي نفيد منه في دراستنا هنا ، وما تقديمنا السابق إلا لوضع القارئ في صورة واضحة عن المقاطع الصوتية التي نريد تطبيقها – جمالياً – على نصوص الجنة في القرآن .

وما يعنينا هنا هو أنّ المقاطع المتحركة أو المفتوحة تستغرق زمناً أطول في نطقها ، في حين يكون الزمن الذي يستغرقه نطق المقاطع الساكنة أو المغلقة أقل من ذلك ، فأصوات اللين بطبيعتها أطول من الأصوات الساكنة وسيحاول البحث أن يوظف المقاطع الصوتية من حيث علاقتها بالدلالة ، وإسهامها في التعبير الأسلوبي عن

١- أنيس ، موسيقى الشعر ، ١٤٧.

٢- أنيس ، الأصوات اللغوية ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ويمكن تسمية المقطع المتحرك بالمفتوح ، والمقطع الساكن بالمغلق ، ينظر ، الحاشية من المرجع السابق نفسه .

٣- أنيس ، موسيقى الشعر ، ١٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مضامين الجنة وصورها ؛ " ومن هنا كان استخدام المقاطع المقفلة يناسب لونا من التعبير لا تؤديه المقاطع المفتوحة ، والعكس صحيح "[1].

ونحاول النظر في النص التالي ؛ ليتضح مدى تأثير المقاطع في الدلالة ، يقول تعالى : { وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور*الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب "[2]، ولو أردنا تحليل هذا النص إلى نظام المقاطع الصوتية لكان الناتج ما يأتي :

و ــ / قا / ل / حم / د ــ / ل / لا / هل / ل ــ / ذي / أذ / هـ ــ /ب ــ عن / نل / ح ــ / ز ــ / ن ــ / إن / ن ــ / رب / ب ــ / نا / ل ــ / غ ــ / فو / رن / ش ــ / كور / أ حل / ل ــ / ذي / أ ــ / حل / ل ــ / نا / دا / رل / م ــ / قا / م ــ / ة ــ / من / فض / ل ــ / هي / لا / ي ــ / مس / س ــ / نا / في / ها / ن ــ / ص ــ / بن / و ــ / لا / ي ــ / مس / س ــ / نا / في / ها / ل ــ / غو ب

ولو أحصينا المقاطع المتحركة لوجدناها ضعف المقاطع الساكنة وأزيد ، حيث بلغ عددها ستة وأربعين مقطعا ، في حين بلغ عدد المقاطع الساكنة عشرين فقط ، فهل لهذا التفوق دلالة معنوية تحققها المقاطع المتحركة ؟

نعتقد أن تكرار المقاطع المتحركة التي تستغرق زمنا أطول ، في مسافات متوالية يتسق ومعنى الآية التي تتحدث عن دعاء المؤمنين وشكرهم وحمدهم لله تعالى على ما حباهم به من المنة والفضل والعناية ، فالمقاطع المتحركة تصور الوقت الطويل الذي يجتهد فيه المؤمنون – عن طريق مد الصوت – بالعرفان لربهم ، وقد نهضت حروف المد (قا / لا / ذي / نا / فو / ذي / نا / دا / قا / هي / لا / نا / في / ها / لا / نا / في / ها) بمهمة تحقيق هذه المعاني .

ومعلوم أن الحركات هي أشد الأصوات تميزا بالوضوح السمعي[3]؛ مما يسهم في وضوح الدعاء والشكر ، ويمكن للدارس أن يلمس الدور الذي يؤديه المقطع المغلق (مس) الذي ينتهي بصوت السين الضعيف ، إذ يعزز ضعف حركة المس السلبي في (لا يمسنا فيها نصب) ، ويعلق سيد قطب على هذا النص مؤكدا على معطيات المقاطع الصوتية ، فيقول : " فالجو كله يسر وراحة ونعيم،والألفاظ مختارة لتتسق بجرسها وإيقاعها مع هذا الجو الحاني الرحيم ، حتى (الحزن) لا يتكؤ عليه بالسكون

١- نحلة ، محمد ، لغة القرآن الكريم في جزء عم ، ٣٥٧.

٢- فاطر ، ٣٤، ٣٥ .

٣- ينظر ، بشر ، كمال ، علم اللغة العام ، القسم الثاني ، ١٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجازم ، بل يُقال : (الْحَزَن) بالتسهيل والتخفيف ... والإيقاع الموسيقي للتعبير كله هادئ ناعم رتيب "[1].

ونختبر قدرة المقاطع الصوتية في نص آخر يمثل بعض صفات أهل الجنة وأخلاقهم التي كانوا عليها في الدنيا ، حيث يقول تعالى : { ... عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً*يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً }[2]. والإحصاء للمقاطع الصوتية في هذا النص يؤكد تفوق المقاطع المتحركة على نقيضتها الساكنة ، بما يزيد على ضعفين اثنين ، كما يظهر من التحليل التالي :

يو / فو / ن ـَ / بِنْ / نَـذْ / ر ـِ / و ـَ / ي ـَ / خا / فو / ن ـَ / يَوْ / مَنْ / كا / ن ـَ / شَرْ / ر ـَ / هو / مُـسْ / ت ـَ / طي / را .

ونرى أنّ لذلك دلالة تكمن فيما ترشحه المقاطع المتحركة من إفادة مساحة زمنية كبيرة حيث تنتهي بالحركات الطويلة التي تمتدّ في نطقها وقتاً أطول (يو / فو / خا / فو / كا / هو / طي / را) ، إذ توحي بتلك الحركة المستمرة لزمن الوفاء وزمن الخوف ، وكأنّ هاتين الصفتين أصبحتا راسختين في حياتهم ، واتخذوها منهجاً لسلوكهم تلازمهم طوال عمرهم المحدود . والفعل المضارع أيضاً يؤكد استمرارية هذا الزمن ، كم أن المقطع المغلق المنبور (نَذْ) الذي خُتم بصوت الذال المجهور ، مع وجود ما يسمى بالغنة على النون المشددة كذلك ، يُسهم في إكساب الصوت طولا معيناً " فالصوت المنبور أطول منه حين يكون غير منبور "[3]، أقول : إنّ هذا المقطع بالمواصفات السابقة يصوّر شدة التزامهم بهذا النذر الذي قطعوه على أنفسهم .

ويمكن للدارس أن يقدّم نصاً آخر ، تشكل فيه المقاطع الصوتية تكثيفاً للمعنى ، حيث يقول تعالى واصفاً النعمة الكثيرة التي ينالها أهل الجنة في الجنة : { لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد }[4]، ويُبرز التقطيع ازدياد المقاطع المفتوحة بشكل لافت ، كما يظهر من التقسيم التالي :

ل ـَ / هُمْ / ما / ي ـَ / شا / ؤو / ن ـَ / في / ها / و ـَ / ل ـَ / دَيْ / نا / م ـَ / زيد .

وحين نقوم بعملية إحصاء عدد المقاطع المفتوحة ، نجدها تفوق عدد المقاطع المغلقة بأربعة أضعاف ونحسب أنّ هذا الأمر يشير إلى حرية المشيئة التي يتمتع بها

١- قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ، ٥/٢٩٤٥.

٢- الإنسان ، ٦، ٧ .

٣- أنيس ، الأصوات اللغوية ، ١٥٥ ، وقد اعتمد البحث في تحديد مواقع النبر بناء على ما قرر الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه الأصوات اللغوية ، ١٦٩ .

٤- سورة ق ، ٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المؤمنون في الجنة ، فأصوات المدّ التي تنتهي بها المقاطع (ما / شا / ؤو / في / ها / نا) تؤكد طلب المزيد من النعيم . ويُعطي المدّ المتصل[1] في كلمة (يشاؤون) ، حيث يزداد طول حرف المدّ ؛ لوجود الهمزة بعده ، استمراراً كبيراً في التمتع بهذه الحرية فالمقاطع الصوتية في النص تتسق ومضمون الآية ، وتخدم الفكرة المراد التعبير عنها ، وهي حصول القدرة لأهل الجنة على كل ما يريدون ، وتحقيق مشيئتهم في ذلك .

ونختتم دراسة تشكيل المقاطع الصوتية بكلمة (مقصورات) التي وردت في قوله تعالى : { حورٌ مقصوراتٌ في الخيام }[2]، ويتكون هذا المورفيم من أربعة مقاطع متوسطة ، على النحو التالي :

مَقْ / صو / را / تُنْ

فالمقطع الأول (مَقْ) مغلق مختوم بصوت القاف المفخم ، والمقطع الرابع (تُنْ) مقطع مُغلق كذلك ، يوقف عليه بالتنوين ، ولعلّ هذين المقطعين يصوّران مشهد القصر والحبس للحور العين ، من بدايته إلى نهايته . ولكن ماذا عن المقطعين الثاني والثالث ؟ إنّ المقطعين المتحركين (صو / را) يمثلان امتداد زمن القصر المحكوم من البدء حتى الخاتمة ، ولعلّ وقوع النبر على المقطع الثالث (را*) يزيد من طول المدّة التي يستغرقها زمن الحبس ، غير أنه قد يتبادر للذهن سؤال مؤداه أنّ المرأة تُحبس حتى في جنة الخلود ؟ ويمكن لنا أن نتصور مشروعية هذا السؤال ، إذا اعتبرنا الخيمة التي تمثل بيت الحورية صغيراً أو عادياً ، ولكن إذا ما عرفنا أنّ " خيام الجنة بيوت اللؤلؤ ، وهي دُرّ مجوّف "[3]، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في وصف خيام الجنة : " إنّ للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوّفة ، طولها ستون ميلاً ، للمؤمن فيها أهلون ، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً "[4]. نقول : إذا ما عرفنا ذلك أدركنا تلك الحرية التي تتمتع بها المرأة داخل خيمتها ، ثمّ إنّ المرأة تمدح بملازمتها بيتها ، وذلك أصون لها ، كما يظهر في قول قيس بن الأسلت[5]:

وتكسل عن جاراتها فيَزُرنَها وتغفل عن أبياتهن فتُعذَرُ

فكيف بحوريات الجنة اللواتي خُلقن على ذلك .

١- المد المتصل هو أن يكون بعد حرف المد همزة في كلمة واحدة ، ينظر ملحس ، ٤٨.

٢- الرحمن ، ٧٢ .

٣- ينظر الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٨ / ١٩٧.

٤- مسلم ، الصحيح ، مج ٩ ، ١١/ ١٧٥.

٥- ينظر الأندلسي ، تفسير المحيط ، ٨ / ١٩٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا .. يتبيّن لنا أنّ المقاطع الصوتية يمكن أن تشكل منحىً جمالياً في التشكيل الصوتي ، ويستطيع الدارس – من خلال توظيفها – أن يكشف عن معاني النصوص ، شريطة أن يمتلك ذوقاً لا يعرف الكلفة.

وخلاصة لما تقدّم نختم هذا الفصل بالقول : إنّ نصوص الجنة قد حملت في جنباتها تشكيلات صوتية كشفت عن جمال المعنى الذي تتضمنه تلك النصوص ، من خلال الفاصلة القرآنية ، وما يتعلق بها من أساليب التعبير ، ومن خلال ما تحمله الأصوات من قيم تعبيرية على مستوى الصوت المفرد ، واللفظ المفرد ، كما أنّ المقاطع الصوتية أسهمت في تعميق أسلوبية الصوت التعبيرية .

غير أنّ الأمر لا يقتصر على المستوى الصوتي ، بل إنّ التشكيلات الأسلوبية لنصوص الجنة تضم العلاقات اللغوية الأخرى على مستوى التركيب ، وهذا ما سنعالجه في الفصل القادم إن شاء الله تعالى .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

عناصر الظاهرة الأسلوبية في نصوص الجنة

- بناء الجملة القرآنية في نصوص الجنة
- بناء الجملة الطلبية
- ظواهر فنية أخرى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تقديم :

يعدّ التركيب النحوي المتمثل في الجملة، فالنص حقـلاً للدراسـة الأسـلوبية ، بوصفها- أي الجملة - البنية اللغوية التي تحمل الشحنات الدلالية ، والعلامات التعبيرية الناشئة عن التفاعل اللغوي ، والأسلوبية بهذا تتجاوز اللفظ المفرد ، ومعناه المحدد نحو العلاقات السياقية التي يحدثها النظم الأسلوبي في الكلام .

وترمي الدراسة الأسلوبية للنصوص إلى " كشف أسرارها اللغوية ، وتفسير نظام بنائها ، وطريقة تركيبها ، وإدراك العلاقات فيها ، وبيان الوجوه الممكنة للنص ، مـن خلال المعطيات التعبيرية المبنية على تواشج المفردات ، والبناء النحوي الـذي يعـدّ ركيزة النص الأساسية "[١]، وتقوم الدراسة الأسلوبية على مبدأ الانحراف عـن أصـل الوضع اللغوي باعتبار القرائن ، إذ تمثل خروجاً على الجملة الأصوليـة فـي النحـو العربي ، نحو بنيات لغوية متعددة ، وعلاقات اختراقية تنتهك الوضع الأصلي للتركيب بمعنى إذا كان النص - بوصفه تشكيلاً لغوياً - يقوم على وظيفة الإبلاغ والتوصيـل ، فإنّ الدراسة الأسلوبية تدرس الطريقة التي يتم فيها إبلاغ الرسالة وتوصيلها ، وبمعنـى أدق يمكن القول بأنّ : " اللغة هي ثوب الفكرة ، والأسلوب هو فصال الثوب ، وطرازه الخاص "[٢].

والأسلوبية بهذا المعنى ليست جديدة على اللغة العربية ، كما أنها ليست طارئـة على بلاغتنا القديمة ، فثمة تأصيل كبير للأسلوبية في البلاغة العربية ، ونعني به علـم المعاني الذي تطور على يد العالم الجليل عبد القاهر الجرجاني ، ويشير الجرجاني إلـى ذلك بقوله : " لا معنى للنظم غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم "[٣]، ومن هنا جـاء عنوان الرسالة (الأسلوب البلاغي) منبهين بذلك إلى العلاقة التي تجمع بين الأسـلوبية والبلاغة ، وإن كان الاعتقاد بأنّ البلاغة العربية قد أفادت - بلا شك - مـن المنـهج الأسلوبي إفادات أخرجتها عن حرفيتها وجزئيتها ومواقفها الجدلية والمذهبية .

وتتعدّد الأنماط اللغوية في النص المدروس ، فيطفو بعضها على السطح ، وهـي بذلك تمثل بروزاً ظاهراً ، يميزها عن غيرها من الأنماط الأخرى التي تتراءى علـى استحياء ، وبروز هذا النمط اللغوي أو ذاك يلفت نظر الدارس له ، ويحثه على كشـف أسراره التعبيرية،وهذا ما يعرف بالظاهرة الأسلوبية ، " ومفهوم الظـاهرة فـي علـم الأسلوب يشير إلـى الملمـح التعبيري البارز الذي يؤدي وظيفة دلالية تفوق مجـرّد دوره اللغوي "[٤].

١- حماسة ،محمد عبد اللطيف ، منهج في التحليل النصي ، فصول ، مج (١٥) ،عدد (٢) ، ١٠٩.

٢- هاف ، كراهام ،الأسلوب والأسلوبية ،ترجمة ، كاظم سعد الدين ، ٢٠ .

٣- الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ٢٨٢ .

٤- فضل ، صلاح ، ظواهر أسلوبية في شعر شوقي ، فصول ، مج (١) ، عدد (٤) ، ٢١٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والطريقة الإحصائية هي الكفيلة بالكشف عن تلك الظواهر ، إذ إنها " تسجّل كل ما يضمه العمل الأدبي من مظاهر لغوية ، وتصنفها حسب مخطط لغوي ، تختطه لنفسها من البداية ، كأن تسعى إلى تسجيل استعمالات معجمية من مجال دلالي خاص ، أو تسجيل ما يضمه العمل الأدبي من أشكال نحوية بعينها ، أو غير ذلك من تقسيمات اللغة والنحو "[1].

ونحن سنتتبع في دراستنا مجموعة ظواهر أسلوبية في نصوص الجنة ، من اجل الكشف عن الطريقة التي استعملها القرآن الكريم في التعبير عن مشاهد النعيم ومضامينه وأغراضه .

ويحسن قبل البدء في الدراسة التطبيقية أن أجمل القول عن مكونات الكلام في بلاغتنا العربية ، حيث يقسم البلغاء الكلام إلى خبر وإنشاء ، وهما " متضادان ؛ لأن الخبر ما كان محتملاً للصدق والكذب ، والإنشاء ما ليس يحتمل صدقاً ولا كذباً "[2]، ويجعلون الخبر أقساماً ، والإنشاء أقساماً ، وهذه الأقسام تعتري الجملة التي تتكون من مسند ومسند إليه ، وقيود تتعلق بهما .

غير أن بناء الجملة العربية بمكوناته السابقة يتعرض من خلال علاقات السياق إلى أحوال بلاغية ، تسهم في خلق نظام لغوي أسلوبي ، يسعف الدارس في البوح عنه واستنطاق طاقاته الكامنة فيه .

وقد برزت ظواهر أسلوبية في نصوص الجنة تمثلت في التعريف والتنكير ، والتقديم والتأخير ، والحذف والتأكيد ، وغيرها ، بالإضافة إلى بعض الأساليب الإنشائية الطلبية ، كالأمر والاستفهام .وسندرس هذه الظواهر حسب الطريقة التحليلية التي تتخذ من نظرية النظم أساساً لها ، وسنقوم بتفكيك النظام اللغوي للظاهرة ، وإعادة تشكيله حسب المعطيات البلاغية ولعلنا قدمنا بعض هذه التشكيلات في الفصل السابق فيما يختص بالنظام الصوتي ، ونعرض لبعضها الآخر على مستوى النظام النحوي .

بناء الجملة القرآنية

أولاً : التنكير

يشكل التنكير في نصوص الجنة بيئة أسلوبية ظاهرة ، وعلامة بلاغية بارزة ، تكمن وراءها معطيات ومقاصد أشارت إليها كتب البلاغة [3]ذلك أن التنكير - كما يقول صاحب الطراز - : " يجيء لفائدة جزلة يقصر عن إفادتها العلم ، ولا يبلغ كنهها رسم

١- بريري ، محمدأحمد ، الأسلوبية والتقاليد الشعرية – دراسة في شعر الهذليين – ، ١٥، ١٦ .

٢- العلوي ، ٣/ ٢٩٣ .

٣- للتعرف على أسلوب التنكير ينظر ، الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ١٣٦، وكذلك القزويني ، جلال الدين ، شرح التلخيص في علوم البلاغة ، ٣٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القلم "[1]، وقد تحقق أكثر هذه الأغراض في آيات الجنة ،كالتعظيم والتكثير والتقليل ، والاستغراق ، وبيان الجنس وغيرها ، ولا نعدو الصواب إذا قلنا إنّ جلّ أوصاف الجنة جاءت منكرة للدلالة على الكثرة والتعظيم للنعيم .

أ) التكثير :

تعددت سياقات النكرة الدالة على التكثير ، حيث استحوذت على أكثر المقاصد التي تحققها النكرة ، ويظهر غرض التكثير في النصوص القرآنية التالية :

قال تعالى : { إنّ المتقين في جنات وعيون }.الطور ، ١٧

{ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوأنهم من الجنة غرفاً }. العنكبوت ، ٥٨

{ إنّ المتقين في جنات ونهر}. القمر ، ٥٤

{ إنّ للمتقين مفازاً*حدائق وأعناباً*وكواعب أتراباً*وكأساً دهاقاً }النبأ ، ٣١-٣٤

{ مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى }محمد ، ١٥

فهذه الآيات وغيرها قد أفادت النكرة فيها الدلالة على كثرة النعيم ، ومعلوم أنّ الجنة واسعة كما أخبر الحق تبارك وتعالى : { وجنة عرضها كعرض السماء والأرض }[2]، وسعة الجنة تقتضي الكثرة في موجوداتها ، من الأنهار والغرف ، والنساء والثمار ، وغيرها من النعم ، وهذا ما حملته النكرة في إفادتها للتكثير ، وللعقل أن يتخيل تلك العيون الكاثرة ، و الأنهار الجارية ، والغرف الواسعة ، ليدرك لاحقاً أنّ النعيم الذي أعدّه الله لعباده المؤمنين هو من الكثرة بحيث لا يتعرض للزوال والانقطاع الذي يتعرض له في الدنيا ، والكثرة هذه تشكل حالة نفسية تثير رغبة الإنسان في الجمع والاستحواذ ، وما يستتبع هذا الجمع من راحة ومتعة واستقرار .

ب) التعظيم :

ومِمّا يتصل بأسلوب النكرة ودلالتها على الكثرة ، دلالتها على التعظيم ، ولا سيّما أنّ الكثرة توحي بالعظمة ، وهذا ما نلمحه في قوله تعالى : { وجوه يومئذ ناضرة*إلى ربها ناظرة }[3]، إنّ الإتيان بكلمة (وجوه) منكرة ، دلّ على تعظيم تلك الوجوه التي آمنت بربها ، فخضعت له بالطاعة والانقياد ، فحقّ لها في اليوم الآخر أن تعظم بما يتاح لها من النضارة ، والنظر إلى وجه الله الكريم ، والوجه أعظم ما في الإنسان ؛ لأنه يحوي المحاسن جميعاً ، وهو الجزء الذي يقابل به الإنسان الآخرين .

١- العلوي ، ١٣/٢ .

٢- الحديد ، ٢١

٣- القيامة ، ٢٢، ٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وشبيه بالآية السابقة قوله تعالى : { وجزاهم بما صبروا جنّةً وحريرا }[1]، فإن التنكير في كلمة (جنة) منحها التعظيم ، فهي ليست كجنان الدنيا ، وعدم تعيينها أبرز عظمتها ، ولنا أن نتخيل – في حدود تفكيرنا – ماهية تلك الجنة التي أعدها العظيم لعباده المؤمنين .

وقريب من ذلك قوله تعالى : { لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما*إلا قيلا سلاماً سلاما }[2]، فكلمة (سلاما) المنكرة والمتكررة أنتجت لنا معنى العظمة الذي يحمله هذا اللفظ ، ومنطلق العظمة في هذا السلام يكون ممن صدر عنه ، وهم الملائكة وقد وردت آيات أخر تركز على لفظ السلام ؛ لما له من أثر في النفس ، وجلال في الشعور ويظهر ذلك في قوله تعالى : { تحيتهم يوم يَلْقونه سلام }[3]، وقوله تعالى : { سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار }[4]، فإن النكرة في هذه الآيات خرجت لمعنى التعظيم .

وقد استخدم القرآن الكريم لفظ (أساور) نكرة لتعظيم حسنها ، ولا يعتقد أن التعريف هنا يمكن أن يحقق المعنى الذي أفاده التنكير ، بما فيه من إبهام وتشويق . ومما هذا شأنه قوله تعالى : { إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا }[5]، فإيراد لفظ (ودا) نكرة يولد العظمة فيه ، ولعل الود هنا يحمل دلالة العظمة بصدوره من الرحمن ، مصدر العظمة المطلقة .

ت) التقليل :

تفيد النكرة – كونها لا تدل على معين – غرض التقليل ، وذلك ضمن سياقات النظم ، ويتجلى ذلك في قوله تعالى : { والذين آمنوا واتّبعتْهم ذرّيّتُهم بإيمان ألحقنا بهم ذرّيّتَهم وما ألَتْناهم من عملِهم مِن شيء ... }[6]، فقد جاء تنكير لفظ (إيمان) لفائدة جليلة ، فالمقصود في الآية بيان اجتماع الذرية مع آبائهم في الجنة ، والآباء ـ كما توحي الآية ـ أكثر إيمانا من أولادهم ، بدليل التعريف (الذين آمنوا) ، وعلى الرغم من ذلك ، فإن الله يمن عليهم بإلحاق ذريتهم بهم ، مع كونهم أقل إيمانا ، وهذا ما تحمله النكرة من الدلالة على التقليل ؛لأن إيمان الأبناء " قاصر عن رتبة إيمان الآباء

١- الإنسان ، ١٢ .

٢- الواقعة ، ٢٥، ٢٦ .

٣- الأحزاب ، ٤٤ .

٤- الرعد ، ٢٤ .

٥- مريم ، ٩٦ .

٦- الطور ، ٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إمّا بنفسه بناءً على تفاوت مراتب نفس الإيمان ، وإمّا باعتبار عدم انضمام أعمال مثل أعمال الآباء إليه "[1].

وقد يدلّ التنكير على التقليل ، ويحمل في طياته معنى العظمة ، مقارنة بأشياء أخرى ، ويُظهر التعبير القرآني ذلك من خلال قوله عزّ وجلّ : { ... ومساكنَ طيبةً في جنات عدن ورضوانٌ من الله أكبر }[2]، وقوله تعالى : { يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم }[3]،فإنّ تنكير كلمة (رضوان) أفادت معنى القلة والعظمة معاً ، ويفسّر الدكتور بدوي ذلك بالقول : " أمّا أن يدلّ عليه التنكير هنا على التقليل ، مِمّا لا تفيده النكرة وحدها ، وإن كان معنى الآية يحتمل أنّ قليل رضوان الله أكبر من الجنات والمساكن الطيبة ؛ لأنّ النكرة تطلق على القليل والكثير ، فما يطلق عليه رضوان الله – قلّ أو كثر – أكبر مِمّا أثيبوا به "[4]، وهذا من باب قولهم : قليلك لا يقال له قليل .

ث) نفي الجنس :

تفيد النكرة في آيات الجنة بيان جنس الشيء – بقطع النظر عن قلته أو كثرته – وقد ورد ذلك في سياق نفي إمارات التكدير والتعب الناشئة عن الحساب ، وما يصيب المؤمن في ذلك اليوم من الخوف وعدم الاستقرار ، ومِمّا هذا شأنه قوله تعالى : { الذي أحلّنا دارَ المُقامة من فضله لا يمسّنا فيها نصب ولا يمسّنا فيها لغوب }[5].

جاءت كلمتا (نصب) و (لغوب) نكرتين منفيتين ، في مجال وصف أهل الجنة بعد دخولهم إياها مباشرة ، ولعلّ النكرة قد كشفت عن جنس النصب واللغوب السلبي ، والمعنى : لا يمسّهم فيها أيّ نوع من النصب ، أو أي أثر ناتج عنه .

ومن سياقات النكرة الدالة على نفي الجنس قوله تعالى : { ولا يرهقُ وجوهَهم قترٌ ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون }[6]، والنمط التعبيري في هذه الآية جاء على النحو التالي :

لا (نفي) + يرهق (مضارع) + وجوههم (مفعول به) + قتر (فاعل) + ولا ذلة (جملة العطف) ، وإيراد النكرة المسبوقة بالنفي يدلّ على عدم إصابتهم بهذه المكاره البتة ، فقد نفت الآية جنس الإصابة بالقتر والذل ، " والمقصود بيان خلوص

١- الألوسي ، أبو الفضل شهاب الدين ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ٣٢/٢٧.

٢- التوبة ، ٧٢ .

٣- التوبة ، ٢١ .

٤- بدوي ،احمد، من بلاغة القرآن ، ١٢٩، ١٣٠ .

٥- فاطر ، ٣٥ .

٦- يونس ، ٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معنوية لا لفظية "[1]، وقد غاب في نصوص الجنة التعريف بالأعلام ، وظهر في بقية أنواع التعريف .

١) التعريف بالضمير :

يستخدم الكتاب العزيز الضمائر لغايات معنوية ، تسهم في تبيان مقاصده القرآنية وأساليبه البلاغية المتميزة ، ولعلّ أميزها الاختصار والإيجاز ، باعتباره - أي الإيجاز الأساس الذي تقوم عليه عملية التوصيل البلاغي ، دون إخلال بمعنى ، أو تنقص من دلالة ، وكما قيل : الإعجاز في الإيجاز نهاية الإعجاز ، ويظهر ذلك جلياً في قوله تعالى : { إنّ المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعدّ لهم مغفرة وأجراً عظيماً }[2]، فقد عدّدت الآية سمات المؤمنين وأخلاقهم وأعمالهم ولَمّا أن أراد القرآن ذكر الجزاء الحسن لهذه الأعمال الحسنة ، أتى بالضمير (هم) الذي أغنى عن إعادة الصفات السابقة وتكرارها ، فحقق بذلك الاختصار .

ومِمّا هذا شأنه قوله تعالى : { ولِمن خاف مقام ربّه جنتان ...فيهما عينان تجريان ... فيهما من كلّ فاكهة زوجان }[3]، وقوله تعالى : { وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين ... }[4]، فذكر المسمّى ، وهو الجنة ، ثمّ عندما أراد وصف خيراتها ونعيمها ، عدل إلى الكناية بالضمير (فيها) ، واستغنى بذلك عن إعادة اللفظ نفسه ، وهو الجنة ، ولعلّ في ذلك – فضلاً عن الإيجاز – ربط العقل بالمسمّى ، لتظلّ النفس على صلة مستمرة معه .

وللضمائر شأن عظيم في نظم الكلام وترابطه وصياغته ، بحيث لا يتعرض للتفكك ، ولا تنقطع صلته بعضه ببعض ، في حسن إفهام وإتمام مقصد ، ونستشهد لذلك بقوله تعالى : { وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إنّ ربنا لغفور شكور*الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب }[5]، ويظهر تواتر الضمائر في النص على شكل فئات تتآلف ، وتتألف من :

– ضمائر الغائب التي ترجع إلى الخالق عزّ وجلّ : أذهب ، أحلّ ، فضله .

– ضمائر المتكلم وتعود إلى أهل الجنة : أحلّنا ، ربّنا ، يمسّنا ، عنّا .

١– العلوي ، ١٣/٢ .

٢– الأحزاب ، ٣٥ .

٣– الرحمن ، ٤٦، ٥٠، ٥٢ .

٤– الزخرف ، ٧١ .

٥– فاطر ، ٣٤، ٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

– ضمائر الغيبة التي تدلّ على الجنة المكان : فيها ، فيها .

وبذا تتحدّد أطراف العلاقة ، وتتمثل في (الخالق + المؤمنون + الجنة) ، ولو جاء القرآن بهذه الضمائر مظهرة ، بمعنى لو كرر مرجوعاتها ، لطال الكلام ، وفقد مائيته ورونقه الذي أفاده الارتباط بالضمير .

ويعمل الضمير على إزالة اللبس في الجملة ، وذلك بعودته على سابق معروف ، كقوله تعالى : { إنّ الذين سبقت لهم منّا الحسنى أولئك عنها مبعدون ، لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون }[1]. فإنّ عودة الضميرفي كلمة (عنها) إلى جهنم المذكورة في الآيات السابقات { إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون }[2]، قد أزال اللبس عن ذهن السامع في الظنّ أنّ عودة الضمير على الحسنى لا جهنم .

ولعلّ فيما سبق دلالة على أهمية التعريف بالضمير ، وما يحققه من بلاغة النظم التركيبي ، ذلك " أنّ الغرض من الربط بالضمير هو الاختصار ، وأمن اللبس بالتكرار وإعادة الذكر "[3].

ومِمّا يتصل بأسلوبية الضمائر وما تحققه من أغراض ، استخدام ضمير الفصل ، الذي يكسو التعبير جمالاً ، ويزيده في الوصف أمثالاً ، ولا تتحقق هذه الجماليات إلا به وقد تردّد ضمير الفصل في نصوص الجنة بكثرة ، لإفادة مقاصد بلاغية ، تتجمع في ثلاثة :

" أحدها لفظي ، وهو الإعلام من أول الأمر بأنّ ما بعده خبر لا تابع ، ولهذا سمّي فصلاً ؛ لأنه فصل بين الخبر والتابع ، وعماداً ؛ لأنه يعتمد عليه معنى الكلام ... والثاني معنوي ، وهو التوكيد ... والثالث معنوي أيضاً ، وهو الاختصاص "[4].

فمن إفادة ضمير الفصل لمعنى الاختصاص قوله تعالى : { لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون }[5]،إنّ الإتيان بضمير الفصل (هم) بين ركني الجملة يفيد اختصاص أصحاب الجنةبالفوز دون غيرهم ، فالفوز مقصور عليهم وحدهم ، وفي هذا تنبيه على الخسران الذي يحيق بالصنف الثاني .

ومِمّا هذا شأنه قوله تعالى : { ... ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إنّ حزب الله هم المفلحون }[6]،

١- الأنبياء ، ١٠١ ، ١٠٢ .

٢- الأنبياء ، ٩٨ .

٣- حمدة ، مصطفى ، نظام الارتباط والربط في الجملة العربية ، ١٥٣ .

٤- ابن هشام الانصاري ، جمال الدين ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تح محمد محي الدين عبد الحميد ، ٤٩٦/٢ .

٥- الحشر ، ٢٠ .

٦- المجادلة ، ٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد أفاد ضمير الفصل(هم) اختصاص حزب الله بالفلاح ، فلا شـركة بينـهم وبيـن غيرهم بهذا المصير .

ويفيد ضمير الفصل **معرفة الخبر** ، وإزالة الخلط عنه بالصفة ، ونجد ذلك فـي قوله تعالى : { وأمـّا من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى*فـإنّ الجنـة هـي المأوى }[1]، فقد فصل الضمير بين المبتدأ (الجنة) ، والخـبر (المـأوى) ، وكـان بالإمكان حذف الضمير ، وإيراد الكلام متصلاً(فإنّ الجنة المأوى) ، غـير أنّ هـذا النمط اللغوي لا يحقق المراد ، فقد يلتبس المعنى على المتلقي ، فيظن أنّ المأوى صفة للجنة ، لا خبر لها ، وأنّ الخبر سيأتي لاحقاً (فإنّ الجنة المـأوى ...) ، والإتيـان بضمير الفصل دلّ على الخبر ، وأكدّه أيضاً .

ويحمل ضمير الفصل معنى توكيد الخبر في قوله تعالى : { يا قوم إنّما هذه الحياة الدنيا متاع وإنّ الدار الآخرة هي دار القرار }[2].

وسياق النظم يوحي بمعنى التوكيد ، فقد يُظنّ أنّ الدنيا بمتاعها وشهواتها دائمـة لأصحابها ، كما ظنّ ذلك من قبل آل فرعون الذين تتحدث عنهم الآيـة ، فجـاء هـذا الرجل المؤمن ليبطل مفاهيم قومه ، ويؤكد أنّ القرار والمصير الأبدي هو في الآخرة ، حيث الجنة دار الاستقرار ، ولو حُذف الضمير في النص القرآني ، لطمع السامع بـأنّ كلاماً سيأتي على لسان القائل ، ولو كان ذلك لفـات التوكيـد (وإنّ الدار الآخرة دار القرار ...) ، فكان الضمير بمثابة المنبه والمؤكد ، وحسبنا ما أشرنا إليه ومـا قيـل سابقا يمكن أن يقال في قوله تعـالى : { والذين آمنوا وعملوا الصالحات – لا نكلـف نفساً إلا وسعها – أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون }[3]، وقوله تعالى : { والذيـن آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير }[4].

ويدخل جانب من **الالتفات** في بحث الضمير ، من حيث أنه : " نقل الكـلام مـن أسلوب إلى أسلوب آخر ، تطرية واستدراراً للسامع ، وتحديـداً لنشـاطه ، وصيانـة لخاطره من الملال والضجر ، بدوام الأسلوب الواحد على سمعه "[5]، ويقـوم أسـلوب الالتفات على أساس من التناوب في استخدام الضمائر ، وتبادل مواقعها فـي النـص الواحد ، من ضمير الغيبة حيناً ، إلى ضمير المخاطب حيناً ، ومن المتكلم طوراً ، إلى المخاطب طوراً آخر ... وهكذا ، وما يعنينا هو اللطائف التي تحدث بين هذه التحركات

١- النازعات ، ٤٠ ، ٤١ .

٢- غافر ، ٣٩ .

٣- الأعراف ، ٤٢ .

٤- الشورى ، ٢٢.

٥- الزركشي ، ٣/٣٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي الانتقال الذي تؤديه الضمائر فوائد بلاغية ، فعندما يقرأ المسلم قوله عز وجل : { ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تُحبرون* يُطاف عليهم بصحافٍ من ذهب وأكوابٍ وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون }[1]، يجد تواتر الانتقالات ما بين ضمير المخاطب (أنتم) ، إلى ضمير الغائب (عليهم) ، ثم العودة إلى ضمير المخاطب (وأنتم) ، وفي هذا التنوع الانتقالي دلالة على الاهتمام ، فأسلوب الخطاب يدل على رفعة شأنهم ، وتعظيم أمر المخاطبين ، ويقتصر أسلوب الغيبة هنا على مجرد الإخبار عن نعيم أهل الجنة وتكريمهم ، فهذا حالهم ، إذ يطوف عليهم الولدان بالصحاف الذهبية ، من الأواني المملوءة خمرا ، ويجد المؤمن كل ما يشتهيه (فيها) ، – أي الجنة – ، وعندما انتهى الإخبار والحديث عنهم ، رجع إلى ضمير المخاطب (أنتم) وفي هذا استحضار لشأن المخاطب ، بعد فترة الغياب ، عدا ما يحققه الالتفات هنا من استبعاد لعنصري الضجر والسأم الناتجين عن الوتيرة الموحدة لأسلوبية القص .

وقريب من ذلك قوله تعالى : { عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا*إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا }[2].

والالتفات ظاهر في الانتقال من ضمير الغيبة (عاليهم ، سقاهم) ، إلى أسلوب الخطاب المباشر لهم تماما (لكم ، سعيكم) ، ولعل في هذا الانتقال دلالة على الاعتناء بشأن المخاطب ، واختصاصا لهم بهذا الجزاء لهم .

ويأتي الالتفات في سياقات الحوار مع أهل النار ، ويقصد من ورائه إثارة التوبيخ والاستهزاء بهم ، حيث نجد في قوله تعالى : {إلا أصحاب اليمين*في جنات يتساءلون*عن المجرمين*ما سلككم في سقر }[3]، فالانتقال من حوار المؤمنين بعضهم مع بعض في الجنة (يتساءلون) ، إلى توجيه الخطاب والسؤال إلى أهل النار ، التفات يرمي القرآن منه تأكيد السخرية ؛ لأن توبيخهم وهم حاضرون ، يسمعون وينظرون ، أنكى لهم وأشد ، وبخاصة أنهم عرفوا مصيرهم .

ومنه أيضا قوله تعالى : { ... فهو في عيشةٍ راضية*في جنة عالية*قطوفها دانية*كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية }[4]، والالتفات ظاهر من أسلوب الغائب (هو) ، إلى أسلوب المخاطب (كلوا).

ويخلص الدارس مما سبق إلى القول : إن القرآن في نصوص الجنة يستخدم الضمير بمختلف أنواعه ، وبأساليبه المختلفة ، ليحقق بذلك ملامح تمييزية ، تخص

١- الزخرف ، ٧٠/٧١ .

٢- الانسان ، ٢١ ،٢٢ .

٣- المدثر ، ٣٩ – ٤٢.

٤- الحاقة ، ٢١ – ٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكلام حيناً كالإيجاز ، وتمس المتكلم عليه حيناً آخر ، بهدف إزالة اللبس عن السامع ، وإفادة الاختصاص والاعتناء والتوكيد . وبهذا تشكل نمطاً تعبيرياً رائعاً ، له جماليته الخاصة .

٢) التعريف بالإشارة :

ومن أنواع التعريف في نصوص الجنة : التعريف باسم الإشارة ، وهو " ما دلّ على مسمّى ، وإشارة إلى ذلك المسمّى "[١]، وهذه هي الدلالة الوضعية لاسم الإشارة في النحو العربي ، غير أنّ اسم الإشارة يخرج عن هذا الوضع الإشاري ليحقق مقاصد أسلوبية من خلال سياقات النص القرآني ، " وسياق التعريف بالإشارة يجمع بين الارتباط بمقصد المتكلم ، وطبيعة المخاطب ، وحسية المشار إليه ... ، ينضاف إلى ذلك توفر المقام الذي يستدعي التمييز والتعيين "[٢].

وقد أفاد التعريف بالإشارة في نصوص الجنة أغراضاً تجمع بين الاختصار ، والتعظيم ، والعهد ، والعموم ، واستحضار الخبر المتقدم ، وبلاغة البعد والقرب الذي يشير إليه الاسم .

فمن السياقات البلاغية التي ورد فيها اسم الإشارة الدال على الإيجاز قوله تعالى : { إلا المصلين*الذين هم على صلاتهم دائمون*والذين في أموالهم حق معلوم*للسائل والمحروم*والذين يصدقون بيوم الدين*والذين هم من عذاب ربهم مشفقون*إنّ عذاب ربهم غير مأمون*والذين هم لفروجهم حافظون ... أولئك في جنات مكرمون }[٣]، فقد عدّدت الآيات صفات المؤمنين وأعمالهم التي أوصلتهم إلى الجزاء العظيم ، وهي ثماني صفات جاء بعضها في إثر بعض ، فلمّا أراد القرآن ذكر الجزاء استخدم اسم الإشارة (أولئك) ، مستغنياً عن إعادتها ، وبهذا حقق الاختصار من جهة ، وأثبت هذه الصفات لهم ، " جاعلاً ما يترتب على تلك الأوصاف مسنداً إلى هذا الاسم ، واسم الإشارة هذا يفيد أنّ ما يرد بعده ، فالمشار إليه جدير به "[٤].

وتتعدّد الآيات الدالة على الغرض السابق ، كما نجد ذلك في سورة الفرقان ، فقد ذكر الآيات أعمال أهل الجنة ، ثم استخدمت الإشارة للدلالة عليهم ، دون حاجة في تكرار هذه الصفات ، إذ إنّ الموقف يتركّز على ذكر الجزاء الذي يدلّ عليه قوله تعالى : { أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقّون فيها تحية وسلاماً }[٥].

١- ابن هشام ، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ،١٨١.

٢- عبد المطلب ، محمد ، البلاغة والأسلوبية ، ٢٦٣ .

٣- المعارج ، ٢٢ – ٣٥ .

٤- أبو موسى ، محمد ، خصائص التراكيب ، ١٥٧ .

٥- الفرقان ، ٦٣ – ٧٥ ، ولم نذكرها اختصارا ،وكذلك المؤمنون ، ١-١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : { إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنّا لا نضيع أجر من أحسن عملاً*أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار... }[1]، فدلّ اسم الإشارة (أولئك) على المشار إليهم ، ولم يكرر إيثاراً للإيجاز والاختصار ، وأسلوباً لربط الكلام بعضه ببعض .

ومن سياقات التعريف بالإشارة الدالة على تعظيم المشار إليه ، سواء أكان المخبر عنه المؤمنين أم الجنة نفسها ، كما يظهر في قوله تعالى : { ادخلوها بسلامٍ ذلك يوم الخلود }[2]،فقد استخدم القرآن اسم الإشارة (ذلك) ، وكان النظم يقتضي اسم الإشارة (هذا) ؛ لأنّ الحكاية تمت في اليوم الآخر ، غير أنّ لعدول القرآن عن ذلك نكتة بلاغية تكشف معنى العظمة لذلك اليوم ، الذي فاز فيه المؤمنون ، بعد أن استعدوا له بأعمالهم الصالحة .

ومِمّا هذا شأنه قوله عزّ وجلّ : { قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم }[3]، إنّ استخدام النص اسم الإشارة الدال على القريب (هذا) ، يدلّ على تعظيم هذا اليوم الذي لا ينفع المرء إلا عمله الصادق المخلص ، ويزيد السياق درجة التعظيم عندما يصدر القول من قبل الله تعالى (قال الله) وفي تنكير لفظ(يوم) دلالة على التعظيم أيضاً ،ولهذا يشترك في دلالة اسم الإشارة على العظمة والعلو (ذلك) (القائل + هذا + النكرة + ذلك)لتؤكد المغزى المراد من المجيء به .

ويدلّ اسم الإشارة في وضعه على تحديد المسافة المكانية بالنسبة للمخاطب ، بعداً أو قرباً أو توسطاً ، غير أنّ دلالتها على البعد تخرج للدلالة على العلوّ في المنزلة ، ونجد ذلك في آيات كثر ، كقوله تعالى : { تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً }[4]، إنّ الجنة قريبة من المؤمنين ، بل هم داخلون فيها ، فكيف تستخدم القرآن الإشارة للبعيد ؟ إن في استخدام اسم الإشارة في هذا السياق دلالة على رفعة الجنة في الفضل وعلوّها في القدر .

ومن استخدام اسم الإشارة البعيد للدلالة على علوّ شأن أهلها قوله تعالى : { والسابقون السابقون*أولئك المقربون }[5]، ولعلّ في سبْق هؤلاء الفئة يناسب الخطاب بالبعيد ، إشارة إلى منزلتهم السابقة المرتفعة .

١- الكهف ، ٣٠ ، ٣١ .

٢- سورة ق ، ٣٤ .

٣- المائدة ، ١١٩ .

٤- مريم ، ٦٣ .

٥- الواقعة ، ١٠ ، ١١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يستخدم اسم الإشارة القريب لقرب الشيء معنوياً أو حسّياً ، غير أنّ القرآن يستخدمه لاستحضار ما سبق ذهنياً ، فيفيد التوكيد والتقرير ، ويظهر ذلك واضحاً في قوله تعالى : { إنّ هذا لهو الفوز العظيم*لمثلِ هذا فلْيعمل العاملون }[1]، فقد سبق في الآيات ذكر جزاء المؤمنين ، والقرآن لا يستخدم اسم الإشارة الدّال على البعد (ذلك) ويؤثر اسم الإشارة القريب ، لاستحضار أنواع النعم السابقة ، وكأنها واقعة مستمرة ، تقريراً لها في الذهن والنفس ، وحثاً للعقل على التفكير واسترجاع مضمون الفوز العظيم .

وقريب من ذلك قوله تعالى : { جناتِ عدن مفتحة لهم الأبواب*متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب*وعندهم قاصرات الطرف أتراب*هذا ما توعدون ليوم الحساب}[2].إنّ نظم الكلام في النص يقتضي القول :(ذلك ما توعدون ليوم الحساب) ، إشارة إلى ما سبق من نعيم ، بيد أن التعبير القرآني يفضل استخدام اسم الإشارة الدال على القريب ، وهو بذلك " يقصد تميزه لإحضاره في ذهن السامع حسّاً ، فالإشارة أكمل ما يكون من التمييز "[3].

ومِمّا هذا شأنه قوله تعالى : { ... عاليهم ثيابُ سندس خضرٌ وإستبرق وحلّوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهوراً*إنّ هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكوراً }[4]، إنّ من تمام الصياغة ، وإحكام النظم ، إيراد اسم الإشارة القريب(هذا) لاستقطاب نفس المخاطب ، ولفته لِما سبق من جزاء كريم ، وذلك لتكريس النعيم وتأكيده في الحسّ الظاهر والباطن .

ويميل القرآن الكريم في نصوص الجنة إلى استخدام اسم الإشارة للتدليل على **العموم** ، بقصر النظر عن حالة البعد والقرب ، وقد ورد ذلك في آية واحدة ، هي قوله تعالى : { وإذا رأيت ثَمّ رأيت نعيماً وملكاً كبيراً }[5]، و (ثَمّ) الواردة في النص " اسم يشار به إلى المكان البعيد ... وهو ظرف لا يتصرف ، فلذلك غلط من أعربه مفعولاً لرأيت "[6]. وعلى الرغم من رأي ابن هشام لـ (ثَمّ) في دلالته على البعيد ، إلا أن سياق الآية لا يشير إلى البعد ، والمعنى : " أنّ بصر الرائي أينما وقع لم يتعلق إدراكه

١- الصافات ، ٦٠ ، ٦١ .

٢- سورة ص ، ٥٠ – ٥٣.

٣- مطلوب ، أحمد ، أساليب بلاغية ، ١٤٧.

٤- الانسان ، ٢١،٢٢.

٥- الانسان ، ٢٠ .

٦- ابن هشام ، مغني اللبيب ، ١١٩/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلا بنعيم كثير ، وملك كبير "[1]، وعلى هذا ، فاسم الإشارة يدلّ على عموم الرؤيـــة ، وهذا ما أطمئنّ إليه ، والله أعلم بالصواب .

وقد يفيد اسم الإشارة الدلالة على **العهد** ، وقد ورد ذلك في قوله تعالى : { ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون }[2]، فاسم الإشارة (تلكم) يشير إلى الجنـــة التي وعد الله عباده بها في الدنيا ، و (تلكم) " إشارةإلى غائب ، وإنما قال هنا(تلكم) لأنهم وعدوا بها في الدنيا ، فلأجل الوعد جرى الخطاب بكلمة العهد }[3].

وورد اسم الإشارة متصلاً بالكاف التي للتشبيه في قوله تعالى : {جنـــات عـــدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاؤون كذلك يجـــزي الله المتقيـــن }[4]، والمعنى : " هكذا يكون جزاء التقوى "[5]، ولعلّ في اسم الإشارة البعيد (ذلك) دلالـــة على علوّ منزلة الجزاء ، وتعظيماً له أيضاً .

وجاء اسم الإشارة متصلاً بالكاف أيضاً في قوله تعالى : { يلبسون مـــن ســـندس وإستبرق متقابلين*كذلك وزوجناهم بحورٍ عين }[6]، وأرى أنّ المعنـــى لا يـــدلّ علـــى التشبيه بتقدير مشبّه محذوف . وأميل إلى رأي الدكتور بـــدوي فـــي أنّ (كذلـــك) " للتحقيق والتوكيد ... ولعل السر في المجيء بكاف الخطاب هنا هو بيان تمام المطابقـــة بين الحقيقة الخارجية ، والحقيقة الكلامية ؛ أي أنّ ما يكون في الواقع يطابق مـــا دلّ عليه الكلام "[7].

ولعلّه يظهر ممّا سبق أنّ استخدام القرآن لاسم الإشارة في نصوص الجنـــة قـــد حقق أغراضه في التدليل على المعنى ، حيث أحدث في النفس إيماءات أسلوبية تشـــف عن المقاصد التي يرمي إليها القرآن من أجل ترسيخها في نفس القارئ .

٣) التعريف بالموصول :

يشكل الاسم الموصول سمة أسلوبية في نصوص الجنة ، وظاهرة تعبيرية لافتـــة للنظر ،إذ يحقق الاسم الموصول – من خلال السياقات التركيبية – ملامـــح تمييزيـــة تخرج عن أصله النحوي ، وهو " ما افتقر إلى الوصل ... وهو عبارة عما يحتاج إلـــى أمرين أحدهما:الصلة ... والأمر الثاني : الضمير العائد من الصلة إلى الموصـــول "[8]،

١- الزمخشري ، ١٩٩/٤.

٢- الأعراف ، ٤٣ .

٣- الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٣٠٢/٤ .

٤- النحل ، ٣١.

٥- الفخر الرازي ، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، ٣١/٢٠.

٦- الدخان ، ٥٣، ٥٤.

٧- بدوي ، ٢١٦.

٨- ابن هشام ، شذور الذهب ، ١٨٣،١٨٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أشار علماء البلاغة إلى تلك المعاني البلاغيـــة ، التـــي يخـــرج إليـــها التعريـــف بالموصول باعتبار القرائن "[1].

ومن أهمّ الأغراض الدلالية التي يفيدها الاسم الموصول فـــي نصـــوص الجنـــة الاهتمام بجملة الصلة ، وبيانها ، ومن المعلوم أنّ الموصول من المبـــهمات التـــي لا ينحلّ إبهامها إلا بما يتبعها ، وليس هذا حاصلاً إلاّ بالاسم الموصـــول ، فيؤتـــى بـــه " عندما تكون صلته هي التي عليها مدار الحكم "[2]، وقد استحوذ هذا الغرض البلاغـــي على جلّ النصوص ، لبيان الدلالات الكبرى ، من الأعمال والأخلاق والصفات التـــي يقوم عليها الجزاء ، وأهمها الإيمان والعمل الصالح ، بوصفها الأساس الذي يُبنى عليـه المصير النهائي ، وقد تكرر هذا الأساس في آيات كثيرة ، ومن ذلك قوله تعالى : { إن الله يدخـــل الذين آمنوا وعملـوا الصالحات جنـات تجري مـن تحتهـا الأنهار ... }[3]،فقد أفاد الاسم الموصول بيان جملة الصلة ، التي توضح سبب النتيجة بمعنى أنـــه إذا كانت النتيجة هي الجنة ، فإنّ السبب هو الإيمان والعمل الصالح .

ومن سياقات الاسم الموصول التي تكون فيه جملة الصلة هي مدار الحكم ، قولـه تعالى : { لكن الذين اتقوا ربهم لـهم جنـات تجري مـن تحتهـا الأنهـار خـالدين فيها ... }[4]، فمن أجل بيان أهمية جملة الصلة ، التي تؤكد مفهوم التقوى وحكمها فـي الجزاء ، جيء بالاسم الموصـول الـدّال علـى الجمع (الذيـن) ، ليتقـرر الحكـم بالجزاء على من التزم بمضمون الصلة ، وهي صفة التقوى ، بما تتضمنه من المراقبة والخوف والاستقامة ، والمتلقي لهذه النصوص وغيرها يلحظ اهتمـام القـرآن بجملـة الصلة ، ويهدف من ورائها إلى تنبيه المتلقي لمضمون الجملة ، فالتعريف بالموصوليـة له علاقة بنفسية المتلقي ، إذ هو المحور الذي يدور عليه الاسم الموصول ، من توجيـه الخطاب المباشر ليتعلق ذهنه بحكم الجملة الموصولة .

ومن الدلالات الكبرى التي تركز عليها جملة الصلة الإحسان ، ونجـد ذلـك في قوله تعالى : { للذين أحسنوا الحسنى وزيادة }[5]، فمدار الحكم الذي يقتضيه الجزاء هو الالتزام بصفة الإحسان .

ومن الدلالات التعبيرية التي يفيدها التعريف بالموصول دلالة **التعظيم** ، ونجد ذلك بيّناً في قوله تعالى : { هذا ما توعدون لكلّ أوابٍ حفيظ ، من خشي الرحمـــن بـــالغيب

١- ينظر مثلا ، الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ١٥٤ ، وكذلك القزويني ، الخطيب ، الايضاح في علوم البلاغة ١١٥، والقزويني ، جلال الدين ، شرح التلخيص ، ٣٢ .

٢- بدوي ، ١٣٦ .

٣- الحج ، ١٤ .

٤- آل عمران ، ١٩٨ .

٥- يونس ، ٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجاء بقلب منيب }[1]،إنّ الغرض الأسلوبي الذي سيق من أجله الاسم الموصول (مَن) هو تعظيم الإنسان المتّصف بالخشية من الله ، بما تنطوي عليه هذه الصفة من ظلال المراقبة لله تعالى ، واليقين بعلم الله المطلق في السّر والعلانية . وما يستتبع ذلك من أعمال هي ثمرة الخشية ، إنّ هذه الصفة عظيمة ، يستحق من يتصف بها التعظيم في الشأن ، والملاحظ أنّ القرآن عطف جملة (وجاء بقلب منيب) دون تكرار الاسم الموصول ، لنكتة لطيفة تتمثل في أنّ مَن يلتزم بالخشية يجب أن يكون قلبه سليماً من الآفات والشرات ، والأعمال القبيحة ، عامرا بالإنابة والرجوع إلى الحق والصواب ، ولعلّ في اختيار القرآن اسم(الرحمن) دون بقية الأسماء الجليلة لله تعالى ، ما يمسّ صفة الخشية ، بما فيها من همس الحروف ، " والتعرض لعنوان الرحمانية للإشارة بأنهم مع خشيتهم عقابه ، راجون رحمته "[2].

غير أنّ القرآن قد يكرر الاسم الموصول عندما يكون لكلّ صلة تميّز خاص ، وموقع اهتمام مميّز ، ومن ذلك قوله تعالى : { وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن إنّ ربنا لغفور شكور*الذي أحلّنا دار المقامة من فضله ... }[3]، إنّ جملة الصلة الأولى (الذي أذهب عنا الحزن) تشكل اهتماماً خاصاً بها ، فالنجاة من النار ، واستبعاد الحزن عنهم ، يقتضي خصوصية ما ، تبرز أهميتها عندما يرى المؤمنون غيرهم من الكفرة يعلو وجوههم الحزن والذل مع إفادة التعظيم الذي يحققه الاسم الموصول في الجملتين .

أمّا جملة الصلة الثانية (الذي أحلنا دار المقامة من فضله) ، فتشكل مفصلا آخر عظيماً ، يعترف به المؤمنون ويحمدون ربهم عليه ، إنّ النجاة من العذاب خطوة أولى على طريق دخول الجنة ، الذي يمثل المرحلة الثانية والأخيرة في الحساب ، وهذا يستحق اهتماماً ، وبخاصة إذا ما عرفنا أنّ أهل الأعراف يدخلون الجنة متأخرين .

ومن التجليات الأسلوبية التي يكثفها التعريف بالموصول ، الإيحاء إلى **بناء الخبر** فجملة الصلة ، بما تحمله من مضامين ، ترسّخ معرفة الخبر قبل تمامه ، ويظهر هذا الغرض في قوله تعالى : { ... فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقُتلوا لأكفّرنّ عنهم سيئاتهم ولأدخلنّهم جنّات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب }[4]. فجملة الصلة في هذا النص القرآني توجه عقل المتلقي لمعرفة الخبر ، فيتوقع أجر من تحمل الإيذاء ،والقتل والهجرة، والجهاد في سبيل الله ، فيكون الجواب المتمثل في تكفير السيئات ، ودخول

١- سورة ق ، ٣٢، ٣٣ .

٢- الألوسي ،٢٦/١٩٠.

٣- فاطر ، ٣٤، ٣٥ .

٤- آل عمران ، ١٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجنات ، كما توقع ، وفي هذا الغرض تشويق ، ففي الصلة " ما يوحي إليك بأنه أعدّ لهم خيرٌ عظيمٌ، يناسب إيمانهم وهجرتهم وجهادهم "[١].

وقريب من ذلك قوله تعالى : { إنّ الذين سبقت لهم منّا الحسنى أولئك عنها مبعدون "[٢]، فإنّ جملة الصلة (سبقت لهم منّا الحسنى) تهيّئ الذهن لمعرفة الخبر المتمثل في النجاة من العذاب .

وشبيه بما سبق قوله عزّ جلّ : { والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات ... }[٣]، فقد أثارت جملة الصلة (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) عقل المتلقي لمعرفة الجزاء الذي ينتظرهم ، وأشارت إليه (سندخلهم جنات) ، ولعلّ في هذا الأسلوب حفزاً لذهن القارئ لتلقي الخبر ، وحثاً له على القيام بمضمون الصلة .

ويلجأ القرآن في وصف الجنة إلى استخدام الاسم الموصول ، من أجل **التفخيم** ، وإضفاء صبغته على النعيم ، وذلك عندما يأتي الاسم الموصول مبهماً ، وقد كثر هذا النمط التعبيري في نصوص الجنة ، ليتناسب والجزاء العظيم الذي أخبر عنه تعالى بقوله : { فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرّة أعين ... }[٤]، فإنّ ما هنا " اسم غامض المعنى مبهم الدلالة ، ولهذا الغموض والإبهام أثرهما في غموض المعنى الكلّي للجملة "[٥]. فمن المواطن التي استخدم القرآن الموصول لإفادة التفخيم قوله تعالى : { إنّ المتقين في جنات وعيون*آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين }[٦]، فإيراد الاسم الموصول (ما) يوحي بمعنى الكثرة والتفخيم ، لهذا الجزاء العظيم ، وللقارئ أن يجيل خواطره في الأجواء التي يحققها الإبهام في (ما) والتعميم فيه ، " والعموم مأخوذ من شيوع (ما) ، وإطلاقه في معرض المدح ، وإظهار منّة الله تعالى عليهم ، واعتبار الرضا ، لأنّ الأخذ قبول عن قصد "[٧].

ومِمّا هو من هذا الباب قوله عزّ وجلّ : { لهم فيها فاكهة ولهم ما يدّعون }[٨]، وقوله تعالى : { لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد }[٩]، فالاسم الموصول (ما) أفاد صفة العموم والتفخيم والتعجب من هذا الجزاء ، وللعقل أن يحلّق في خياله ، متسائلاً

١- بدوي ، ١٣٦.

٢- الأنبياء ، ١٠١.

٣- النساء ، ٥٧.

٤- السجدة ، ١٧.

٥- حسن ، عباس ، النحو الوافي ، ٣٠٦/١.

٦- الذاريات ، ١٥، ١٦ .

٧- الألوسي ، ٧/٢٧ .

٨- يس ، ٥٧.

٩- سورة ق ، ٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن كُنه هذا النعيم وصفاته وأنواعه ، وأن يدفع نهمه الفكري أن يُبحر في كل ما يشاء مِمّا لذّ وطاب ، من الممنوع في الدنيا والحلال ، ومِمّا وجد له شبيهٌ في الدنيا ، ومِمّا تخيّله وهمه ، ويتحقق من ذلك كله ، سيجد أنّ الإبهام والعمومية التي يحملها الاسم الموصول ، تحتمل هذا الفكر والخيال ، ثمّ يقارن ما سبق بقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه : " أعددت لعبادي الصالحين ، ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ذخراً بله ما أطلعكم الله عليه "[1].

ومن السياقات التعبيرية التي يحققها الاسم الموصول دلالته على العموم ، بحيث يستغرق جميع الأفراد الذين يقومون بالأعمال الصالحة ، بصرف النظر عن جنسهم ولونهم ، مِمّا يوحي بشمولية الخطاب ، وعمومية الرسالة الإسلامية ، ويظهر ذلك في قوله عزّ وجلّ :{ولمن خاف مقام ربه جنتان }[2]،فإنّ الاسم الموصول (مَن) يفيد أنّ أي شخص يلتزم بصفة الخوف من الله تعالى ، يستحق هذا الجزاء المتمثل في الجنتين الموعودتين .

ومنه قوله تعالى : { تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنّات تجري من تحتها الأنهار }[3]، فالتعريف بالموصول (مَن) دلّ على خطاب العموم ، وقيّد بالطاعة لله ورسوله ، دون تحديد الأسماء والألوان .

وقريب من ذلك قوله تعالى : { جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ... }[4]، فلفظ (مَن صلح) لا يدلّ على مخصوص ، وإنما ينسحب على كل شخص تحققت فيه صفة الصلاح ، " وهذا يدلّ على أنّ مجرّد النسب من الصالح لا ينفع ، إنما تنفع الأعمال الصالحة ... وهذه بشارة بنعمة اجتماعهم مع قراباتهم في الجنة "[5].

ونخلص مِمّا سبق إلى القول : إنّ نصوص الجنة قد شكلت بؤرة بلاغية في استخدامها التعريف بالاسم الموصول ، وحققت من وراء ذلك أغراضاً أسلوبية أومأت إلى مُميّزات الجنة ونعيمها وأهلها الداخلين فيها وصفاتهم التي تحلّوا بها .

١- مسلم ، صحيح مسلم ،١٦٦/١٧ .

٢- الرحمن ، ٤٦.

٣- النساء ، ١٣ .

٤- الرعد ، ٢٢ .

٥- الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٣٧٨/٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤) التعريف بـــ (أل) :

يشكل أسلوب التعريف بـــ (أل) ملمحاً بلاغياً ، ينطوي على دلالات معنويـــة ، وأغراض أسلوبية دقيقة ، " فتكون للعهد حيناً ، وللجنس حيناً آخر ، ومن أجمل مواقعها فيه أن تستخدم لاستغراق خصائص الجنس "[١].

فمن المواقع التي تستخدم فيها (أل) للدلالة على الاستغراق ، ما ورد في قولـــه تعالى : { مثل الجنة التي وُعد المتقون تجري من تحتها الأنهار ... }[٢]، فإنّ التعريف بـــ (أل) في لفظ (المتقون) مستغرقه كل فرد اتصف بخُلق التقوى ، وهي بذلـــك لا تشير إلى معين قصد تخصيصه ، وإنما تشير إلى الناس الذين اتقوا ربـــــهم ، فـــاتبعوا أوامره ، وانتهوا عمّا نهى الله عنه .

ومـــن ذلـــك أيضـــاً قوله تعالى : { الأخلاء يومئذ بعضـــــهم لبعـــض عـــدوّ إلا المتقين }[٣]، فتعريف (الأخلاء) بالحرف دلّ على جميع الأخلاء دون تعيين لأحدهم ، " فالآية عامة في كل مؤمن ، ومتّق ، وكافر ، ومضل "[٤].

ومن دلالة (أل) على الاستغراق قوله تعالى : { أولئك يُجزون الغرفـــــةَ بمـــا صبروا ويلقّون فيها تحية وسلاماً }[٥]، ومعلوم أنّ في الجنة غرفاً كثيرة لا تعدّ ، بدليل قوله عزّ وجـــلّ في مـــوطن آخر : { وهم في الغرفات آمنون }[٦]،وقد جيء بـــ(أل) هنا لإفادة معنى الاستغراق لجميع غرف الجنة ، " والغرفة اسم معرف بـــ (أل) فيعـمّ أي الغرف "[٧].

ونجد (أل) المتضمنة معنى الاستغراق جليّة في قوله تعالى : { ولهم فيها مـــــن كلّ الثمرات ومغفرة من ربهم ... }[٨]، فإنّ (أل) في لفظ (الثمرات) قد اســـتغرقت كل أصناف الثمار ، ولم تختص بنوع واحد أو صنف معيّن .

ومن السياقات التي تفيد (أل) فيها الاستغراق قوله تعالى : { ختامه مسك وفـــي ذلك فليتنافس المتنافسون }[٩]، والتنافس يقتضي عدم التعيين ، وإلا لاقتصر ذلك علـــى

١- بدوي ، ١٣٧ .

٢-الرعد ، ٣٥.

٣- الزخرف ، ٦٧.

٤- القرطبي ، أبو عبد اله محمد ، الجامع لأحكام القرآن ، ١١٠/١٦.

٥- الفرقان ، ٧٥.

٦- سبأ ، ٣٧ .

٧- الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٤٧٤/٦.

٨- محمد ،١٥ .

٩- المطففين ، ٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فئة دون أخرى ، والمحثوث عليه في الآية ليس ذلك ، وإنما التنافس بمعناه الكلي ، والمستغرق لكل مخاطب سمع هذا القول ، وهذا ما أكدته (أل) التي أفادت الاستغراق

ومن المواطن التي يلجأ القرآن لاستخدام (أل) لدلالة الإستغراق قوله تعالى : { والسابقون السابقون }[1]، فإن لكل زمان سابقين ، وإن كانوا في الزمن الأول أكثر منهم في الزمن الآتي ، كما يدل على ذلك قوله تعالى : { ثلة من الأولين*وقليلٌ من الآخرين }[2]، ويطرح أبو السعود في تفسيره أقوالا متعددة لمعنى (السابقون)،فيقول : " هم الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة ... وقيل : هم الذين صلوا إلى القبلتين ... وقيل : هم السابقون إلى الصلوات الخمس ، وقيل : المسارعون في الخيرات "[3]، وعلى هذا فإن (أل) أفادت معنى استغراق كل فرد تطلق عليه صفة السابق .

وتدل (أل) على **الجنس** أيضا ، إذا قصد بها التعيين لشيء ، وبذا تنتفي الاحتمالات الأخرى ، ويظهر ذلك في قوله تعالى : { ... فريق في الجنّة وفريق في السعير }[4]، فإن المقصود بالجنة في الآية هي الجنة الأبدية التي وعد الله بها عباده المؤمنين ، وليس أية جنة مما تعارف عليه الناس ، وكذلك كلمة السعير ، الخاصة بأهل النار ، فإن (أل) فيها أفادت السعير الأبدي الذي يتنظر المكذبين .

ومن هذا الباب قوله تعالى : { وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون }[5]، فإن كلمتي (الأنفس) و (الأعين) ، أفادت النفس البشرية والعين البشرية ، بمعنى : أن أية عين ترى الجنة ، وأية نفس تحسها ، تستلذ بها وتطيب .

ومن المواقع التي تفيد فيها (أل) الدلالة على الجنس ، قوله عز وجل : { وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ... }[6]، فقد عرف القرآن الصالحات بـ (أل) ، فأفاد بذلك جنس العمل الصالح ، وهو " كل ما استقام من الأعمال ، بدليل العقل والنقل ، واللام للجنس "[7].

ومن أحسن السياقات التي تستخدم فيها (أل) للدلالة على الجنس قوله تعالى : { وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور }[8]، وقد جاء لفظ

١- الواقعة ، ١٠.

٢- الواقعة ، ١٣،١٤.

٣- أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي ، تفسير أبو السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم ، ١٨٩/٨.

٤- الشورى ، ٧.

٥- الزخرف ، ٧١.

٦- البقرة ، ٢٥.

٧- أبو السعود ،٦٨/١.

٨- فاطر ، ٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحزن معرفاً بـــ (أل) التي للجنس ، " والظاهر أنه الجنس المنتظم لجميـــع أحـــزان الدين والدنيا "[1].

وقد يستخدم القرآن الكريم في نصوص الجنة (أل) للعهد الحضوري ، " ولا تقع هذه إلا بعد أسماء الإشارة ، نحو " جاءني هذا الرجل "[2]، وقد جاء ذلك في قوله تعالى : { تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً }[3]، فتعريف الجنة بـــــ (أل) دلّ على الجنة المعهودة في الوقت المتحدّث عنه ، وهو الحاضر بعد دخول المؤمنين الجنة

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : { وتلك الجنّةُ التي أورثتموها بما كنتم تعملـون }[4]، فالخطاب للمؤمنين في الآخرة عن الجنة الحاضرة التي عهدوها وشاهدوها .

وقد تدلّ اللام على العهد الذهني ، وعبرة هذه أن يسدّ الضمـــير مسـدّها مـع مصحوبها مثل : اشتريت فرساً ، ثمّ بعت الفرس ؛ أي بعته [5]، ومـن دلالـــة(أل) على العهد الذهني قوله تعالى : { ويدخلهم الجّنةَ عرَّفها لهم }[6]، فإنّ (أل) في كلمة (الجنة) تدلّ على العهد الذهني الذي حفظه المؤمنون في ذاكرتهم أيام الحيـــاة الدنيـــا ، والمعنى " وصف الله تعالى لهم الجنة في الدنيا ، فلمّا دخلوها عرفوها بصفتها "[7] .

ولا تقتصر دلالة (أل) على أغراض العهدية والجنسية والاستغراق وحسب ، بل تتعدّد سياقاتها ، فتفيد المبالغة في الصفة والتعظيم فيها ، وهذا بيّـن في قولـــه عـزّ شأنـــه : { ومن يطع الله ورسوله يُدخلْه جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار خـــالدين فيـــها وذلك الفوزُ العظيم }[8]، فقـــد عرّف الخبر ، وهو (الفوز) بـــ (أل) ، وأصل الخبر " أن يكون نكرة ... فإذا ورد فيه اللام فإنها تأتي لمقاصد ...أولها أن تقصد المبالغة في الخبر "[9]، وهذا ما حملته دلالة التعريف بـــ (أل) ، فقد أفادت التعظيم في الفوز الذي يناله المؤمنون في الآخرة ، فهو فوز " لا فوز وراءه ، إذ هو خـــلاص عـن جميـع المكاره ، ونيل لكل المطالب "[10]. وبهذه المبالغة والتعظيم تنمحي كل أشـــكال الفـوز الدنيوية ، من فوز بالمال وغيره ، وقد أكّدت كلمة (العظيم) في قوله:(الفوز العظيم) معنى المبالغة أيضاً .

١- أبو السعود ، مج (٤)، ١٥٤/٧.

٢- ابن هشام ، مغني اللبيب ، ٥٠/١.

٣- مريم ، ٦٣.

٤- الزخرف ، ٧٢.

٥- ينظر ابن هشام ، مغني اللبيب ، ٥٠/١.

٦- محمد ، ٦ .

٧- القرطبي ، ٢٣١/١٦.

٨- النساء ، ١٣ .

٩- العلوي ، ٢١/٢.

١٠- أبو السعود ، ٦٦/٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن لطائف استخدام (أل) التعريف في نصوص الجنة استخدامها للدلالة على **الاختصاص** ، وقد أشار الجرجاني إلى هذا الغرض بقوله : " أن تقصر جنس المعنى الذي تفيده بالخبر على المخبر عنه ، لا على معنى المبالغة ... بل على دعوى أنه لا يوجد إلا منه "[1]، وهو ما يتجلى في قوله عزّ وجلّ : { أولئك هم الوارثون*الذين يَرثون الفردوسَ هم فيها خالدون }[2]، إنّ تعريف الخبر (الوارثون) باللام قد أفاد معنى الاختصاص ، فالمؤمنون الذين أشير إليهم في الآية هم وحدهم الورثة الشرعيون للجنة الخالدة في وقت محدّد ، وهو الآخرة ، وإذا أفاد التعريف ذلك ، فقد انتفت الشركة بهذا الميراث ، ومنه أيضاً قوله تعالى : { لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون }[3]، فإنّ الفوز لا يكون إلاّ لأصحاب الجنة .

ونخلص من التعريف باللام إلى القول : إنّ التعريف بالحرف في نصوص الجنة قد حقق أغراضه الأسلوبية التي جيء به من أجل تحقيقها ، وهي دلالة الجنس ، والعهد والتعظيم ، والمبالغة ، والاختصاص .

٥) التعريف بالإضافة :

ومن أساليب التعريف في نصوص الجنة التعريف بالإضافة ، حيث يُعدّ ظاهرة أسلوبية تشفّ عن معانٍ دقيقة ، ولطائف رفيعة ، تخرج عن إفادة التعريف الذي هو الأصل ، ويكون التعريف بالإضافة ؛ " لأنه ليس للمتكلم طريق إلى إحضاره [أي المضاف] في ذهن السامع أخصر منه ، أي ؛ يقصد إليه رغبة في الإيجاز "[4]، ويظهر ذلك المقصد في قوله تعالى : { والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون }[5]، إنّ تعريف كلمة (أصحاب) بإضافتها إلى كلمة (الجنة) خرجت من علاقة التعريف الوضعية إلى العلاقة الاستبدالية ، التي تحقق الإيجاز ، ومعلوم أنه لا مجال للتفصيل من هذا الموضع التقريري ، فأصحاب الجنة كثر ، لا يسمح النظم للأخذ والتفسير والتعديد ، فجيء بالإضافة هنا للإيجاز والاختصار ، وهو غرض بلاغي أثير في القرآن بعامّة .

ومن المقاصد الأسلوبية التي يلجأ القرآن لتحقيقها عن طريق التعريف بالإضافة ، مقصد التعظيم للمضاف ، حين يضاف إلى شيء يتسم بالعظمة والشرف والرفعة ، وهذا ما يتجلى في قوله تعالى : { يا أيتها النفس المطمئنة*ارجعي إلى ربك راضية

١- الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ١٣٨ .

٢- المؤمنون ، ١٠،١١.

٣- الحشر ، ٢٠.

٤- أبو موسى ، ١٦٢

٥- البقرة ، ٨٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مرضية*فادخلي فـــي عبادي * وادخلي جنّتي }[1]، إنّ الإضافة في الكلمات (ربّك) ، و (عبادي) ، و (جنّتي) ، قد أفادت معنى التعظيم المستوحى من إضافتها إلـــى الله عزّ وجلّ ، وأيّ عظَمة أرفع شأناً ، وأجلّ مكانةً ، من عظَمة الله تعالى ؟! ولعلّ فـــي الإضافة غير التعظيم معنى التشريف ، فإنّ الإنسان يُشرّف ويُبشّـــر بـــالدخول علـــى الملوك وأصحاب السلطان ، فكيف إذا علم أنه مضاف ومضموم إلى ملك الملـــوك ربّ العالمين ؟! فإذا كان ذلك كذلك فإنّ جنة الله تعالى (جنّتي) ، هـــي الجنـــة العظيمـــة الشريفة ، التي تستحق العمل من أجلها ، وفي إضافة عباد إلى الله تعالى تشريف لـــهم أيضا لأن علاقة العبودية تعلو أي علاقة أخرى .

ويلمس الدارس من خلال إضافة ضمير المخاطب (ك) ، إلى كلمـــة (ربّ) رقة الإيناس والاطمئنان ، حيث تنضم هذه النفس إلى مصدر الرعاية والحماية ، ويُعبّر سيّد قطب عن هذه الدلالة بقوله : " ارجعي إلى مصدرك بعد غربة الأرض ، وفرقـــة المهد ، ارجعي إلى ربّك ، بما بينك وبينه من صلة ومعرفة ونِسْـــبةٍ ... والموســـيقى الرخيّة الندية حول المشهد ، ترف بالودّ والقربى والسكينة "[2].

ومِمّا هذا شأنه قوله تعالى : { أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري مـــن تحتها الأنهار خالدين فيها ونعْم أجرُ العاملين }[3]؛ فالعامل الذي أحسن وأتقن ، وجب له الجزاء الحسن ، وهذا ما ينطبق على الآية ، وألمح كذلك من خلال هذه الإضافة قـــوّة الحثّ على العمل ، فإنّ هذا الأجر لا يُنال إلاّ بالعمل ، وقد جاءت الآية فـــي ســـياق المدح (نِعْمَ) ، لتؤكّد تلك المعاني .

ومن دلالة التعظيم أيضاً قوله تعالى في وصف حور الجنة : { فيهنّ قـــاصرات الطّرف لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولا جانّ }[4]، إنّ إضافة المسند إليـــه (قاصرات) إلى (الطرف) قد حقّق غرض التشريف والاهتمام بهذا القصر الذي تلتزمه نساء الجنـــة ، ولَمّا كان الطرف هو الأداة التي يتمّ فيها النظر حسّياً ، فقد أفاد تعظيم فعل الحور فـــي أنها لا تتطلع لغير زوجها .

وأُحسّ عندما أتلو قوله تعالى على لسان أهل الجنة بعد تأمينـــهم مـــن عـــثرات الحساب : { الذي أحلّنا دار المقامة من فضله ... }[5]، أحسّ لحن الاعتراف بـــالجميل ، والتأدّب في ردّ المنّة والنعمة إلى الله صاحب الفضل (من فضله) ، على الرغم مـــن

١- الفجر ، ٢٧-٣٠ .

٢- قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ، ٦/ ٣٩٠٧.

٣- آل عمران ، ١٣٦.

٤- الرحمن ،٥٦.

٥- فاطر ، ٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استعدادهم لهذا اليوم بما قدّموه من العمل الصالح ، وهذا ما حققته الإضافة ، كما أنها – أي الإضافة – قد أفادت معنى التعظيم والتفخيم للفضل الصادر عن الله تعالى .

ولعلّ من أحسن سياقات التعريف بالإضافة التي يلجأ القرآن عبرها لإفادة صفة التفخيم في النعيم ، سياق إضافة الجنة إلى نظائر متعدّدة من الصفات ، ووجوه متشعبة من الأنواع الجليلة ، التي من شأنها أن ترفع الجنة إلى مصافّ الاعتقاد الخالص بأنها الغاية التي يشتاق المرء إليها ، ويبذل في سبيل الوصول إليها العزيز والنفيس ، وهي بذلك ترسم صورة حسّية ونفسيّة للمنزل الكامل المتوافق مع خيال المتلقي ، وأسرد هذه الآيات لنرى كيف يتجلى هذا التنويع والتكامل :

{ جناتُ عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم...} الرعد ، ٢٣

{إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنّاتُ الفردوس نزلاً} الكهف، ١٠٧

{ لهم دارُ السلام عند ربهم وهو وليّهم بما كانوا يعملون } الأنعام ، ١٢٧

{ إنّ للمتقين عند ربّهم جنّاتِ النعيم } القلم ، ٣٤

{ ... الذي أحلّنا دارَ المُقامة من فضله ... }فاطر ، ٣٥

{ قل أذلك خير أم جنةُ الخلدِ التي وُعد المتقون ...الفرقان ، ١٥

ويلحظ القارئ من قراءة النصوص السابقة إضافة الجنة إلى روائع الصفات التي تجعل منها المثال في الكمال ، والنهاية في الوصف ، الصفات التي تتمثل بـ (عدن ، الفردوس ، السلام ، النعيم ، المقامة ، الخلد) .

ولعلّنا فيما سبق قد وجّهنا فكر القارئ إلى اللطائف الأسلوبية ، والمقامات السياقية الرائعة التي حققها التعريف بالإضافة في نصوص الجنة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بلاغة الحذف

يستقل أسلوب الحذف في القرآن الكريم بعامة ،وفي نصوص الجنة بخاصة ، بمنزلة عالية في البحث الأسلوبي ، لما يتضمنه من سمات بلاغية دقيقة ، يتجلى فيها النظم القرآني بأبهى صوره .

والحذف نوع من الإيجاز ، والإعجاز في الإيجاز أبلغ ،وفي البيان أعمق ، وقد أفاض شيخ البلاغة العربية عبد القاهر في الحديث عن أسلوب الحذف، وعقد له فصلا بيّن فيه لطائفه ، وحقق دقائقه ، بقوله :" هو باب دقيق المسلك ،لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ،شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن " [1]

والحذف خلاف الذكر الذي هو الأصل ، ويعثر الدارس لنصوص الجنة على أمثلة يرى أن الذكر فيها أظهر للمعنى من الحذف و من ذلك قوله تعالى : { فاكهين بما آتاهم ربّهم ، ووقاهم ربُّهم عذابَ الجحيم }[2] .فقد ذكر القرآن لفظ (ربهم) مرّة أخرى مع أنها سبقت في الجملة الكلامية و كان يكفي ليفهم السامع أن تذكر مرّة واحدة ، ويترك للسياق الدلالة عليها (ووقاهم عذاب الجحيم) غير أن الذكر هنا أعمق وأبين للمقام من الحذف ، ولا سيما أن وقاية المؤمنين من العذاب أمر عظيم ، لا يكون إلا من قبل من يملك الأمر ، والملاحظ أن القرآن خص ذكر (الرب) دون بقية الصفات الالهية الجليلة ؛ لأن مفهوم الربوبية يقتضي العناية التي تناسب موقف الوقاية ، وفي هذا تعظيم للمذكور ، وتقرير للفعل المعوّل عليه .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : { لا يمسنا فيها نصب ، ولا يمسّنا فيها لغوب } [3] ، فقد ذكر (لا يمسنا) ثانية ، وحسب المتلقي أن يفهم المعنى لأول وهلة ، غير أن النص القرآني يراعي مقتضى الحال ، ويعطي لصفة المس السلبي الوظيفة المنوطة بها في توكيد عدم المساس بالنصب واللغوب ، و من هنا تبرز أهمية الذكر كما يوضح ذلك صاحب كتاب البلاغة والأسلوبية بالقول: " وطبيعة الذكر تمثل جانبا موضوعيا في الصياغة باعتبارها قائمة على الوضع اللغوي في الأصل ، ومع ذلك فقد قام البلاغيون بتحريك هذا السياق من وضعيته إلى إكسابه لونا من الذاتية يربطه

---

[1] – الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ١١٢ .

[2] – الطور ، ١٨ .

[3] – فاطر ، ٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

باعتبارات في الأداء مستقلة إلى حد ما عن أصل الوضع ، ومتصلة في نفس الوقت بالمقام والحال " [1] ويمكن الاستشهاد أيضا بالمثالين السابقين في باب التكرار .

غير أن دلالات الحذف أكبر؛ لأنه- كما ذكرنا- خلاف الأصل ، وتعنى الدراسة الأسلوبية لموضوع الحذف بالمواقع الدلالية التي يحققها ، وتقتضيها طبيعة النظم الفني للغة القرآنية ، لا أن تتركز الدراسة على عموميات الحذف اللغوي دون ربطها بالسياق لذا " لا ينبغي أن نفهم الحذف على معنى أن عنصرا كان موجودا في الكلام ، ثم حذف بعد وجوده ،ولكن المعنى الذي يفهم من كلمة الحذف ينبغي أن يكون هو الفارق بين مقررات النظام ا للغوي ، وبين مطالب السياق الكلامي الاستعمالي "[2]. ولأسلوب القرآن في نصوص الجنة تفرد واضح في رصد المعاني المتحققة من وراء الحذف ، بما يثيره من تفكير ، وتنشيط للخيال ، وتوقد للذهن ، وتوليد للذة خاصة ناتجة عن ألم المعرفة والكشف .

ونحن في غنى عن ترديد أقوال العلماء في قضية الحذف ، وتعداد أغراضها إلا فيما يختص بالقدر الذي يمنح دراستنا التحقيق .[3]

وقد تنوع أسلوب الحذف في آيات الجنة من حذف المسند إليه ،إلى حذف المسند وتجاوز ذلك إلى حذف قيود الجملة ومتعلقاتها من المفعول والظروف والصفة والموصوف وبعض الحروف . إلى غير ذلك من بنيات النظام اللغوي .

<u>حذف الفاعل</u>

من صور الحذف البارزة في نصوص الجنة حذف الفاعل الذي يهدف إلى تحقيق تشكلات أسلوبية تعمق الأثر الدلالي للمتلقي ، كما أنها تبرز الأسرار التي جعلت المتكلم يؤثر الحذف على الذكر ، ومن الأغراض التي ينهض بها الحذف هنا

<u>تعظيم الفاعل</u> : حيث يلجأ ا لقرآن من وراء حذف الفاعل إلى تعظيمه " تشريفا له فتكرمه أن يذكر إن فعل مالا ينبغي لمثله أن يفعله " [4] ، ويتبدى هذا الغرض من قوله تعالى " مثل الجنة التي وُعِد المتقون تجري من تحتها الأنهار .." [5] . إن الاستغناء عن

---

[1] – عبد المطلب ، البلاغة والأسلوبية ، ٢٤٦ .

[2] – حسان ، تمام اللغة العربية معناها ومبناها ، ص ٢٩٨.

[3] – للاطلاع على أسلوب الحذف ينظر، الجرجاني ، دلائل الاعجاز ، ١١٢ ، السكاكي ،مفتاح العلوم ، ٩٩ الزركشي ، البرهان ، ١١٥/٣، والقزويني ، شرح التلخيص الصفحات ٢٨، ٥٤، ٦٨.

[4] – الغلاييني ، مصطفى ، جامع الدروس العربية ، ٤٨/١ .

[5] – الرعد ، ٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذكر الفاعل (الله) في الآية قد أفاد تعظيمه ؛ لأن فعل تحقيق الوعد لا ينبغي لأحد غيره أن يعده ، وفي حذف الفاعل هنا تركيز على المفعول ،واهتمام بشأنه وهم المتقون ؛ لأن صفة التقوى هي أعظم الصفات التي توصل المرء إلى هذا الوعد . ولعل غرض التعظيم في نصوص الجنة قد شاع حتى أنه ليكاد يكون الغرض الرئيس من وراء حذف الفاعل .

ويلجأ القرآن إلى حذف الفاعل تعظيما له مع أن الغرض يتعلق بذكره ، ومما هذا شأنه قوله تعالى :" أولئك يُجزَون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما " [1] ، فقد جاءت هذه الآية خاتمة لصفات عباد الرحمن ، ومن طبيعة العقل ذكر صاحب الجزاء وهو الله تعالى ، "ولكن لما كانت درجة الجزاء الغرفة وهي أعلى وأعز مراتب الجنة ، فإن على المجازى أن يعرف صاحب الجزاء "[2] .

وشبيه بما سبق قوله تعالى : { وأُدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام } [3] . والملاحظ أن إدخال المؤمنين الجنة أمر عظيم الشأن ، وبخاصة بعد المخاوف التي تعرض لها المؤمنون في الحساب ، ومن الطبيعي والشأن كذلك أن يذكر الفاعل . غير أن البروز الأسلوبي يقتضي الحذف لأنه في كشف الدلالة أبين ، ولا سيما أن فعل إدخال الجنة لا يكون إلا من الله تعالى ، لا يشترك معه في ذلك أحد ، ومن هنا كان ايثار الحذف تعظيما للفاعل وتخصيصا له .

غير أننا نجد القرآن يذكر الفاعل في سياق آية أخرى وهي قوله تعالى :{ إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتا الأنهار .. } [4] ومن حق المرء أن يتساءل عن هذا التغاير في الصيغ القرآنية ؟ . ولعل الجواب يكمن في سياق الآيات السابقات على هذه الآية فقد تكرر فيها لفظ الجلالة .

ومن هذه الآيات قوله تعالى { ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم }[5] فذكر الفاعل هنا مرتبط بالنظم الكلي لسياق السورة ، ويلمس الدارس هنا

---

[1] – الفرقان ، ٧٥ .

[2] – عدمان ، عزيز ، سورة الفرقان – دراسة أسلوبية ، ١٩٧ .

[3] –سورة إبراهيم ، ٢٣ .

[4] –سورة محمد ، ١٢ .

[5] – محمد ، ٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منطق الاطمئنان والإيناس للنفس المؤمنة ، وكأن المراد ، إن الله الذي هو مولاكم هو الذي يتولى إدخالكم الجنة يوم القيامة .

ومن المغايرة في نظم الآيات أعني ذكر الفاعل في آية وحذفه في آية أخرى ، ما ورد في خبر الغلمان حيث يقول تعالى :{ **يطاف** عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا } [1] فحذف الفاعل هنا للعلم به وهم الغلمان .

وفي السورة نفسها يرد سياق آخر بصيغة مغايرة كما يظهر في قوله عز وجل : {ويطوف عليهم ولدان مخلدون } [2] ، ولنا أن نتفكر عن سرّ هذا الأسلوب الاستبدالي في الموقع الدلالي الواحد . وقد التفت إلى ذلك الإسكافي ، وعرف السر و يعبر عن ذلك بالقول :" والجواب أن يقال :إن ا لقصد إلى وصف ما يطاف به من الأواني دون وصف الطائفين ، فلما كان المعتمد بالإفادة ذاك بنى الفعل مقصودا به ذكر المفعول لا الفاعل... و أما الموضع الثاني الذي سمي فيه الفاعل ... فإن القصد إلى وصف الفاعلين الذين يطوفون بهذه الآنية ، فوجب ذكرهم لتعلق الصفة بهم "[3] .

وقد يحذف الفاعل لعدم تعلق الغرض بذكره ،ويكون الاهتمام حينئذ متسلطا على المفعول ، ويظهر هذا في قوله جل شأنه :{ يُحلون فيها من أساور من ذهب ، ويلبسون ثيابا خضرا ...} [4] . والمعلوم أن الخدم من الولدان والغلمان هم الفاعلون المباشرون بفعل التحلية (يحلون) فلما كان الفاعل معلوما لدى المتلقي حذفه ،وليس ذلك وحسب بل إن في هذا الحذف لطيفة أخرى تتمثل في اهتمام النص بأهل الجنة وفي هذا يقول الأندلسي " وبناء فعله للمفعول الذي لم يسم فاعله إشعارا بأنهم يكرمون بذلك ولا يتعاطون ذلك بأنفسهم " [5] .

ومما هو من هذا الباب قوله تعالى :{ يُسقون من رحيق مختوم } [6] . فبناء الفعل (يسقون) للمجهول ، إثبات أن عندهم من يقوم على خدمتهم .

وقد ورد فعل السقيا مبنيا للمجهول في صفة أهل النار أيضا كما يظهر في الآية التالية

---

[1] – الانسان ، ١٥ .

[2] – الانسان ، ١٩ .

[3] – الخطيب الاسكافي ، أبو عبد الله محمد ، درة التنزيل وغرة التأويل في بيان المتشابهات في كتاب الله العزيز ، ٥١٠، ٥١١ .

[4] – الكهف ٣١ .

[5] – الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ١١٧/٦.

[6] – المطففين ، ٢٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

{ تُسقى من عين آنية } [1] ، والمفارقة اللطيفة هنا تعمق المعنى بين النصين فإذا كان أهل الجنة مخدومين بهذا الفعل (السقيا) ، فإن أهل النار مجبرون عليها ؛إذ إنهم لا يملكون الشجاعة في الإقدام على هذا الفعل من ذات أنفسهم ، وقد أفادت صيغة المبني للمجهول دلالة الشدة التي ترافق الكافرين في إجبارهم على هذا الشرب .

ويتميز حذف الفاعل في نصوص الجنة بغرض أسلوبي رفيع ، وأعني به **التسخير** ،بمعنى أن الأمور تجري دون فاعل ، وكأنها (مبرمجة) أو معدة لهذا الفعل من بداية خلقها وتكوينها ، وقد تفطنت إلى ذلك بنت الشاطئ حين تقول :" .. والمطاوعة فيها بيان للطواعية التي يتم فيها الحدث تلقائيا أو على وجه التسخير ، وكأنه ليس بحاجة إلى فاعل "[2]، ويظهر مضمون هذا الغرض في آيات متعددة في وصف الجنة منها قوله تعالى :{ ودانية عليهم ظلالها وذُللت قطوفها تذليلا } [3] ، فإن الأصل الذي خلقت عليه هذه القطوف هو أصل التدلي للقرب من القاطفين ، "وتذليل القطوف أن تجعل ذللا لا تمتنع على قطافها كيف شاءوا ، أو تجعل ذليلة لهم خاضعة متقاصرة " [4] ومن ذلك أيضا قوله عز وجل :{ وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد } [5] وإزلاف الجنة وقربها يقبل غرض التسخير ، بمعنى أن فعل التقريب لا يحتاج إلى فاعل مباشر فالجنة لا تتحرك من مكانها والمعنى :" قرّبت للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ، ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بأنهم محشورون إليها فائزون بها ، وقوله تعالى (غير بعيد) تأكيد للإزلاف " [6] .

ومن هذا سواء بسواء قوله تعالى :{ ...قوارير من فضة ، قُدرُوها تقديرا "[7]ببناء الفعل للمجهول على قراءة علي وابن عباس والسلمي الشعبي وغيرهم [8] ، والغرض الذي حذف من أجله الفاعل هنا المطاوعة، ويفسر صاحب الكشاف هذا المعنى بقوله :" ومعنى تقديرهم لها أنهم قدروها في أنفسهم أن تكون على

---

[1] – الغاشية ، ٥ .

[2] – بنت الشاطئ ، الإعجاز البياني للقرآن ، ٢٢٥.

[3] – الانسان ، ١٤ .

[4] – الزمخشري ، ١٩٨/٤ .

[5] – سورة ق ، ٣١ .

[6] – أبو السعود ، ١٣٢/٨ .

[7] – الانسان ، ١٦.

[8] – ينظر ، الاندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٣٨٩/٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقادير وأشكال على حساب شهواتهم فجاءت كما قدروا ، وقيل : الضمير للطائفين بها دل عليهم قوله تعالى (ويطاف عليهم) على أنهم قَدّروا شرابها على قدر الري وهو ألذ للشارب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز " [1]

ويحتمل ذلك أيضا قوله تعالى :{ لا يصدعون عنها ولا يُنزَفون } [2] ، حيث جعلت الخمر على هذا التكوين بحيث لا يصيب شاربها صداع أو نزف عقل ،كما هي الطبيعة في خمر الدنيا .

وقد تكرر حذف الفاعل في قوله تعالى : { ... فالذين هاجروا وأُخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقُتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ... } [3]

فقد آثر القرآن حذف الفاعل في الأفعال (أخرجوا ، أوذوا ، قتلوا) لدلالتين :

الأولى : أن الذي يفعل هذه الأفاعيل بالمؤمنين معلوم للجميع ،فإنه لا يقوم بها إلا كافر مجرم .

الثانية : تنتج عن الأولى وتقضي بعدم ذكر هذا الصنف تحقيرا لشأنهم .

<u>حذف المبتدأ</u>: يحذف المبتدأ في نصوص الجنة صيانة له من العبث ، واحترازا من التكرار المذموم ، لوجود قرينة تدل عليه ، أو"عندما يكون ذكر الخبر المتصف بصفة كأنه يشير إلى هذا المبتدأ ، وكأنما بلغ من الشهرة بهذا الوصف مبلغا يغني عن ذكره "[4] ، ويكثر هذا الحذف بعد الاستفهام الدال على التفخيم ،كما نجد ذلك في قوله تعالى : " {وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين * في سدر مخضود} " [5] والأصل أن يقال : (هم في سدر مخضود) ، فحذف المبتدأ لوضوحه وقرب العهد به في الكلام ، فلا يحتاج للذكر ، كما أننا نحس بذلك التناسق الموسيقي في قراءة الآية بالحذف ، ونفتقده بالذكر (هم في سدر مخضود) .

وشبيه بذلك قوله تعالى :{ كلا إن كتاب الأبرار لفي عليّين * و ما أدراك ما عليّون *كتاب مرقوم } [6] ، فحذف المبتدأ هنا للاحتراز من العبث والصيانة من الذكر الذي لا

---

[1] – الزمخشري ، ٤/ ١٩٨ .

[2] – الواقعة ، ١٩ .

[3] – آل عمران ، ١٩٥ .

[4] – بدوي ، ١٢٠ .

[5] – الواقعة ٢٧، ٢٨ .

[6] – المطففين ١٨– ٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طائل تحته، كما أننا نجد الخبر (كتاب) يصفه دون الحاجة لذكره ، (هو كتاب) ولعل المتلقي لهذا النص القرآني يتشوق لسماع الجواب ، وفي ذكر المبتدأ إبطاء وإبطال لهذا الشوق المتوقد في ذهن المتلقي .

ويستفيد البحث من اختلاف القراءات للتدليل على حذف المبتدأ ومن ذلك قوله تعالى : {هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب * جناتُ عدن مفتحة لهم الأبواب} [1] فقد قرأ أبو حيوه (جناتُ) بالرفع خلافا للجمهور [2] على تقدير مبتدأ محذوف (هي جناتُ) ؛ لأن الخبر بلغ درجة عالية من الوضوح يغني عن ذكر المبتدأ معادا مرة أخرى .

حذف الخبر :ومن صور الحذف المتحققة في نصوص الجنة حذف الخبر إن دل عليه دليل ،فيكون من الوضوح بحيث لا يفيد ذكره شيئا ، فالحذف به أولى ، ومنه قوله تعالى :{ مثل الجنّة التي وُعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أُكُلها دائم وظلّها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار ...}[3] . فقد حذف الخبر في الآية وهو لفظ (دائم) ولو ذكره لقال (وظلها دائم) أي " لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس "[4] وسياق النظم يُفهم القارئ المعنى ،فلا حاجة لذكره إيجازا ،ثم إن للقارئ أن يضع علامة ا لحذف (...) ثم يتخيل هذا الظل الدائم الذي لا يزول ،ولو ذكره القرآن لفاتت اللذة ، كما أن الآية تحوي حذفا آخر للخبر يتمثل في حذف خبر (مثل الجنة) ،ولم يذكر القرآن الخبر تعظيما لهذا المثل ، فالقرآن - كلام الله تعالى - يحث القارئ على التفكير بهذا المثل الأعلى للجنان كلها ،فهي جنة تجري الأنهار من تحتها، وأي جمال أكبر من هذا المنظر ؟ وبخاصة للإنسان العربي الذي لم يشاهد الأنهار إلا في رحلة، أو في خيال ،وأي مثل للجنة عند ما يسمع العربي بالظل الدائم الذي لا يتمتع به في صحرائه إلا في وقت معين ؟ .

وقد تكرر حذف الخبر على شاكلة ما سبق في آية أخرى ، يظهر ذلك في قوله تعالى :{ مثل الجنة التي وُعد المتقون فيها أنهار من ماء غيرِ آسنٍ وأنهار من لبن لم يتغيرّ طعمُه وأنهارٌ من خمر لذّةٍ للشاربين وأنهارٌ من عسل مصفّى ولهم فيها من كل الثمراتِ ومغفرةٌ من ربهم ..} [5] ، وأترك للقارئ أن يتعرف إلى ذلك المثل العظيم

---

[1] - سورة ص ، ٤٩، ٥٠ .

[2] - ينظر الاندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٧ / ٣٨٧ .

[3] - الرعد ، ٣٥ .

[4] - الزمخشري ،٣٦٢/٢ .

[5] - محمد ، ١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي ضربه الله للجنة ، فهي من السعة بحيث تحوي الأنهار الممتلئة بالماء واللبن والخمر والعسل . وكذلك الأنواع المتعددة من الثمار ،وفوق ذلك مغفرة من الله تعالى ، أفبعد هذه الأوصاف لا يدرك المرء كنه المثل ، نقول إن إفساح القرآن الكريم للقارئ أن يستنطق أفق المشهد ، ويرتاد بخياله أوصاف الآيات لهو من أهم المقاصد التي تحث القارئ على التزود بالصالحات للوصول إلى الجنة المثال .

ومن حذف الخبر أيضا ما يظهر في قوله تعالى :{ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنّةٍ عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين } [1] ،ويقنع المتسرع في الحكم في تفسير هذا الحذف بأن يقول : هذا نص محمول على نص سابق له وهو قوله تعالى :{ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أُعدَت للذين آمنوا ...} [2] ، وما درى أن سياق الآية يقتضي هذا الحذف ،والمعنى كما أورده الألوسي :" والعرض أقصر الامتدادين ، وفي ذكره دون الطول مبالغة ، وزاد في المبالغة بحذف أداة التشبيه ... كناية عن غاية السعة بما هو في تصور السامعين " [3] ، ولعل فرقا آخر دلاليا نلمحه في سياق الآيتين : فقد صدرت الآية الأولى بكلمة (سارعوا) ، والثانية بكلمة (سابقوا) ودلالة المسابقة أقوى في المبالغة من دلالة المسارعة وأزيد ، فتناسب ذلك حذف الخبر والأداة ،والله أعلم .

<u>حذف لفظ القول :</u>- يميل القرآن في نصوص الجنة وغيرها إلى حذف لفظ القول . وتحت ذلك لطائف بلاغية " وإن كانت السمة الغالبة عليها جميعا أن تكون لبيان أمر يتعلق بطبيعة المشهد ، أو طريقة الأداء ، وتقديمه على الوجه الأمثل من الموافقة للصورة المطلوب إيصالها إلى إدراك المتلقي ، كما ينبغي أن تكون في الوجود الخارجي أو كما كانت فعلا " [4] . ونجد ذلك جليا في قوله تعالى :{ وأزلفت الجنّة للمتقين غير بعيد * هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ } [5] . بمعنى قيل لهم هذا ما توعدون .. بحذف القول .وهذا الحذف يوحي بالمباشرة ، وكأن تزليف الجنة وإصدار القول كانا في زمن واحد ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن هذه الحذف يصور

---

[1] - آل عمران ، ١٣٣.

[2] - الحديد ، ٢١ .

[3] - الألوسي ، ٤/ ٥٦ .

[4] - الظواهري ، كاظم ، بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم ٣١٢ .

[5] -سورة ، ق ٣١، ٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحدث كما وقع " فكان القول مضمرا في الواقع ،فأضمر في الجملة المعبرة عنه "[1] ومما نراه كذلك قوله تعالى:{ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب *سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار } [2] أي ؛ قائلين لهم سلام عليكم .

ولهذا الحذف لطيفتان تتمثل إحداهما في تصوير حدث الدخول، وإلقاء السلام دون فصل بينهما ، فكأنهما وقعا في الوقت نفسه ،والأخرى تفضي بأن لفظ السلام يقتضي عدم القول لعلو شأنه وأهميته في تلك اللحظات الحساسة .

ومثل ذلك قوله تعالى :{ وعندهم قاصرات الطرف أتراب * هذا ما توعدون ليوم الحساب } [3] ، فإن تقديم هذا المشهد الجزئي لصورة الجنة بطريقة حذف القول يتعلق بتقديم الصورة على وجه يوحي للمتلقي تصوير الحدث كما هو في الواقع المباشر .

حذف المفعول : – ومن سياقات الحذف في نصوص الجنة حذف المفعول ، وقد أبان شيخنا عبد القاهر عن لطائف هذا النوع من الحذف بقوله :" فاعلم أن أغراض الناس تختلف في ذكر الأفعال المتعدية ، فهم يذكرونها تارة ، ومرادهم أن يقتصروا على إثبات المعاني التي اشتقت منها للفاعلين من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين "[4] ويفهم من قول الجرجاني أن حذف المفعول مرتبط بالمتكلم وحاله .تاركا لهذا الحذف مهمة التعبير عن شأنه في إيراد الأفعال وإثباتها لأصحابها ،ويتحقق ذلك في نصوص الجنة ،ويجد الدارس له أمثلة متعددة تهدف إلى تحقيق الفعل ونسبته إلى الفاعل ،كما يظهر في قوله تعالى :{ يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين } [5] ، والمعنى يلبسون ثيابا ، فحذف المفعول ،ومثل هذا الحذف يقتضيه السياق لوضوحه فلا يحتاج للذكر حرصا على قوة النظم ، ولا سيما أن نصوصا أخرى ذكرت الثياب كقوله تعالى : { ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق ...} [6] ويأتي حذف المفعول لدلالة إثبات الفعل للفاعل في قوله تعالى :" كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون " [7] . والفعلان (أكل) و (شرب) متعديان بنفسيهما للمفعول . لكن القرآن يحذف المفعول ؛ لأن

---

[1] – بدوي ، ١٢١ ،١٢٢.

[2] – الرعد ، ٢٣،٢٤ .

[3] – سورة ص ، ٥٢، ٥٣ .

[4] – الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ١١٨ .

[5] – الدخان ، ٥٣ .

[6] – الكهف ، ٣١ .

[7] – الطور ، ١٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المراد إثبات فعل الأكل والشرب لأهل الجنة ،وقد ذكرت نصوص قرآنية أخرى أصناف الطعام والشراب ،ولو ذكرت هنا لما تحقق الغرض من الحذف ذلك "لأنه لم يرد الأكل من معيّن ، وإنما أراد وقوع هذين الفعلين "[1] .

وشبيه بذلك قوله تعالى :{ إنّ الأبرارَ يشربون من كأس كان مِزاجها كافورا }[2] إن الفعل (يشربون) متعد يحتاج في النظام النحوي التقريري إلى مفعول ليتمم معناه ،غير أن هذا المفعول قد حذف؛ وذلك لإثبات فعل الشرب لهم دون تحديد نوع الشراب .

ومن الأغراض الأسلوبية التي يحملها حذف المفعول غرض العموم في الفعل وعدم تعلقه بمعين ، ويتجلى ذلك في قوله تعالى :{ والله يدعو إلى دارِ السلامِ ويهدي من يشاءُ إلى صراطٍ مستقيم } [3] ، فإن مفعول (يدعو) محذوف تقديره يدعو جميع الخلق فالدعوة عامة،غير أن الهداية خاصة ،وفي هذه الدعوة توجيه للمتلقي للاستجابة ،وتلبية دعوة ربه عز وجل ، والمعلوم أن دعوة الملوك وأصحاب النفوذ تقتصر على ذوي الجاه ، لكن دعوة الله تخاطب كل فرد يسمع الخطاب، ويعيه بغض النظر عن المكان والمكانة الخاصة به .

وقريب مما سبق قوله تعالى :{ وإذا رأيت ثَّم رأيت نعيماً وملكاً كبيرا } [4] ، فإن رأيت الأولى " فعل ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع ويعم " [5] ؛بمعنى أن الغرض الذي يؤديه حذف المفعول هنا مطلق الرؤية دون تحديد زمانها أو مكانها ، والمغزى - كما يقول الجرجاني - " أن تتوفر العناية على إثبات الفعل للفاعل وتخلص له، وتنصرف بجملتها وكما هي إليه "[6] .

وقدِ يذكر المفعول في سياق ويحذف في سياق آخر والصياغة توحي به وتومئ إليه ، وقد جاء في مشهد حواري بين أهل الجنة مع أهل النار ، كما يظهر في قوله تعالى :{ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدْنا ما وَعَدَنا ربُّنا حقا فهل وجدتم ما وعَدَ ربّكم حقاً قالوا نعم ...}[7] .

---

[1] - الزركشي ، ٣ /٢٠٦ .

[2] - الانسان ، ٥

[3] - يونس ، ٢٥ .

[4] - الانسان ، ٢٠ .

[5] - الزمخشري ، ١٩٩/٤.

[6] - الجرجاني ،دلائل الاعجاز ،١٢١ .

[7] - الأعراف ، ٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولنا أن نتساءل عن سبب ذكر المفعول (نا) على لسان أهل الجنة ، وحذفه في توجيه الخطاب للكفار ، ويشير إلى ذلك الأندلسي في تفسيره بالقول :" لأن أهل الجنة مستبشرون بحصول موعودهم ، فذكروا ما وعدهم الله مضافا إليهم ،ولم يذكروا حين سألوا أهل النار متعلق (وعد) باسم الخطاب ،فيقولوا : ما وعدكم ؛ ليشمل كل موعود من عذاب أهل النار، ونعيم أهل الجنة ، وتكون إجاباتهم بـ (نعم) تصديقا بجميع ما وعد الله بوقوعه في الآخرة للصنفين "[1]

حذف الموصوف : ومن سياقات الحذف في نصوص الجنة حذف الموصوف ، ويشترط في حذفه أمران " أحدهما كون الصفة خاصة بالموصوف حتى يحصل العلم بالموصوف فمتى كانت الصفة عامة حذف الموصوف ... الثاني : أن يعتمد على مجرد الصفة من حيث هي لتعلق غرض السياق " [2] ،وقد تحقق الشرطان في حذف الموصوف في قوله تعالى :{ فيهنّ قاصراتُ الطرْفِ لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولا جانّ }[3] ، والأصل فيهن نساء قاصرات الطرف ،ولكن لما كانت الصفة مقتصرة على حور الجنة دون غيرهن من نساء الدنيا اللاتي يتّسمن بالنقص خَلْقا وخُلُقا ، وكان المراد إثبات صفة العفاف لهن، وقصر نظرهنّ على أزواجهنّ ،حذف الموصوف ؛ لعدم اشتراك نساء أخريات غير نساء الجنة في هذه الصفة ، مهما كانت المرأة متزنة وحييّة .

ومما هذا شأنه قوله تعالى :{ فيهن خيّرات حسان } [4] ، والمقصود نساء خيرات فحذف الموصوف ؛ لأن حور الجنان يتمتعن بصفة الخير عامة ،فلا يسخطن ولا يأثمن كما ورد في الحديث الشريف حيث يقول الرسول – صلى الله عليه وسلم – : " ... فيجتمعن في كل سبعة أيام ،فيقلن بأصوات حسان ،لم يسمع ا لخلائق مثلهن نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبؤس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ونحن المقيمات فلا نظعن . طوبى لمن كان لنا وكنا له " [5] ، ويظهر الحديث صفات الخيرية التي اجتمعت للحور تلك الصفات التي لا يجتمع بعضها في نساء الدنيا فضلا عنها جميعا ،ولأجل ذلك فقد حذف الموصوف هنا لتفرده في الصفة ،واقتصاره عليها .

---

[1] – الأندلسي ،تفسير البحر المحيط ، ٣٠٣/٤ .

[2] – الزركشي ، ٣/ ١٧٦ .

[3] – الرحمن ، ٥٦ .

[4] – الرحمن ، ٧٠ .

[5] – الأصبهاني ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله ، صفة الجنة ، تح على رضا ، ٢١٢/٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن ذلك أيضا قوله تعالى :{ ودانيةً عليهم ظلالها ...}[1] والمعنى جنة دانية ، وحذف الموصوف ،لأن جنان الدنيا لا يدوم ظلها ، ولا يدنو ،فاختصت الخلد بذلك .

حذف الصفة : وكما يحذف الموصوف ،فإن الصفة تحذف أيضا ،" وأكثر ما يرد للتفخيم والتعظيم في النكرات ، وكأن التنكير حينئذ علم عليه "[2] ،ونجد ذلك واضحا في قوله تعالى :{ يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب }[3] ، أي شراب كثير ، فحذف تعظيما له وتفخيما ،ولعل قيمة الحذف هنا تبرز في التشكيل الصوتي أيضا ،حيث حافظ الحذف على تشابه فواصل السورة المبنية على صوت الباء .

حذف المضاف: ويحذف المضاف للدلالة على الشمول ،وهذا بيّن في قوله عز وجل {والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنّهم في الصالحين } [4] على تقدير مضاف محذوف والمعنى " في جملتهم ... ويجوز أن يكون التقدير في ثواب الصالحين وهي الجنة " [5] ،فحذف المضاف على التقديرين أفاد شمول المضاف وليس بعضه . إذ إن الدخول في الصالحين ، يشمل كل من انطبقت عليه صفتا الإيمان والعمل الصالح .

ومنه حذف المضاف قوله تعالى :" فهو في عيشة راضية " [6] ، على تقدير مضاف محذوف أي ذات رضا لإفادة شمول الرضا فيها.

حذف الحرف : ومن سياقات الحذف في نصوص الجنة حذف الحرف ، وينطوي ذلك على لطائف بلاغية ، يقصد القرآن إلى إثباتها ، وإظهار دلالاتها .

ومن أمثلة هذا النوع من الحذف حذف حرف الجر (من) في قوله تعالى: { والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم }[7] . ولقد جاءت معظم الآيات القرآنية التي تصف الجنة بالأنهار بذكر حرف الجر من (تجري من تحتها الأنهار) ولعل سائلا يسأل هل من طائل وراء هذا الحذف ؟ .

---

[1] – الانسان ، ١٤ .

[2] – الزركشي ، ١٧٨/٢ .

[3] –سورة ص ، ٥١ .

[4] – العنكبوت ، ٩ .

[5] – الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٧ / ١٣٨ .

[6] – الحاقة ، ٢١ .

[7] – التوبة ، ١٠٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ورد ذلك عن الرسول صلى الله عليه وسلم :" ما من رجل يتوضأ فيسبغ الوضـــوء ... إلا فتحت له ثمانية أبواب الجنة فيدخل من أيها شاء "[1] .جيء بالواو مستأنفة. وهـــذا دليل على أن القرآن جاء العرب بلغة تعارفوها في بينهم لكنهم عجزوا عن الايتان بآيـة من مثله لقضايا تتعلق بالنظم .

حذف الجملة : وثمة نوع مغاير لصور الحذف السابقة ، وأعني به حذف الجملـــة، أو حذف مشهد أو جزء من المشهد ، وهذا الحذف يتصل بالبلاغة ، وعنه يقول صـــاحب الطراز : "اعلم أن حذف الجمل له في البلاغة مدخل عظيم ، وأكثر ما يرد في كتـــاب الله تعالى وما ذاك إلا من أجل رسوخ قدمه ، وظهور أثره واشتهار علمه "[2] .

وتحذف الجملة في مشاهد الجنة لهدف الإيجاز من جهة ، وإثارة المتلقي رغبتـه في كشف هذا المحذوف والتأثر به ، ومن ذلك قوله تعالى :{ وأقبل بعضهم على بعـض يتساءلون *قالوا إنّا كنا قبل في أهلنا مشفقين }[3] .إن القرآن يخبرنا بأن ثمـــة تســاؤلا يدور بين أهل الجنة ، ولكنه- أي القرآن -لا يخبرنا بماهيته ومضمونـــه ، وإن كـــان يُلمح من سياق الحوار ،فأهل الجنة يتساءلون عن أحوالهم فـــي الدنيـــا ،ويســترجعون ذكرياتهم في العبادة والطاعة ،وليس المهم هنا ذكر السؤال ،بل إبراز الجـــواب حتـــى يكون أول ما يطرق سمع المتلقي فيؤثر فيه ويحفزه على التزام الطريق .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى :{ متكئين على فرش بطائنها من إســتبرق ...} [4] فحـــذف ظواهرها ولعل سبب الحذف راجع إلى حث الخيال في التفكير ، فـــإذا كـــانت بطـــائن الفرش من الحرير الغليظ ،فكيف تكون ظواهرها ؟ .

وقريب مما سبق قوله تعالى :{ سابقوا إلى مغفرة من ربكـــم وجنـــة عرضـــها كعرض السماء والأرض ..} [5] فذكر النص العرض وأضمر الطول .وهذا من شـــأنه أن يميز سعة الجنة ، إذا كان العرض يشبه عرض السماوات والأرض فإن طولها أكبر من ذلك بكثير ؛ ذلك لأن الشيء إذا كان العرض فيه كبيرا تحتم أن يكون الطول أكبر .

ولعلني أختم الحديث عن بلاغة الحذف بالقول : إن القرآن قد لجأ إلى الإيجـــاز في وصف الجنة ونعيمها ،وكشف المعنى عن طريق الاقتصاد في اللفظ ،تاركا بعد ذلك

---

[1] – الأصبهاني ، ٩/٢ .

[2] – العلوي ، ٢~/ ٩٣ .

[3] – الطور ، ٢٥، ٢٦ .

[4] – الرحمن ، ٥٤ .

[5] – الحديد، ٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مهمة التفصيل للسنة النبوية . وهذا ما يناسب كتابا يوصف بأنه دستور البشرية جمعاء متعبد بتلاوته، فعلى الرغم من أن القرآن وصف نساء الجنة وحورها ،إلا أن الناظر في السنة يجد لكل صورة من الصور تفصيلا فيما يتعلق بخلقهن ولباسهن وضحكهن وغنائهن .. وكذلك لا يخبرنا القرآن عن تربة الجنة وسوقها ، إلا أننا نعثر على ذلك في نصوص الحديث الشريف [1] .

إن مبحث الحذف في نصوص الجنة قد تجلى في صور متنوعة ، وحقق ملامح جليلة أسهمت في إكساب النص القرآني إعجازا ، كما أن الحذف قد راعى الكلام ليتناسب ومقتضى الحال وبخاصة في الاهتمام بالمتلقي حاثا إياه على التفكير والتقدير .

[1] – للاطلاع على صور الجنة في الحديث ينظر ،الأصبهاني ، صفة الجنة ،ابن القيم الجوزية ، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سياقات التقديم والتأخير [1]

يتبوأ أسلوب التقديم والتأخير في نصوص الجنة موقعاً بلاغيا رفيعا ،ويشكل ظاهرة أسلوبية تلفت نظر الدارس لها ، وهي بلا شك - تحوي لطائف عميقة ، ومعاني دقيقة تسهم في تجلية الدلائل ،كما أنها تظهر مقصد المتكلم من وراء استخدام هذا الأسلوب البلاغي الرفيع .

ومعلوم أن النحاة قد سنوا للجملة العربية قوانين ، وأشاروا إلى ترتيب أجزائها وإلى اختلاف هذا الترتيب ، بحيث يمثل هذا الاختلاف نوعا من التأشير البلاغي قصروه على غرض الاهتمام والعناية ،ولقد كان أفق البلاغيين أوسع في رصد جماليات هذا الانحراف عن الأصل التركيبي للجملة الكلامية ،آخذين من سياق النظم أساسا في الكشف عن المقاصد الأسلوبية للتقديم والتأخير .

ويقوم مبحث التقديم والتأخير على أساس من الانزياح الفنّي عن الرتبة النحوية وتحريك أجزاء من الكلام لتحل مكان غيرها لاعتبارات " ترتبط فيها بالمتكلم واعتبارات ترتبط فيها بالمتلقي ،واعتبارات تتصل بطبيعة الصياغة ذاتها "[2] ومهما يكن من أمر ، فإن التقديم والتأخير في نصوص الجنة حقق إيحاءات دلالية وفجّر طاقات اللغة الأصولية ليفيد بذلك أغراضا بلاغية كان أبرزها ما يلي :

القصر والاختصاص: والمعنى في التقديم هنا مقصور على المتقدم ، نفيا للشركة مع غيره ، ويتجلّى غرض الاختصاص في قوله تعالى :{ لهم دارُ السلام عند ربهم وهو وليّهم ...} [3] .

والرتبة النحوية في هذا النص تقتضي دار السلام لهم . غير أن هذا التحريك في موقع الخبر يفيد أن دار السلام - الجنة - لا تكون إلا لأصحاب الضمير (هم) الذين تقدم ذكرهم في الآيات وذلك لاختصاصهم بصفات تميزهم عن غيرهم من البشر ، ولهذا استحقوا هذا القصر في الجزاء .

وقريب مما سبق قوله تعالى :{ وجوهٌ يومئذ ناضرة * إلى ربّها ناظرة } [4] .

---

[1] - للتعرف على أسرار التقدم والتأخير ينظر الجرجاني ،دلائل الإعجاز ،٨٣، الزركشي ، ٣/٢٧٣ ، العلوي ، ٢/ ٥٦/ القزويني الايضاح الصفحات ١٣٥، ١٥٣، ١٥٤ .

[2] - عبد المطلب ، البلاغة والاسلوبية ، ٢٥٢ .

[3] - الأنعام ، ١٢٧ .

[4] - القيامة ، ٢٢، ٢٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تقوم الجملة على نمط لغوي يتقدم فيه الخبر (إلى ربها) على المبتدأ (ناظره) ، وشأن النحوي في هذا وأمثاله أن يقول : تقدم الخبر لأنه شبه جمله ، والمبتدأ نكرة ، وما علم أن وراء هذا التحريك غرضا بلاغيا جليلا يكشف معنى الاختصاص ، والمعنى أن هذه الوجوه تنظر إلى ربها ، وتقصر نظرها عليه ، دون التفات إلى غيره وقد تثار هنا قضية تقضي بأن أهل الجنة ينظر بعضهم إلى بعض ، كما أنهم ينظرون إلى نسائهم أيضا فكيف يفيد التقديم هنا معنى أن الوجوه لا تنظر إلا إلى ربها عز وجل وهذا السؤال بما يحويه يثير معرفة الجواب لدى الملتقي ، وفي ذلك يقول الألوسي في تفسير هذه الآية " ومعنى كونها ناظرة إلى ربها أنها تراه تعالى مستغرقة في مطالعة جماله ، بحيث تغفل عما سواه ، وتشاهده تعالى على ما يليق بذاته سبحانه "[1] ، ولعل الشاعر ابن الفارض قد أدرك السّر في هذه الآية فقال [2]

فأدر لحاظك في محاسن وجهه تلقى جميع الحسن فيه مصورا .

ومما هذا شأنه قوله تعالى : { للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ...}[3] .

ويشير النص القرآني إلى نمط لغوي يخترق نظام الجملة العربية الأصولية حيث يتقدم الخبر على المبتدأ على النحو التالي :

للذين (جار ومجرور – خبر) + أحسنوا (جملة الصلة) + الحسنى (مبتدأ) ، ويظهر من هذا التعبير الاهتمام بالمحسنين وإثبات الفعل لهم عن طريق حذف المفعول من جهة، وقصر جزاء(الحسنى) وهي الجنة الحسنة في كل شيء عليهم دون غيرهم من جهة أخرى ، وإلى الآن ، فالآية تبين العمل والجزاء (والإحسان مقابل الحسنى)، ولكن الله أكرم من عباده حيث يمتن عليهم بالزيادة التي تمثلها جملة العطف (وزيادة) .

ومن سياقات التقديم التي تحقق غرض القصر قوله تعالى :{ وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ...} [4]، ونكتة تقديم المسند (فيها) العائد إلى الجنة،على المبتدأ (ما) أفاد قصر فعل الاشتهاء واللذه على جنة الخلد دون غيرها من الجنان ، وفي هذا تعريض بجنة الدنيا الناقصة الزائلة .

---

[1] – الألوسي، ١٤٤/٢٩ .

[2] – ابن ا لفارض ، عمر ، الديوان ، ٣٦٩ .

[3] – يونس ، ٢٦ .

[4] – الزخرف ، ٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وشبيه بما سبق قوله عز وجل :{ يسقون من رحيق مختوم *ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون }[1] وبناء العبارة على سياق تقديم المتعلق و(في ذلك) على العامل (فليتنافس) تحقيق لغرض اختصاص التنافس بما تقدم وهو نعيم الجنة الخالدة .

فالتنافس في الآية مقصور على أصناف الخيرات الموجودة في الجنة ، بمعنى: إن تنافسا يقوم به البشر غير هذا التنافس المنصوص عليه في الآية لا يعني شيئا ، وفي هذا توجيه للمخاطب أن يسخر جهده ، ويرصد أعماله الصالحة للفوز في هذا الأمر العظيم .

ويتجلى غرض القصر في قوله تعالى :{ هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب } [2]

وبناء العبارة القرآنية على تقديم الخبر (للمتقين) على المبتدأ (اسم إن) فيه من الدلالة على اختصاص المآب الحسن على أصحاب التقوى دون غيرهم، وفيه أيضا اهتمام بصفة التقوى التي تتضمن الخوف والمراقبة النفسية القلبية .

ونذكر من النصوص القرآنية التي تحقق غرض القصر قوله عز وجل :{ فيهما من كل فاكهة زوجان }[3] وقوله عز وجل :{ وعندهم قاصرات الطرف عين } [4] ، فإن تقديم المسند على المسند إليه في الآيتين قد أفاد غرض الاختصاص في الجنة، فقط فهي المكان الذي يحوي الفاكهة المتنوعة في الطعم والصنف ، وأهل ا لجنة أيضا يتميزون بأن عندهم نساء يتمتعن بصفة القصر ، ولكنه هنا قصر النظر .

ويفيد التقديم معنى القصر مع النفي أيضا وهذا متحقق في قوله تعالى :{ لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون }[5] ،والمعنى نفي الغول والاغتيال عن خمر الجنة وحدها ، وإثباته لخمور الدنيا .

ومن سياقات التقديم والتأخير التي تفيد غرض الاختصاص المتواشج مع غرض الاهتمام والاعتناء بالمتقدم لتمييزه ،وتعظيمه ،وتشريفه ما يظهر في قوله تعالى : { ولا يرهق وجوهَهم قترٌ ولا ذله أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون }[6] والنظام التعبيري الذي يقوم عليه بناء العبارة في النص هو على النحو التالي

---

[1] – المطففين ، ٢٥، ٢٦ .

[2] – سورة ص ، ٤٩ .

[3] – الرحمن ، ٥٢ .

[4] – الصافات ، ٤٨ .

[5] – الصافات ، ٤٧ .

[6] – يونس ، ٢٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا يرهق (مضارع منفي) + وجوههم (مفعول به مقدم) + قتر (فاعل) + ولا ذلة (جملة العطف)، ويحقق تقديم المفعول هنا غرض الاختصاص والاعتناء فالوجوه هي الجزء المخصوص الذي لا يصاب بالرهق والذلة . والمعنى أن جميع أعضائهم بعيدة عن الإصابة بهذه الآفات ومن ضمنها الوجوه غير أن الاعتناء الأكبر للوجوه وفي هذا " إشارة إلى أن المصون من الرهق أشرف أعضائهم " [1] ، وإذا كان الوجه أشرف الأعضاء لا يصاب فمن باب أولى أن تكون بقية الأعضاء كذلك .

ومن سياقات التقديم والتأخير التي تحقق غرض القصر والاهتمام بالمتقدم قوله تعالى : { وبالأسحارِ هم يستغفرون } [2] ، والآية تظهر أن هؤلاء قوم مستغفرون دائبون على الاستغفار من الذنوب ، غير أن تميزهم يظهر في الوقت الذي يخصصونه لهذا العمل العظيم، وهو وقت السحر حيث الناس نائمون ، فتعبدهم المتعلق (بالأسحار) فيه تركيز واهتمام بهذا الوقت ، وعلى هذا فالتقديم أفاد غرض الاهتمام والاختصاص معا ، ويحتمل غرضا ثالثا يتمثل في إثارة التشويق للمتأخر ، فلعل سائلا يسأل ما بالهم في الأسحار ؟

ولعل تداخل أغراض التقديم والتأخير في النص الواحد ما يؤكد دقة هذا الأسلوب وطواعيته في التعبير المتنوع عن المعاني والدلالات ،وقد أشار القزويني إلى هذا التداخل والتضافر بقوله " والتخصيص لازم للتقديم غالبا ... ويفيد المعنى في جميع ما ذكر وراء التخصيص شيئا آخر وهو الاهتمام بالمقدَّم "[3] .

ومن دواعي التقديم في بناء العبارة القرآنية التشويق إلى المتأخر ، وذلك إذا كان الفاصل الكلامي بين المسند والمسند إليه كبيرا نسبيا ، بحيث يمضي وقت نفسي قبل وصول المعنى إلى ذهن المتلقي .ولعل هذا يظهر في قوله عز وجل :{ إن أصحاب الجنةِ اليومَ في شُغُلٍ فاكهون } [4] والنمط اللغوي الذي يقوم عليه النص هو .

إن (حرف توكيد ونصب) + أصحاب الجنة (اسم إن مضاف ومضاف إليه) + اليوم(ظرف زمان) + في شغل (متعلق جار ومجرور) + فاكهون (خبر إن)

---

[1] – الألوسي ، ١١/ ١٠٣ .

[2] – الذاريات ، ١٨ .

[3] – القزويني ، شرح التلخيص ، ص ٧١ .

[4] – يس ،٥٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويلحظ من التقسيم السابق الفصل بين المسند إليه (أصحاب) والمسند (فاكهون)، وفي هذا الفاصل الكلامي تشويق لنفس المتلقي وإثارتها وتطلعها لمعرفة الخبر وهو (فاكهون) ،والمعنى أن أهل الجنة يتفكهون في النعيم، ويسرون به ، وثمة نوع آخر من التقديم وهو تقديم المتعلق (في شغل) ، وقد أفاد هذا التقديم الاعتناء ببيان حال المؤمنين في الجنة فهم منشغلون في التلذذ بأنواع النعيم، " و الشغل هو الشأن الذي يصد المرء ويشغله عما سواه من شئونه ؛ لكونه أهم عنده من الكل " [1] ، ولعل في تأخير الخبر (فاكهون) غير التشويق له غرضا آخر يتمثل في حمل التنبيه لما بعده، فقد يظن ظانّ أن أصحاب الجنة يتعبون في شغلهم هذا ، فيأتي الخبر ليزيل الظن، ويؤكد أن هذا الشغل يحيط به السرور والراحة ، ولو أن القرآن أخّر المتعلق (في شغل على الخبر) ، لنبا النظم عنه الصياغة الصوتية المتمثلة في تشابه رؤوس الآي إذ إن السورة قائمة على حرف النون المردوف بالواو قبله .

ومن سياقات التقديم التي تفيد التشويق إلى متأخر قوله تعالى :{ ولمن خاف مقام ربه جنتان }[2] ، والنص القرآني الموضوع للاستشهاد ينهض على أساس تعبيري تستبدل فيه بعض المواقع على النحو التالي :

لمن (جار و مجرور خبر مقدم) + خاف مقام ربه (جملة الصلة) + جنتان (مبتدأ مؤخر)، ويتضمن هذا التقديم للمسند غرض التشويق للجزاء المتمثل في الجنتين الموعودتين ، حيث فصل القرآن بين المسند والمسند إليه بجملة الصلة ، كما أن التقديم هنا يفيد الاختصاص ، فنصيب الجنتين يكون من حظ من اتصف بالخوف والخشية من الله عز وجل ؛ لما يحدثه الخوف في النفس من استقامة الجوارح والقلوب ، ولا نعدو الصواب إن قلنا : إن تقديم الخبر قد حقق المتعة الموسيقية أيضا في ترسيخه للبناء الصوتي المتمثل في الفاصلة القرآنية .

ومن سياقات التقديم التي تفيد – بجانب غرض الاختصاص - غرض التشويق قوله تعالى :{ ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى }[3] .

والملاحظ أن القرآن قدم الظرف (عندها) على الجنة ، واللفتة البلاغية في هذا التقديم تظهر عندما يعرف المرء ماهية سدرة المنتهى ؟ فهي " شجرة نبق في السماء السابعة

---

[1] – الألوسي ، ١٧٢/٧ .

[2] – الرحمن ، ٤٦ .

[3] – النجم ، ١٣– ١٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن يمين العرش ... لم يجاوزها أحد ، وإليها ينتهي علم الملائكة وغيرهم ، ولا يعلم أحد ما وراءها " [1] وهذه صفات غريبة عجيبة ، تشوق القارئ لمعرفة الأمور المحيطة بها ، ولو حاول القارئ الوقوف على الظرف (عندها) لتحركت نفسه وتطلعت لمعرفة الشيء الموجود عند سدرة المنتهى ، وفي هذا تعظيم لجنة الخلد ، وتحقيق لنهم القارئ وطمأنينته النفسية .

ويشيع التقديم في نصوص الجنة لداعٍ يتعلق بالنظم الإيقاعي لفواصل الآي ، وإلى ذلك أشار صاحب الطراز في معرض حديثه عن تقديم الظرف ، فهو يقول " ... وثانيهما أن يكون تقديمه من أجل مراعاة المشاكلة لرؤوس الآي " [2] ، وأرى أن هذا التقديم لا ينفرد بالدلالة الإيقاعية وحدها ، بل ترافقها وتواشجها دلالة أخرى كالاختصاص والاهتمام. ومن ذلك قوله تعالى : { وجوه يومئذ ناعمة ، لسعيها راضية ، في جنة عالية }[3] .

ويلحظ أن القرآن قدم الجار والمجرور (لسعيها) على الخبر (راضية) ؛ لينسجم ذلك مع فواصل سورة الغاشية المبنية على حرف واحد كما يظهر من النص، ولو عكس الأمر فقيل : (راضية لسعيها) لم يجد القارئ تلك اللذة الموسيقية ، وللتقديم هنا غرض آخر يحقق الاعتناء بالسعي ، وإلى ذلك أشار الألوسي بقوله :" والتقديم للإعتناء مع رعاية الفاصلة " [4] .

ومما نراه كذلك قوله تعالى :{ إن الأبرار لفي نعيم ، على الآرائك ينظرون } [5]
وليس بخاف ما يحققه تقديم المتعلق (على الآرائك) من رعاية الفاصلة ، كما أن فيه بيانا للمحل الذي ينظر منه أهل الجنة .

وشبيه بذلك قوله تعالى :{ فيهما من كل فاكهة زوجان } [6] ، فعلى الرغم من أن التقديم قد أفاد اختصاص الجنتين بالفاكهة المتنوعة ، إلا أنه حقق غرضا آخر يتمثل في تناسب الإيقاع الموسيقي القائم على حرف النون في السورة كلها .

---

[1] – الزمخشري ، ٢٩/٤ .
[2] – العلوي ، ٧١/٢.
[3] – الغاشية ، ٨ – ١٠ .
[4] – الالوسي ١١٤/٣٠ .
[5] – المطففين ٢٢، ٢٣ .
[6] – الرحمن ٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعله يظهر من سياقات التقديم السابقة مراعاة أحوال المتكلم بحيث يتم ترتيب الكلام بحسب أحوال النفس ، وهذا ما يقتضيه مفهوم البلاغة الذي هو صياغة الكلام على مقتضى الحال .

وثمة نوع آخر من التقديم يقوم على المعنى لا النمط اللفظي واللغوي بالتحديد ، وسماه البلاغيون (ما قدم والمعنى عليه) ، وقد عدّ الزركشي من مقتضياته خمسا وعشرين [1] ، كأن يكون التقديم للسبق ، بحيث يكون المتقدم أسبق من المتأخر في المعنى ، ومن ذلك قوله تعالى :{ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين } [2] ، فقد قدم القرآن المغفرة على دخول الجنة ترتيبا للأسبقية ؛ فإن المؤمنين لا يدخلون الجنة حقيقة إلا بعد تطهيرهم من درن الذنوب والمعاصي على حد قول بعض المتصوفة : التخلية بعد التحلية .

غير أننا نجد الأمر مختلفا في آية أخرى ، حيث يقول تعالى :{ ليدخلَ المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين ويكفرَّ عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما }[3] ، فقد قدم النص القرآني دخول الجنات، ثم ذكر تكفير الذنوب ، ولعل مقتضى التقديم هنا هو تعظيم المقدَّم ، وتشريفه ، وإثارة الرغبة في الوصول إلى المطلب الأغلى وهو الجنة ، وفيه أيضا تعجيل للمسرّة .

ويكون التقديم للكثرة على القلة ، وشاهد ذلك قوله عز وجل :{ فمنهم شقيّ وسعيد } [4] فإن الكثرة الكاثرة من الناس داخلون في صفة الشقاء ، وقليل منهم من ينجو بدليل قوله تعالى :{ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين } [5] .

ومن التقديم الذي يفيد التشريف في الذات تقديم الإنس على الجنّ في قوله تعالى :{ لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان }[6] ، فقدم القرآن الإنس على الجنّ في هذه الآية ؛ لأن الإنس أشرف ؛ فقد كان منهم الأنبياء والرسل ، وقد ابتدأ الجنّ المعصية ، وذلك عندما

---

[1] – الزركشي ، ٣/ ٢٧٩ .

[2] – آل عمران ١٣٣ .

[3] – الفتح ٥ .

[4] – هود ١٠٥ .

[5] – يوسف ١٠٣ .

[6] – الرحمن ٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رفض إبليس السجود لآدم عليه ا لسلام ، ولا يمنع هذا الشرف ما ورد من تقديم الجنّ على الإنس في سياقات قرآنية أخرى ، فلذلك أسبابه ومقتضياته لا مجال لذكرها هنا [1]

ومن سياقات التقديم في المعنى التي تفيد التعظيم،تقديم الحليّ على اللباس في قوله تعالى :{ ... يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق }[2] ، ويشير الأندلسي إلى هدف التقديم هنا بقوله:" وُقدمت التحلية على اللباس ؛ لأن الحلي في النفس أعظم ، وإلى القلب أحب ، وفي القيمة أغلى ، وفي العين أحلى " [3] .

ولعله يظهر مما سبق أن التقديم والتأخير في نصوص الجنة قد حقق أغراضه الموضوع لها ، وأفاد – من خلال مقاماته المختلفة ، وسياقاته المتعددة – دلالات بلاغية أسهمت في تبيان أسلوبية المتكلم ، ونفسية المتلقي للخبر أو المعنى ، وكان أهم غوض برز من هذه الأغراض هو الاختصاص ؛ لما له من علاقة تمسّ أحوال النفس ، وتناسب مقتضى الحال لأهل الجنة ، وفي هذا تعريض بالفئات الأخرى التي تنكبت الطريق الصحيح .

بلاغة الخطاب بين الاسم والفعل

يقسّم النحاة الجملة العربية قسمين : اسمية وفعلية ،ولا يعنينا اختلافات النحويين في هذا الشأن [4] ، وإنما ينصب تركيزنا على بلاغة الخطاب بالجملة من حيث نوعها اسمية كانت أو فعلية بمعنى أن دراستنا ستبين وجوه الفرق في الخطابين ، فإن لأسلوب الخطاب بالجملتين بدائع في النظم تجعلنا نقّر بعدم تبادلية مكانها .

الخطاب بالجملة الاسمية :

يقول صاحب الطراز في مجال توجيه الخطاب بالجملة الاسمية : " ومتى كان وارداً على جهة الاسمية فإنه ينقدح فيه معنيان :

المعنى الأول: أن تريد أن الفاعل قد فعل ذلك الفعل على جهة الاختصاص به دون غيره ...

---

[1] – للتعرف على أسرار ذلك ينظر ، شيخون ، أسرار التقدم والتأخير في القرآن ، ٨٨، ٨٩ .

[2] – الكهف ٣١ .

[3] – الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ١١٧/٦ .

[4] – لتفصيل القول في أنواع الجمل واختلافات النحاة في ذلك ، ينظر ابن هشام ، مغني اللبيب ، ٣٧٤/٢ وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعنى الثاني : أن لا يكون المقصود الاختصاص ، وإنما المقصود التحقق وتمكين ذلك المعنى في نفس السامع بحيث لا يخالجه فيه ريب ،ولا يعتريه شك "[1] .

فمن بلاغة الخطاب بالاسمية الذي يفيد الاختصاص قوله تعالى :{ إنّ الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ، إنّ الله يفعل ما يريد } [2] .

والملاحظ أن الخطاب في الآية صُدّر بالجملة الاسمية ، وتوجيه ذلك أن فعل إدخال الجنة يختص به الله تعالى دون غيره ، فلا شركة فيه ، ومن ثم ففعل الإدخال مستوحى من الجملة الاسمية (إن الله يدخل) ، ولو قيل (يدخل الله) لتعلق ذهن القارئ بالفعل أولا دون فاعله ،ولم يفد بذلك الاختصاص .

ومن لطيف الخطاب بالجملة الاسمية قوله عز وجل :{ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روْضةٍ يُحبَرون }[3] ، والنص يبتدئ في خطابه بالجملة الاسمية (هم في روضة) والإتيان بالضمير المنفصل (هم) متصدرا الجملة دل على أن المؤمنين (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) مختصون بالروضة وحدهم ، لا يشاركهم فيها غيرهم ، وقد تضافرت - لتأكيد معنى الاختصاص - وقوع أما التي تفيد التأكيد والتفصيل .

ومن سياقات الخطاب بالاسمية التي تفيد الاختصاص قوله تعالى :{ والله يدعو إلى دار السلام ...} [4] فقد تصدّر الخطاب في الآية بلفظ الجلالة (والله يدعو) ومعنى هذا أن الله وحده يدعو إلى الجنة مع انتفاء الشركة مع غيره في هذا الأمر ،ويمثل هذا الخطاب تعريضا بالدعوات الأخرى التي لا تنطلق من دعوة الله تعالى ولا تتفق معها ، فالدعوة إلى الجنة خاصة بالمسند إليه وهو الله عز وجل .

كما نجد غرض الاختصاص متجليا في قوله عز وجل :{ أصحاب الجنة يومئذ خيرٌ مستقراً وأحسنُ مقيلا } [5] واللافت للنظر في التركيب اللغوي للنص القرآني هذا أنه يتألف من البنى اللغوية التالية :

أصحاب الجنة (مبتدأ مضاف) + يومئذ (ظرف زمان) + خير (خبر) + مستقر (تمييز) + وأحسن مقيلا (جملة العطف) .

---

[1] - العلوي ، ٢/ ٢٥، ٢٦ .

[2] - الحج ، ١٤ .

[3] -الروم ، ١٥ .

[4] - يونس ، ٢٥.

[5] - الفرقان ، ٢٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن تصدير الجملة بالاسم (أصحاب) ، قد حقق غرض الاختصاص الذي يرمي إلى إثبات صفة المستقر الأفضل ، والمقيل الحسن لأصحاب الجنة وحدهم ، وهو يتضمن بذلك تهكما واضحا لأصحاب النار ، وهذا ما يمنحه النص السابق في إيجاد المقابلة الخفية بين أصحاب الجنة وأصحاب النار ، ولعل الفصل بالظرف (يومئذ) بين المسند إليه والمسند له دلالته ، إذ قد يفوت الإنسان المسلم العيْش الرغيد في الدنيا ، ويضيق عليه في رزقه أو يبتلى في أهله ، إلا أن الحال في الآخرة يختلف تماما إذ لا مجال لوجود مثل هذه الآفات في الجنة .

ويحقق الخطاب بالجملة الاسمية غرض التحقيق والإثبات أيضا ، وهذا ما يظهر في قوله تعالى :{ والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون } [1] والظاهر في الخطاب أنه جاء بالجملة الاسمية (أولئك أصحاب الجنة) وهذا ما يفيد الاختصاص .

غير أن الخطاب هنا أيضا يرمي إلى إثبات صفة التأكيد لأصحاب الجنة وتفخيم شأنهم (هم فيها خالدون) ،وقد تصدر الضمير (هم) الجملة الاسمية ، وكان بالإمكان الاستغناء عنه ، ويصحّ المعنى على النحو (أولئك أصحاب الجنة فيها خالدون) ولو قال ذلك لما أفاد النظم معنى التحقيق . فعلى الرغم من أن الخطاب الأول قد حقق غرض القصر لأصحاب الجنة إلا أنه أتى بالضمير مرة أخرى لينتبه السامع ، وفي هذا المعنى يقول عبد القاهر الجرجاني :" وجملة الأمر أنه ليس إعلامك الشيء بغتة مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له ؛ لأن ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام " [2] .

كما نجد الجملة الاسمية الدالة على تمكين الفعل في ذهن المتلقي وترسيخه ماثلة في قوله عز وجل { مثلُ الجنة التي وُعدَ المتقون أكلُها دائم وظلها ... } [3]

ويظهر في النص أن القرآن قدّم المعنى الدلالي للمخاطب بالجملة الاسمية(أكلها دائم) وفي ذلك تحقيق وثبوت دوام الأكل ، إذ قد يتبادر للعقل أن نعيم الجنة قد يتعرض للزوال كما هي الحال في نعيم الدنيا ، فجاء الخطاب بالجملة الاسمية ليمكن الخبر في

---

[1] – البقرة ، ٨٢ .

[2] – الجرجاني ، دلائل الاعجاز ، ١٠٢ .

[3] – الرعد ، ٣٥ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النفس ويزيل عنه التردد الذي قد يأتيه من الواقع المعيش ، ويختلف المعنى تماما في حال الخطاب بالفعل (يدوم أكلها) ، لأن الفعل يقتضي التجدد والمزاولة شيئا فشيئا .

وبوسعنا أن نعالج الجملة الاسمية من زاوية الخبر إذا كان اسما مفردا بمعنى أن التركيز في النماذج السابقة انصبّ على المبتدأ بوصفه الاسم المتقدم في الخطاب ، وقد أشار الجرجاني إلى الفروق في الخبر بقوله :"... وبيانه أن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئا بعد شيء "[1] . ومن لطيف استخدام الخطاب بالاسم إذا وقع خبرا قوله تعالى : { أولئك في جنات مكرمون } [2] ، والنص القرآني هذا متكون من البنيات اللغويةالآتية :

أولئك (اسم إشارة مبتدأ) + في جنات (جار ومجرور متعلق) + مكرمون (خبر)

وقد أفاد هذه التركيب التعبيري الاختصاص للمكنى عنه باسم الإشارة (أولئك) ، كما أنه حقق صفة الثبات في الإكرام ؛ إذ إن الإكرام اسم دالّ على حالة ثابتة لهم ،وصفة قارّة في الذات هم عليها قائمون ، لا يعتريها تغير ، ولا ترتبط بزمن فاقتضى ذلك الإخبار بالاسم ، ولو قيل : (يكرمون) لما حسن ؛ ذلك لأن الإكرام حينئذ مرتبط بزمن ، كما أنه أي الإكرام - ليس فعلا يزاول ، بل وصف ناتج عن أفعال يزاولها أهل الجنة كالأكل والشرب وغيرهما

ومن قبيل ذلك قوله عز وجل :{ إن الذين سبقت لهم منّا الحسنى أولئك عنها مبعدون } [3] إن النظام البنائي الذي يقوم عليه الخطاب في النص متمثل في الجملة الاسمية المكونة من البنيات اللغوية التالية

أولئك (اسم إشارة مبتدأ)+ عنها (جار ومجرور عائد إلى النار) + مبعدون (وصف) والخطاب - كما هو ظاهر - جاء بالجملة الاسمية الدالة على ثبوت المعنى للشيء -أي ثبوت إبعاد المؤمنين عن النار - ، وقد دل هذا الاسم (مبعدون) أن ابتعاد المحسنين عن عذاب جهنم ثابت غير مقترن بزمان معين ، كما أن الابعاد مقضيّ به في كتاب (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) ، فهو كالحكم المكتوب المستقر ، فجيء - لذلك - بالاسم ، ولو قيل (يبعدون) ، لدلّ ذلك على أن فعل الإبعاد متجدد وكأنهم يقتربون منها ثم يبعدون وهذا غير كائن، ويعلق صاحب التفسير الكبير على هذا

---

[1] - الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ١٣٣ .

[2] - المعارج ، ٣٥ .

[3] - الأنبياء ، ١٠١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النص بالقول :" الذين سبقت لهم منا الحسنى لا يدخلون النـــار ،ولا يقربونـــها ألبتـــة " وعلى هذا القول بطل قول من يقول : إن جميع الناس يردون النار ثم يخرجون إلـــى الجنة ؛ لأن هذه الآية مانعة منه " [1] .

وقد تسبق الجملة الاسمية بناسخ مثل (إن) ، فتفيد التوكيد وسنعالج مبحث التوكيد فـي مبحث خاص .

الخطاب بالجملة الفعلية : -

رأينا في الصفحات السابقة كيف تجلى أسلوب الخطاب بالجملة الاسمية ، وكمـا يحقق الخطاب بالاسم دلالات معنوية ،كذلك فإن الخطاب بالجملة الفعلية يحقق معـــاني ومقاصد دلالية ، وتقسم الجملة الفعلية قسمين الجملة المتصـــدرة بـــالفعل المـــاضي ، والجملة المتصدرة بالفعل المضارع وسنعالج هذين القسمين كل على انفراد .

الجملة الماضوية :-

يرتبط الفعل الماضي بالزمن السابق على زمن الخطاب الحاضر بعامـــة ،وقـــد أشار إلى ذلك العلوي بقوله :" فأنت إذا جئت بالجملة الفعلية فقلت (قام زيد) ، فليـــس فيـــــه إلا الإخبار بمطلق القيام مقرونا بالزمان الماضي ، من غير أن يكـــون هنـــاك مبالغة وتوكيد "[2] ،وبوسعنا أن نصنف الجملة الماضوية في نصوص الجنـــــة حســـب الآتي :

١- الماضي الدال على الزمان الدنيوي وهو مختص ببيان أعمال المؤمنين الصالحـة التي كانت سبيلهم إلى النجاة والفوز، ويحدد الزمن هنا بعمر الشخص أو بعمر الدنيـا . كما يظهر من النصوص التالية حيث يقول تعالى :

{ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا } الكهف ، ١٠٧

{ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب } ق ، ٣٣ .

{ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ....} يونس ، ٢٦ .

{ ولمن خاف مقام ربه جنتان } الرحمن ، ٤٦ .

فالأفعال(آمنوا ، عملوا ، خشي ، أحسنوا ، خاف) ، أفعال ماضية مختصة بزمـــن محدد وهو الزمن الدنيوي ، وتظهر هذه الأفعال المضامين الأغراض، الدينية التي تعـدّ

---

[1] - الفخر الرازي ، ١٩٦/٢٢ .

[2] - العلوي ، ٢/ ٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طريقا مستقيما توصل المرء لدار السلام ، وقد أفاد الفعل الماضي في هذه النصـــوص حصول الفعل وتجدده في الزمن المحدود " والمراد بالتجدد في الماضي حصوله "[1] .

٢- الماضي الدال على الزمان المستقبل ، ويعرف من خلال القرائن اللفظية والمعنوية وبوسعنا أن نمثل لذلك بالنصوص القرآنية التالية يقول تعالى :

{ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها } [2]

إن الفعل (وعد) تتعدى دلالته على الزمن الماضي إلى دلالته على الزمن المســتقبل ، فالوعد مكتوب منذ الأزل ، ولكنه مستمر على مرّ الزمـــان إذ الوعـــد يتجـــدد بتجـــدد المخاطب فماضوية الفعل (وعد) دلالة على ثبات الوعد وحصوله ، و دلالة (وعـد) على المستقبل تعني تجدده حسب زمن الخطاب .

ومن ذلك أيضا قوله تعالى : { ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلـــؤا منثورا } [3] ،فعلى الرغم من دلالة الفعل (رأيت) على الزمـــن المـــاضي ، إلا أن قرائن السياق تدل على أن الرؤية تمتد نحو المستقبل ، وذلك لوجود أداة الشرط (إذا) الدالة على المستقبل . والمعنى إذا رأيتهم في المستقبل ستحسبهم كاللؤلؤ المنثور .

وشبيه بما سبق قوله عز وجل : {وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنـــات تجـــري مـــن تحتهـــا الأنهـــار ، كلما رُزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل ... } [4] .

إن الخطاب في النص يدور حول رزق المؤمنين في ا لجنة ،والمراد تبيان الفارق بيـــن الرزق في الجنة من حين لأخر ، فعندما يتذوق المؤمن بعض ا لثمار يظن أنها تشـــبه الثمرة السابقـــة ، وقـــد جاء هـــذا المعنى من خلال الفعل الماضي (رُزقوا) ، غـــير أنه –أي الفعل – دل على أن هذا الزمن يستغرق المستقبل ، وأن العملية هذه مســـتمرة لأجل دخول (كلما) على الفعل، والمعنى كل وقت يرزقون فيه يقولون الكلام إياه .

ومثل ذلك الفعل (رضي) في قوله تعالى : { جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجـــري مـــن تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمـــن خشـــي ربّه }[5] .

---

[1] – بدوي ، ١٠٧ .

[2] – التوبة ، ٧٢ .

[3] – الانسان ، ١٩ .

[4] – البقرة ، ٢٥ .

[5] – البينة ، ٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإيراد الفعل (رضي) بصيغة الماضي دلّ على أن الرضا كان في الدنيا ثم في الجنة مستغرقا زمن الخلود في الجنة ، بمعنى أنه لا يمكن أن يَحلّ عليهم سخط الله أبدا .

٣- الماضي الدال على الزمان الأخروي : ونعني به الزمن الماضي في الجنة ، فبعد دخول المؤمنين الجنة يحكي الله تعالى على لسان المؤمنين بالخطاب الماضوي " ويمكننا أن ندلل على ذلك بالآيات التالية حيث يقول تعالى :

{ وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور ، الذي أحلنا دار المقامة من فضله ... } فاطر ٣٤ ،٣٥.

{ وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض ....} الزمر ٧٤ .

{ ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين } الحجر ، ٤٧ .

{ وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون } الطور ٢٢

{ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون } الطور ٢٥ .

فالأفعال الماضية في النصوص القرآنية السابقة تدل على زمن الخطاب في الآخرة بعد دخول المؤمنين الجنة ، وهو بالنسبة لأهل الجنة زمان ماض ، فهم يتحدثون عن اللحظات التي تسبق زمن الإخبار .

وجملة الأمر أن بلاغة الخطاب بالفعل الماضي تتمثل في دلالته الزمنية من حيث أزمنته المختلفة التي لا تقتصر على الزمان الماضي ، بل تتعدى ذلك إلى المستقبل وتحقق هذه المرحلة الزمنية غرضا دلاليا يتمثل في إثبات حصول الأفعال في الماضي وتأكيدها .

٢- الجملة المضارعية :

على أن الشائع في نصوص الجنة استخدام الخطاب بالفعل المضارع بما يتضمنه من أشكال ودلالات ،ولعل سبب هذا الانتشار لهذا الخطاب هو المعنى الذي يحمله المضارع من تجدد الفعل في الزمن واستمراره فيه دون توقف ، ويشير عبد القاهر إلى ذلك بالقول " وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء " [1] ، وقد استحوذ الفعل المضارع على جميع الأفعال التي يمارسها ويزاولها أهل الجنة في الجنة وبوسعنا أن نقسم المضارع إلى قسمين :

---

[1] - الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ١٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفعل المضارع المثبت :

يرد الفعل المضارع المثبت في نصوص الجنة لإفادة تجدد أفعال المؤمنين الحسنة وتكررها، وقد انتظم الفعل المضارع أعمال أهل الجنة التي يزاولونها في أوقاتهم المختلفة ،والجدول التالي يوضح هذه الأفعال

جدول إحصائي للفعل المضارع المثبت في نصوص الجنة [1]

الرقم	الفعل المضارع	عدد التواتر	الرقم	الفعل المضارع	عدد التواتر
١	تجري	٣٧	١٠	يلبسون	٢
٢	يدخل	٣٣	١١	يدّعون	٢
٣	يطوف	٦	١٢	يأكلون	٢
٤	يشاء	٦	١٣	يسقوْن	٢
٥	يشتهون	٥	١٤	ينظرون	٢
٦	يدْعون	٤	١٥	تحبرون	٢
٧	يوعدون	٤	١٦	يتنافس	١
٨	يحلّون	٣	١٧	يتخيرون	١
٩	يشربون	٣	١٨	يتنازعون	١
المجموع الكامل		–		–	١١٦

ويتبين للدارس من خلال الجدول السابق - تفوق بعض الأفعال على بعضها الآخر واحسب أن وراء هذا التفوق في تكرار الفعل دلالة معنوية تهدي للمضمون القرآني في وصف الجنة، فالفعل المضارع (تجري) الذي جاء في موقع الوصف لأنهار الجنة بصيغة واحدة ما عدا آية جاءت في صيغة التثنية ،وهو قوله تعالى :{ فيهما عينان تجريان } [2] ، قد دلّ أي - المضارع – على استمرار جريان الماء في أنهار الجنة وتجدده بحيث لا يمر وقت دون حدوث هذا المنظر الجميل ،ولقد جاء هذا الفعل مقترنا

[1] – تم ترتيب الجدول بحسب عدد التواتر من جهة ، ومن جهة أخرى ، لم نذكر الصيغ المختلفة للفعل المضارع المثبت لكثرتها في بعض الأحيان ،وآثرنا استخدام الصيغة الأكثر بروزا .

[2] – الرحمن ، ٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بذكر الأنهار في الآيات كلها ، فكأن ذكر الأنهار دون جريان الماء فيها ، كذكر الجسم دون تفصيل لفضل الروح فيه .

أما الفعل (يدخل) ومشتقاته ؛ فيلحظ القارئ نموّ هذا الفعل بحيث يأتي في المرتبة الثانية بعد فعل الجريان ،وقد دلّ الفعل المضارع هنا على الاستقبال بمعنى أن خطاب المؤمن بدخول الجنة سيكون في القيامة ، كما أنه دل على أن دخول الجنة متجدد شيئا بعد شيء بحيث لا يدخل المؤمنون الجنة دفعة واحدة ؛إنما يدخلونها بحسب استحقاق العمل، فمنهم من يدخلها بغير حساب ، ومنهم من ينتظر قليلا حتى ينتهي من حسابه ومن المؤمنين من يمر عليه زمن حتى يدخلها بسبب المعاصي والذنوب .

ويتأمل المرء مسيرة طواف الولدان والغلمان المتجددة أبدا في الجنة ،وهم يحملون الكؤوس والأباريق والأكواب يدورون بها على أهل الجنة يسقونهم، وقد تكرر هذا الفعل ست مرات وهي نسبة تأتي بعد الفعلين (تجري) و (يدخل) ، وقد دل هذا الفعل على تجدد الطواف ومزاولة الخدم له مع إفادته معنى الاستقبال ،ويعلق صاحب التفسير الكبير في معرض حديثه عن قوله تعالى : { وَيطوف عليهم ولدان مّخلّدون ...} [1] بالقول :" والأقرب أن المراد دوام كونهم على تلك الصورة التي لا يراد في الخدم أبلغ منها ، وذلك يتضمن دوام حياتهم، وحسنهم ،ومواظبتهم على الخدمة الحسنة الموافقة " [2] .

وجاء التعبير القرآني في بيان مشيئة المؤمنين في الجنة ، أنها مشيئة متجددة حسب المواقف النفسية الشعورية مستخدما لذلك الفعل المضارع الدال على التجدد والمزاولة ، والمراد إفادة رغبة المؤمنين في الجنة بأنها رغبة تتجدد بتجدد النعائم و اللذائذ كما يظهر في قوله تعالى : { وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرضَ نتبوأُ من الجنة حيث نشاءُ فنعمَ أَجرُ العاملين }[3].

وزاد من عمق المعنى وجود ظرف المكان (حيث) ، فالمشيئة مطلقة في المكان وكذلك في الزمان الخالد .

---

[1] – الانسان ، ١٩ .

[2] – الفخر الرازي ، ٢٥١/٣٠ .

[3] – الزمر ، ٧٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقريب من فعل المشيئة فعل الاشتهاء الذي تواتر خمس مرات ، ويحمل الفعل المضارع (تشتهيه) معنى التجدد والاستمرار وذلك في قوله تعالى : { ... وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون } [1] .

إن الخطاب بالفعل المضارع في النص أفاد أن الاشتهاء فعل متجدد من قبل أهل الجنة وأحس أن هذا الفعل يطلق العنان لخيال المؤمن ، أن يشتهي أشياء قد خطرت بباله في الدنيا أو لم لا تخطر، فتكون كما اشتهى ، وقد ازداد هذا الفعل النفسي عمقا ، بتضافر فعل آخر حسي وهو الفعل (تلذ) ، لكون الاشتهاء والالتذاذ متفقين في النعمة المراد تحقيقها .

وما قيل في الفعلين ا لسابقين يقال في الأفعال (يوعدون) و (يدّعون) و(يتخيرون) فالوعد قد تحقق ، والدعوة مستجابة في كل الأحايين والادّعاء متوفر ومتجدد في ا لزمن ، وكل ذلك حسب اختيار المؤمن لها .

وقد حقق الفعل المضارع المتصل بأفعال المؤمنين في الجنة غرض التجدد والاستمرار والتكرار - فنجد فعل الشرب يتكرر ثلاث مرات للدلالة على تكرر فعل الشرب ومزاولته من قبل المؤمنين في دار الخلد ، وكذلك فعل التحلية بأنواع الحلي ، وقد تكرر هذا الفعل ثلاث مرات ،ويعتقد أن تواتر هذا الفعل يتفق مع ما ذكر القرآن من أنواع الزينة التي عدّها القرآن وهي الذهب والفضة واللؤلؤ . كما يتضح من قوله تعالى :{... يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ...} [2] ، وقوله تعالى : {... وحلوا أساور من فضة ... } [3] ومعنى هذا أن أصحاب الجنة يبدّلون هذه الأنواع أو يجمعون بينها حسب اللذة والإرادة .

ومثل فعل التحلية يكون فعل اللباس حيث ورد مرتين في قوله تعالى: {ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق ...} [4] ، وقوله تعالى : { يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين } [5] ،وقد دل الفعل المضارع (يلبسون) على حدوث هذا العمل منهم ، ومزاولتهم إياه في أوقاتهم المختلفة . وقد جاء عدد تواتر الفعل في القرآن متسقا مع نوعي اللباس في الجنة وهما السندس والإستبرق ، أما ما ورد في أية أخرى تدل على

---

[1] - الزخرف ، ٧١ .

[2] - الحج ، ٢٣ .

[3] - الانسان ، ٢١ .

[4] - الكهف ، ٣١ .

[5] - الدخان ، ٥٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن اللباس يكون من الحرير في قوله تعالى : { ... ولباسهم فيها حرير ...} [1] فالمعنى أن جنس اللباس من الحرير الذي قد يكون رقيقا أو ثخينا .

ومثل ذلك يقال في فعل (يسقون) ، (ينظرون) (يتنافسون) (يتنازعون) .

ونقف عند الفعل المضارع (تحبرون) فقد ورد في نصوص الجنة مرتين مرة بصيغة الغياب وذلك في قوله تعالى :{ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يُحبَرون } [2] ،وأخرى بصيغة الخطاب كما يظهر في قوله تعالى : { ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون } [3] .

والبادي في النصين مجيء التعبير القرآني عن سرور المؤمنين في الجنة بالفعل المضارع المسند إلى واو الجماعة (تحبرون) . ولعل المعنى اللغوي للفعل(حبر) يسهم في إثبات تجدد هذا الفعل منهم . وهو: الحِبر :الأثر المستحسن، " ومعنى يحبرون أي :يفرحون حتى تظهر عليهم حبار نعيمهم "[4] ، لقد جاء الفعل المضارع في النصين في موقعه البلاغي الدال على تجدد السرور لأهل الجنة، وهذا التجدد ناتج بالضرورة عن تجدد النعم التي يتنعمون بها ،ولم يقل تعالى (محبورون) ، وذلك " للإيذان بتجدّد سرورهم، ففي كل ساعة يأتيهم ما يسرون به من متجددات الملاذّ وأنواعها المختلفة " [5] .

ب - الفعل المضارع المنفي :

وإذا كان الفعل المضارع المثبت قد حقق غرض تجدد النعم والأفعال المستحسنة لأهل الجنة ، فقد جاء الفعل المضارع المنفي ليحقق غرضا مغايرا يقوم على نفي تجدد الأفعال والآفات السلبية التي تعتري النعيم ، كما هو الاعتقاد السائد في الدنيا . وقد بلغ عدد الأفعال المضارعة المنفية واحداً وعشرين فعلا ، مسبوقة بحرف النفي (لا) غالبا وبحرف النفي (لم) مرتين كما يظهر في الجدول التالي :

---

[1] - الحج ، ٢٣ .

[2] - الروم ، ١٥ .

[3] - الزخرف ، ٧٠ .

[4] - ينظر ا لراغب ،مادة حبر .

[5] - الألوسي ، ٢٦/٢١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرقم	الفعل المضارع المنفي	عدد التواتر	مواضع وروده في الآيات
١	لا يسمعون	٥	الأنبياء ، ١٠٢، مريم ، ٦٢، الواقعة ٢٥ن النبأ ٣٥، الغاشية ١١
٢	لا يظلمون	٣	النساء ١١٤، الإسراء ٧١، مريم ٦٠
٣	لا ينزفون	٢	الصافات ٤٧ الواقعة ١٩
٤	لا يمسنا	٢	فاطر ٣٥
٥	لا يصدعون	١	الواقعة ١٩
٦	لا يذوقون	١	الدخان ٥٦
٧	لا يبغون	١	الكهف ١٠٨
٨	لا يرهق	١	يون ٢٦
٩	لايحزنهم	١	الأنبياء ١٠٣
١٠	لا تحزنون	٢	الأعراف ٤٩ ، الزخرف ٦٨ .
١١	لم يطمثهن	٢	الرحمن ٥٦ ، ٧٤
المجموع		٢١	–

والملاحظ على الجدول السابق استخدام الفعل المضارع المنفي الذي يعطي القارئ صورة جلية عن خلو نعيم الجنة من النقائص الآفات عن أهل الجنة ، و بذا تتحقق الأمور التالية :

١-الكمال في نعيم الجنة .

٢-الكمال في أحوال المؤمنين الطيبة في الجنة .

٣-إعطاء فرصة للقارئ أن يقارن بين حاله في الدنيا وحاله في الآخرة .

ونحن سنعالج بعض الأفعال المضارعة المنفية للتدليل ، تاركين للقارئ الكريم أن يلمس الدلالات المتبقية من وحي النصوص .

وتجدر الإشارة إلى أن حرف النفي (لا) يستخدم في نفي الحدث إذا وليه فعل مضارع " ولهذا فهي تدل في النفي على مطلق الزمن "[1] ،وهذا ما تحققه النصوص السابقة فالآفات التي يتعرض إليها المؤمن في الدنيا تنتفي مجرد دخوله دار السلام .

ففي مجال بيان خلو الجنة من اللغو الساقط ، والكلام المرذول الذي لا طائل تحته يقول

[1] – البقري ، أحمد ماهر ، أساليب النفي في القران ، ص ٢٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعالى : { لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما ، إلا قيلا سلاما سلاما }[1] .

فقد دل الفعل المضارع (لا يسمعون) على مطلق النفي للسماع مستغرقا زمن الحال والاستقبال ، وهذا يؤكد صفو النعيم وجلال الحياة بعد أن جربوا العكر في الدنيا ، وعلى هذا يصبح تراسل معنى الفعل يسمعون - لا يسمعون .

إن الفعل المنفي قد أرغم ذهن القارئ على استحضار الصورة المقابلة له وبهذا يستطيع أن يوازن بين الحالين ، ويعرف البون في الفضل بين المصيرين .

ويدل الفعل المضارع على دوام الرضا في الجنة ،وعدم تحوّل النفس عنها من أجل شيء آخر كما هو الحال في هذه ، ونجد ذلك في قوله تعالى :{... خالدين فيها لا يبغون عنها حولا} [2] .

لقد أفاد الفعل المضارع المنفي (لا يبغون) شدة التصاق المؤمنين بالجنة بحيث لا يطلبون عنها بديلا ، ولله در الزمخشري حين يبدع في تفسير هذه الآية بالقول : " يعني لا مزيد عليها حتى تنازعهم أنفسهم إلى أجمع أغراضهم وأمانيهم ، وهذه غاية الوصف لأن الإنسان في الدنيا في أي نعيم كان فهو طامح الطرف إلى أرفع منه" [3]

وبهذا يصبح المعنى التقابلي بين نعيم الآخرة ، ونعيم الدنيا .

يبغون -- لا يبغون

والمثال الآخر الذي نأتي به لدلالة الفعل المضارع المنفي دلالته على نفي آفة الظلم عن أهل ا لجنة كما هو ظاهر في قوله تعالى : {... فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا }[4] .

إن بناء الفعل المضارع المسبوق بحرف ا لنفي (لا) قد حقق مقصدا دلاليا عظيما طالما اشتاقت النفس إليه في ا لحياة الدنيا ، وهو تحقيق العدل الكامل في كل شيء ذلك أن ا لبشر بطبيعتهم النقِصَة ، غير ممكنين من رد الحقوق السليبة مهما بلغوا من القوة في الإعداد ، والحجة في العقل ، فكان لا بد من يوم لا يظلم فيه مؤمن شيئا وهو ما يتحقق يوم القيامة ،بحيث يوفّى جزاءه بحسب مستحقات عمله وزيادة ،وقد أفادت النكرة (شيئا) معنى الجنس الذي أفاد النفي المطلق للظلم في الحال والاستقبال .

---

[1] - الواقعة ، ٢٥،٢٦

[2] - الكهف ، ١٠٨ .

[3] - الزمخشري ، ٢/ ٥٠٠

[4] - مريم ، ٦٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونلحظ في الفعل المضارع في نصوص الجنة أنه سبق بحرف النفي (لم) وهو " حرف جزم لنفي المضارع وقلبه ماضيا "[1] . وقد تكرر هذا الفعل مرتين في قوله تعالى واصفا نساء الجنة { فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان } [2] لقد توسل القرآن بالفعل المضارع المسبوق بالنفي لإفادة غرض دلالي، ويتمثل في أن نساء الجنة طاهرات منذ خلقهن ، لم يمسسن من قبل إنسي ولا جني . وقد حدد النفي هنا بالزمن الماضي الذي تفيده كلمة (قبلهم) .ويحمل النفي في مطاويه دلالة نفسية تمس فطرة الإنسان، وجملة الأمر أن الفعل المضارع المنفي قد حقق غرضه المأتي به من أجله رغبة في إثبات الكمال في النعيم .

ومن ا لمعلوم أن الفعل المضارع يسند إلى فاعل يقع منه الحدث، فيختص الفعل به دون غيره سواء أكان الفاعل اسما ظاهرا أم ضميرا .

غير أننا نلحظ أن الفعل المضارع قد يسند إلى ضمير غير محدد ليشكل بذلك عمومية الخطاب لكل إنسان يسمع هذا الكلام . قصد تنبيه السامع بأن الكلام يخصه ،ومن لطيف ذلك قوله عز وجل :{ تعرف في وجوههم نضرة النعيم } [3] .

إن الفعل المضارع (تعرف) مسند لكل شخص تتأتى منه الرؤية، فيعرف الخبر ويشير أبو حيان إلى هذا الخطاب بالقول : " وقرأ الجمهور (تَعْرفُ) بتاء الخطاب للرسول - صلى الله عليه وسلم - أو للناظر " [4] .

وقريب من ذلك قوله عز و جل :{ لا تسمع فيها لاغية } [5] والمراد : يا من تقرأ هذه الآية أنت لا تسمع اللغو في الجنة ، "وهذا يفيد الأسلوب مزية من حيث يشعر هذا العموم بأن الأمر جدير بأن يكون ذائعا ، وأنه لا يختص بمخاطب دون مخاطب "[6] .

ومن هنا يتبين أن الفعل المضارع ليست مفردة ساذجة ،بل هو تركيب يفيد الدلالة على الحدث والزمن والإسناد ،وأن الخطاب به يشكل عمقا في الإخبار .

وإن كان يحسن أن أضيف شيئا فلا بد من القول : إن القرآن في خطابه بالجملة قد بلغ غاية الإعجاز ، اذ نرى أن الكتاب العزيز يستخدم الخطاب بالاسمية في موقف

---

[1] - ابن هشام ، مغني اللب ، ٢٧٧/١ .

[2] - الرحمن ، ٥٦ ، وكذلك الآية ٧٤ .

[3] -المطففين ، ٢٤ .

[4] - الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٤٣٤/٨ .

[5] - الغاشية ، ١١.

[6] - أبو موسى ، ١٤٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

، وتارة نراه يؤثر الخطاب بالفعلية مع تشابه الموقع الدلالي لسياق الآيتين ولا نعدم أن نلمس من وراء ذلك غرضا بلاغيا رائعا.

ومن أحسن السياقات التي تدل على ذلك قوله تعالى واصفا النور المنبعث من المؤمنين على الصراط :{ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات ...} [1] ، وقوله تعالى في سياق آخر :{ يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ...} [2] .

وحقيق على الدارس أن يتوقف ملياً ، ويسأل عن سبب هذا التغاير في الخطاب ؟

إن الخطاب القرآني في الجملة الاسمية (نورهم يسعى) ،قد أفاد ثبات النور لهم ،لما في الآية من إشارة إلى معيّة النبي صلى الله عليه وسلم دليل قرب منزلتهم منه، وعلو حالهم فجاء الخطاب بالاسم لما تقتضيه من الثبات لهذه المعية .

أما في قوله تعالى :{ يسعى نورهم } فهي بمنزلة بشارة للمؤمنين ، وتركيز على تجدد السعي للنور أمامهم وحواليهم لما يقتضيه من الاطمئنان ،ولم يذكر معهم النبي فناسبها التجدد والحدوث .[3]

ونخلص مما سبق إلى القول : إن بلاغة الخطاب القرآني بالاسم والفعل قد بلغ غاية الحسن في تأدية المعنى المطلوب في الموقع الدلالي المحدد والمخصص ،فعندما يقتضي السياق الثبوت والاختصاص يكون الخطاب بالجملة الاسمية ،في حين يتعين الخطاب بالجملة الفعلية عندما يقتضي النظم التجدد والحدوث .

---

[1] – الحديد ، ١٢ .

[2] – التحريم ، ٨ .

[3] – ينظر ابن الزبير الثقفي ، أحمد بن إبراهيم ،ملاك التأويل ، تحقيق ، سعيد الفلاح ، ٢/ ١٠٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسلوب التأكيد :-

من البدهي أن الكلام يقسم إلى خبر وإنشاء ،فالخبر ما يحتمل الصدق أو الكذب، والإنشاء ما لم يحتمل صدقا ولا كذبا ، ومن هنا يرتبط الكلام بأسلوب التوكيد بوصفه الأسلوب الذي يعمل على تمكين الخبر في النفس .

ويرتبط التوكيد بالمتلقي من حيث إنه يراعي الأحوال النفسية التي تعتريه في أثناء تلقيه الخبر ، ونفوس الخلق تتفاوت ما بين التصديق والتسليم ،أو التردد والتشكيك أو التكذيب والإنكار ، ومن هذا المنطلق ينبغي أن يتوافق الكلام والحالة النفسية للمخاطب " فإن كان المخاطب ساذجا ،ألقي إليه الكلام خاليا من التوكيد ، وإن كان مترددا فيه حسن تقويته بمؤكد ،وإن كان منكرا وجب تأكيده " [1] .

ويعد التوكيد في نصوص الجنة ظاهرة أسلوبية تنبني عليها دلالات وأغراض تعمل على إبراز المعنى وتأكيده وترسيخه في النفس ، وحمل العقل على التصديق به .

وتجدر الإشارة إلى قضية أحسبها مهمة ،تمس التأكيد في نصوص الجنة بخاصة، وهي أن الجنة من عقائد الغيب التي لم ترها عين ،ولم تدركها حاسة مشاهدة، وإنما جاء الخبر بها في القرآن بالنقل الإخباري عن الله تعالى .

والعربي الذي خاطبه القرآن يعيش في بيئة مدركة بالحواس ،وإن كان ثمة اعتقادات غيبية في حياته ،إلا أن الإدراك بالحس كان السائد في تلقي الأشياء والاقتناع بها ، وإنكار ما سواها ، وينزل القرآن- والحال كذلك - فكان لا بد من استخدام أساليب لغوية وفكرية تعمق فكرة الغيب ، وتقربها إلى العقل العربي .

ومن هذه ا لأساليب اللغوية التي استخدمها القرآن لترسيخ عقائد الغيب أسلوب التأكيد الذي تعددت وسائله ،واختلفت بحسب الموقف وملابسات المعنى ،وإحكام الصياغة .

فمن الوسائل التأكيدية التي يلحّ عليها القرآن في إرساء الخبر لدى المتلقي التكرار الذي يطبع في النفس قوة التصديق ،ويحثها على الإقرار والتحقيق . ومن النصوص التكرارية قوله تعالى :{ والسابقون السابقون ، أولئك المقربون}[2] ، وقد أفاد التكرار هنا تعظيم شأن هؤلاء الفئة التي حازت قصب السبق دون الفئات الأخرى كأصحاب اليمين مثلا ، عدا ما يحققه التكرار هنا من اللذة الموسيقية للقراءة .

---

[1] - الزركشي ،٢/٤٠٥ .

[2] - الواقعة ، ١٠،١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن التكرار الذي يفيد تقوية الخبر قوله تعالى :{ لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما } [1] ،فقد كرر القرآن لفظ السلام مرة ثانية تأكيدا على التحية الخاصة التي يتبادلونها فيما بينهم مرة بعد مرة ، وقد جاء هذا التأكيد في صيغة أخرى أقصد بها القصر (لا+إلا) ، بمعنى أن التحية محصورة في السلام الذي يعني الطمأنينة والأمان . ولعلنا نوضح أثر التكرار في بحث مستقل أفردنا بعنوان التكرار .

ومن ألوان التأكيد في مشاهدة الجنة - التأكيد بالمصدر الذي يفيد أن الفاعل قد باشر الفعل بنفسه ، وبهذا يرفع المجاز عن الفاعل ؛ فإنك تقول : " ضرب الأمير اللص ولا يكون باشر،بل أمر به، فإذا قلت (ضرباً) علم أنه باشر " [2].

ومن أمثلة ذلك في نصوص الجنة قوله تعالى : { إنّا أنشأناهنّ إنشاءً *فجعلناهن أبكارا } [3] ،فقد أكد الفعل (أنشأ) بالمصدر (إنشاء) ؛ ليدل على أن الإنشاء والخلق كان على سبيل الحقيقة المباشرة ، والمعنى : " ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا من غير ولادة والظاهر أن الإنشاء هو الاختراع الذي لم يسبق بخلق ، ويكون ذلك مخصوصا بالحور اللاتي لسْن من نسل آدم " [4] ،وهذا الخلق يقتضي المباشرة من الخالق عز وجل .

وشبيه بذلك قوله جل شأنه : { عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا } [5] فتأكيد الفعل (يفجر) بالمصدر (تفجيرا) يدل على أن أهل الجنة هم من قام بفعل التفجير لا خدمهم وغلمانهم ، وهذا أشهى لنفوسهم ،وأجمل رؤية ومنظراً ، ولو قال (يفجرونها) وحسب ،لتوهم أن التفجير قد يكون على سبيل المجاز العقلي ، وإسناد الفعل لغير فاعله الحقيقي .

ومن صور التوكيد بالمصدر التي تؤكد رفع المجاز عن الفعل قوله عز وجل : { وذُلّلت قطوفها تذليلا } [6] ، وتأكيد فعل (ذللت) بالمصدر (تذليلا) ، دل على آلية الفعل بأنه فعل ذاتي حقيقي مجعول في القطوف ، وليس أن الولدان هم الذين يذللونها.

---

[1] - الواقعة ، ٢٥، ٢٦ .

[2] - الزركشي ، ٢/ ٤٠٧ .

[3] - الواقعة ، ٣٥، ٣٦ .

[4] - الأندلسي ، ٨ /٢٠٧ .

[5] - الانسان ، ٦.

[6] - الانسان ، ١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقريب مما سبق قوله تعالى :{ قوارير من فضة قدروها تقديرا } [1]. والمعنى الذي يفيده التوكيد بالمصدر " أنهم قدروها في أنفسهم أن تكون على مقادير وأشكال على حسب شهواتهم " [2].

ومن سياقات التأكيد بالمصدر ما يظهر في قوله عز وجل :{ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، خالدين فيها أبدا وعد الله حقّاً ومن أصدق من الله قيلا } [3] ويلحظ في هذا النص أن القرآن أكد فعل الدخول بدخول حرف السين أولا (سندخلهم) ، ثم أكد ذلك بالمصدر المحذوف فيه الفعل (وعد) مضاف إلى الله عز وجل ثانيا ، ثم أَكّد الوعد بالمصدر (حقا) ، ثم أكد مضمون الجملة كلها بالاستفهام الدال على النفي (ومن أصدق من الله قيلا)، "وفائدة هذه التواكيد المبالغة فيما أخبر به تعالى عباده المؤمنين بخلاف مواعيد الشيطان وأمانيه الكاذبة " [4] .

وثمّة أنواع أخرى من التأكيد غير التكرار، والتأكيد بالمصدر نتحصّل عليها من نصوص الجنة وهي التأكيد بالأدوات النحوية المخصصة للتوكيد .

وقد كثر التوكيد ب (إنّ) بوصفها الأداة الأصلية له ، والهدف العام من وراء هذا التوكيد هو تحقيق المخبر عنه وترسيخه وإزالة الشك عنه ، وقد تكرر ذلك في ثلاثة وعشرين نصا ، جاء معظمها في تأكيد دخول المؤمنين الجنة وفي تقوية أنواع التكريم الذي يتلقونه ، وترسيخ الصفات والأخلاق التي تحلوا بها حتى نالوا الجزاء العظيم ونسرد بعض الآيات التي تدلل على ذلك حيث يقول تعالى :-

{ إن المتقين في جنّات وعيون } الحجر ، ٤٥ .

{ إن المتقين في جنّات ونهر } القمر ، ٥٤ .

{ إن للمتقين مَفازا } النبأ ، ٣١ .

{ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم } لقمان ، ٩ .

{ رَبّنا أتمم لنا نورَنا واغفر لنا إنّك على كل شيء قدير } التحريم ، ٨ .

{ إنّ أَصحاب الجنّة اليومَ في شُغل فاكهون } يس ، ٥٥ .

---

[1] – الانسان ، ١٦ .

[2] – الزمخشري ، ١٩٨/٤ .

[3] – النساء ، ١٢٢ .

[4] – الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٣/ ٣٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهذه النصوص وغيرها جاءت في ثوب من التأكيد (بإن) للدلالة على أن الخير والجزاء والصفات متحققة فعلا لا مراء فيها، ولا شكوك .

ومن سياقات استخدام (إن) المؤكده مجيئها مع ضمير الشأن ،ويوضح عبد القاهر هذا بقوله :" ومن خصائصها أنك ترى لضمير الأمر والشأن معها من الحسن واللطف ما لا تراه إذا هي لم تدخل عليه ، بل تراه لا يصلح حيث يصلح إلا بها "[1] ، ويظهر هذا اللطف في استخدام إن مع ضمير الشأن في قوله تعالى : { جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مأتيا } [2] والهاء في إنه ضمير شأن ، ولو أسقطنا (إن) لجاء النظم على النحو التالي هو كان وعده مأتيا ، وهو من البشاعة في الصياغة ما لا يخفى على أحد ،فلما دخلت (إن) على ضمير الشأن أعطته ذلك الرونق الحسن الذي تحدث عنه عبد القاهر . وزيادة على هذا اللطف فإن ضمير الشأن يستخدم في الأمور العظيمة ،والوعد أمر جدّ عظيم ، وكان بالإمكان صياغة الآية بطريقة أخرى مختلفة كقولنا { إن وعده كان مأتيا } ولو كان ذلك كذلك لفات غرض التشويق بتحقق الوعد القادم حيث أعطى ضمير الشأن فاصلا كلاميا، بين (إن) ، وبين الوعد .

ومثل ذلك قوله تعالى :{ إنا كنا ندعوه من قبل إنه هو البر الرحيم } [3] ، والمعنى أن المؤمنين قد استقر في أذهانهم أن الله تعالى يستجيب الدعاء فتوجهوا إليه (إنا كنا ندعوه) ، فلما رأوا ذلك واقعا في الآخرة ، ازداد الاعتقاد عن طريق ضمير الشأن الذي أكد صفة البر والرحمة لله تعالى ، ولقد أفاد دخول (إن) على ضمير الشأن حسن الصياغة ، ولو أسقطت لأصبح النظم (هو هو البر الرحيم)،وهذا مما لا يستقيم في كلام .

ومن مميزات (إن) في نصوص الجنة أن تأتي لغرض قريب من الغرض السابق ، يقرب منه ولكن لا يماثله . والغرض هذا يتعلق بسياق النظم والتناسب بين النص وسوابقه ولواحقه ، حتى تكون الصياغة على نهج صحيح واحد ، دون الالتفات إلى حال المتلقي المنكر أو المتردد . وفي هذا يقول أحد الباحثين :" وقد يجري الكلام على خلاف الظاهر من حال المخاطب ؛ أي أن المتكلم لا يعتد بهذا الواقع في صياغته ، وإنما يجري على أمور اعتبارية تنزيلية ، يلحظها هو ويعتبرها مقامات يصوغ عبارته

---

[1] – الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ٢٤٤ .

[2] – مريم ، ٦١ .

[3] – الطور ، ٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على مقتضاها وذلك موطن دقيق " [1] ، وهذا ما يلمحه الدارس لقوله تعالى :{ كـــلا إن كتاب الأبرار لفي عليين } [2] ،فقد جاء بناء العبارة القرآنية مؤكـــدا بمؤكديـــن (إن + اللام) حاملا بذلك في مطاويه التأكيد الموجه للمنكرين ، إلا أن نظم الكلام يقتضي هذا البناء التأكيدي ليناسب بذلك الآية السابقة التي تصف كتاب الفجار بالنمط التعبيري نفسه وهـــو قوله تعالى : { كلا إنّ كتابَ الفجارِ لفي سِجّين } [3] ،ويشير أبو السعود إلى ذلك بالقول : " شروع في محاسن أحوالهم إثر بيان كتابهم على طريقة ما مـــر فـــي شـــأن الفجار"[4] . وتبرز قيمة (إن) في إفادة التناسب في النظم بجـــانب التوكيـــد ، عندمـــا ينتهي الكلام فيوصف أحوال الكفار ثم ينتقل لبيان أحوال المؤمنين ،ويتجلى هذا الأمـــر في قوله جل شأنه { إنّ اللهَ يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جّناتٍ تجـــري مـــن تحتها الأنهار إنّ الله يفعل ما يريد }[5] ، والملاحظ أن الآية قد صـــدرت بـــإن لإفـــادة التوكيد أولا وكأن ثمة ترددا في النفوس من حقيقة ذلك الإدخال ، و تحقق (إن) هنـــا فائدة جليلة مع التوكيد وهي التناسب في النظم ، فقد ذكر القرآن في الآيات السابقة مـــآل الكافرين والمتذبذبين ، ويعلق أبو السعود على تفسير هذه الآية بالقول :" استئناف جيء به لبيان كمال حسن مآل المؤمنين العابدين له تعالى ، وأن الله عز وجل يتفضل عليـــهم بمالا غايـــة وراءه . من أجل المنافع وأعظم الخيرات إثر بيان غاية سوء حال الكفـــرة ومآلهم " [6] . وعلى هذا النحو قوله عز وجل { إنّ الإبرارَ يشربون مـــن كأس كـــان مِزاجـــها كافورا } [7] ، ولأسلوب استخدام (إن) هنا غير التوكيد فائدة تتسق ونظم الآية السابقة التي تحدثت عما أعده الله للكافرين حيث جاءت مصدرة (بإن) في قوله تعـالى : { إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا } [8] .

ومن أدوات التوكيد المستخدمة في نصوص الجنة السين ، وتستعمل للتأكيد على حصول فعل وإن تأخر ، ومن ذلك قوله تعالى :{ والذين آمنـــوا وعملـــوا الصالحـــات

---

[1] – أبو موسى ، خصائص التراكيب ، ٥١ .

[2] – المطففين ، ١٨.

[3] – المطففين ، ٧ .

[4] – أبو السعود ،١٢٨/٩ .

[5] – الحج ، ١٤.

[6] – أبو السعود ،٩٨/٦.

[7] – الانسان ، ٥

[8] – الانسان ، ٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار ...} [1] ولما كان دخول المؤمنين الجنة حاصلا في المستقبل - الآخرة- أكده بالسين وهي " حرف توسيع ؛ وذلك أنها نقلت المضارع من الزمن الضيق - وهو الحال - إلى الزمن الواسع وهو الاستقبال " [2] .

ومثل ذلك سواء بسواء قوله تعالى : { إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا } [3] ، حيث نلحظ دخول السين على الفعل المضارع (يجعل) . وهذا التركيب اللغوي أفاد التأكيد للفعل المحبوب الموعود به مستقبلا وهو الود يوم القيامة .

وتفيد الباء الواقعة في خبر (ما) العاملة عمل ليس ،التوكيد بما تحمله من معنى الإلصاق ، وهذا ما توضحه الآية التالية حيث يقول عز وجل : { لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين } [4] ،والمراد أنهم لا يلصق بهم شيء فيكون سببا لخروجهم من الجنة ، "وإذا انتفى المس انتفت الديمومة ، وأكد انتفاء الإخراج بدخول الباء في بمخرجين " [5] .

ويفيد الحرف (من) التأكيد ، وذلك في قوله تعالى : { إنّ هذا لرزقنا ماله من نفاد } [6] ، حيث جاء هذا النص القرآني في ثوب تأكيدي كبير ، والسبب في ذلك راجع إلى أن الرزق- ظاهريا- يفنى ويزول ، ولما كان إخبار القرآن بديمومة الرزق في الجنة كان ذلك مخالفا لاعتقاد الحس الظاهر وسببا في الإنكار ، فجاء التأكيد في موقعه نافيا كل لَبس أو تكذيب عن طريق استخدام (إن + اللام) . أما حرف الجر (من) ، فلا نقول بزيادته ذلك لأنه ليس في القرآن حرف زائد ، وإن جاز ذلك في اللغة ، فهو محال في كتاب الله تعالى ، لاعتقادنا بإن كل حرف قد وجد لأداء وظيفة منوطة به في موضع خاص ، فقد أفادت (من) في النص عموم النفي بمعنى ؛ أن الرزق في الجنة لا ينفد ألبتة ، و لا نحصل على هذا المعنى بحذفها . (ماله نفاد) ،إذ إن هذه الصيغة قد أفادت النفي وحسب ، ولم تنف العموم .

---

[1] - النساء ، ٥٧ .

[2] - ابن هشام ، مغني اللبيب ، ١٣٨/١ .

[3] - مريم ، ٩٦ .

[4] - الحجر ، ٤٨ .

[5] - الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٤٤٥/٥ .

[6] - سورة ص ، ٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقع التأكيد بـــ (قد) التي للتحقيق ، " وحكى الجوهري عن الخليـــل أنـــه لا يؤتى بها في شيء إلا إذا كان السامع متشوقا إلى سماعه " [1] ، وقد جاءت في نـــص واحد هو قوله تعالى : {... ومن يُؤمنْ بالله ويعملْ صالحاً يُدْخلْه جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً قد أحسنَ الله له رِزْقا } [2] ،ويلحظ من هذا النـــص المقتبـس دخول (قد) على الفعل الماضي (أحسن) فأفادت بهذا البناء التعبيري التحقيق لصفـــة الحسن في الرزق ، و" فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المؤمن من الثواب " [3] .

ومن ألوان التوكيد المستخدمة في آيات الجنة القسم ،ومعناه " الإنشاء والالتزام بفعـــل المحلوف عليه ... وفائدته تحقق الجواب عند السامع، وتأكده ليزول عنه التردد فيه " [4] وقد تكرر أسلوب التوكيد في القسم عدة مرات متصلا بنون التوكيد الثقيلة الدالة علـــى التوكيد أيضا ، ومن النصوص التي ورد فيها القسم قوله عز وجل : {... فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقُتلوا لأكفرنّ عنهم سيئاتهم ولأدخلنّهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عندَه حُسْنُ الثّواب }[5]

والملاحظ على بناء جملة القسم أنها جاءت على النحو التالي :

- اللام – واقعة في جواب القسم محذوف تقديره - وعزتي لأكفرن ..
- أكفرن + أدخلن - فعل مضارع متصل بنون التوكيد الثقيلة .

وعلى هذا فالنمط التأكيدي المركب ، يناسب الهجرة والإخراج والإيذاء والقتـــل وهـــذه أمور صعبة على النفس ، وشديدة على قلب المؤمن ، فكان القسم من الله تعالى ، إيناسا لهم وتثبيتا والقسم هنا يومئ بالالتزام بتنفيذ المقسَم عليه ، وهو تكفير الذنوب وإدخـــال المؤمنين الجنة .

ومثله سواء بسواء قوله تعالى : { ... وأقرضتم اللهَ قرْضا حسناً لأُكفرَنّ عنكم ســـيئاتِكم ولأدخلنّكم جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار ...} [6] . غير أن هذا النص يفترق عن النص السابق بأن الضمير هنا هو ضمير المخاطب (عنكم ، سيئاتكم أدخلنكم) زيـــادة فـــي

---

[1] – الزركشي ، ٤٣١/٢ .
[2] – الطلاق ، ١١ .
[3] – الزمخشري ، ١٢٤/٤ .
[4] – الزركشي ، ٣٨٩/٢ .
[5] – آل عمران ، ١٩٥ .
[6] – المائدة ، ١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاهتمام والتوكيد ، في حين جاء الخطاب من النص السابق بضمير الغائب إذ إن النظم في سياق الآيات جاءت بأسلوب الغائب .

ويظهر أسلوب القسم في قوله تعالى أيضا :{ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوأنّهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الأنهار ... } [1] ، فدخول الجنة التي تمثل المبوأ الحسن أمر قسم عليه من قبل الله تعالى ، تأكيدا على تنفيذه .

ولعله يظهر أن أسلوب التوكيد في الجنة أسلوب متنوع الزوايا والمضامين ، منها ما كان لتأكيد الوعد بدخول جنة النعيم ،ومنها ما أفاد حسن الصياغة وقوة النظم ليجتمع الغرضان في بوتقة واحدة تجعل من هذا المعلم الغائب عن عيوننا يقينا في القلب وتصديقا في النفس .

[1] – العنكبوت ، ٥٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التكرار

يجب أن نقرّ – ابتداءً – أنّ أوصاف النعيم تأتي في الآيات المكية مفصلة ؛ ويرجع السبب في ذلك إلى أنّ القرآن المكي يعالج قضايا الغيب ومسائل الإيمان والعقيدة ، وهذا بالضرورة يحتاج إلى الشرح والتفسير غير مرة ؛ لكي تتمكّن منه قلوب المؤمنين تصديقاً ويقيناً ، وبخاصة في الفترة الحرجة من الدعوة الإسلامية الأولى .

في حين جاء القرآن المدني ليبحث التشريعات ، ويقر الأحكام والحدود المتعلقة بأمور الإسلام ، بعد أن ثبتت في نفوس المؤمنين عقائد الغيب المتمثلة في اليوم الآخر وما فيه من حساب وعقاب وجزاء، ومن ثمّ فلا حاجة للنشر والتفصيل في تلك المسائل فيكون الطيّ في هذا المقام أنسب ، ولتبيان الأحكام أقرب .

والتكرار – الذي هو موضوع دراستنا – قد بحث مطولاً في كتب الإعجاز والبلاغة [1]، وتباينت فيه الآراء بين الإنكار والإثبات . وفي اعتقادي أنّه يجب ألا نخشى قضية التكرار ؛ لأننا نؤمن بأن التكرار لا يشكل عيباً ، ولا يعد مأخذاً ، بل هو ظاهرة طبيعية .

وكما أنّ الإيجاز في القرآن يعدّ في مواضعه المخصوصة من أسس الإعجاز ، كذلك فإنّ " التكرير الذي هو أبلغ من الإعجاز وأشدّ موقعاً من الاختصار "[2] يعد في مواضعه الخاصة به نوعاً من الإعجاز أيضاً .

ونحن إذ نبحث قضية التكرار في آيات الجنة بخاصة يجب أن نقرر أنه ليس في القرآن شيء من التطويل الذي هو في البلاغة عَيّ " مستغنى عنه ، غير مستفاد به زيادة معنى لم يستفيدوه بالكلام الأول "[3]، بل يرمي القرآن من وراء التكرار في صفة الجنة إلى أمور تشكل في مجموعها رسالة صغيرة يمكن أن تبحث تحت عنوان : مقاصد التكرار في صفة الجنة .

ومن هذه المقاصد – ولعلها الأهم هنا – التأكيد على الجزاء العظيم للمؤمنين ، وما يحظون به من المنزلة الرفيعة والتكريم الأسمى ، في المقام مقام تكريم مدح وتعظيم ، فيحسن الإطناب والنشر .

١- ينظر على سبيل المثال ابن أبي الإصبع ، بديع القرآن ، ص١٥١ ، والخطابي ، ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ، ص٥٢ ، ابن الأثير ، المثل الصائر ، ٣/٣

٢- ابن الأثير ، ضياء الدين ، المثل السائر ،٣/٢٨.

٣- الخطابي ، أبو سليمان حمد بن محمد ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ٥٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن دواعي التكرار أيضا " أن إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة لا يخفي ما فيه من الفصاحة "[1]، ويتمّ ذلك من خلال الزيادة في موضع ، والإيجاز في موضع آخر ، ومن حيث التقديم في مقام ، والتأخير في موضع ثانٍ ، ومن خلال الحذف في سياق ، والإطناب في سياق آخر .

ومقصد ثالث هو " أن القرآن خطاب للناس كلهم ، ذلك أن في الناس من لا يكفيه الوجيز من القول ، والخلاصة من الحديث حتى ينصت إلى الأمر مفصلاً "[2]، وهذا الأخير وإن كان عاماً في أغراض القرآن ، فإنّه يظهر في الحديث عن الجنة بشكل صارخ ، ذلك أنّ النفس بفطرتها تهوى النعيم ووصفه ، وتعشق أن تسمعه غير مرة ، وبأثواب متعددة .

هذه هي أهم دواعي التكرار بخصوص الحديث عن صفة الجنة ، وقد تحدثنا عن بعض أنماط التكرار في باب التشكيل الصوتي من زوايا معينة .

غير أنّ صد فلتأت تماء تفيظو قيقحتل نآرقلا يف تنجلا دهاشم راركتّوصها جميعاً ، لا يعني أن تكون بعض المشاهد نسخة طبق الأصل عن بعضها الآخر ، ومن ثم تأتي الاختلافات في تلك النصوص مبنيّة على أساس الوظيفة المتوخاة منها ، ومن حيث المقصود الذي ينطلق من الجوّ العام للسورة جميعها .

وينفي عالم معاصر وجود التماثل في مشاهد الجنة ويفرق بين مفهومي التماثل والتشابه بقوله : " لا يوجد نصّان متماثلان في القرآن كله ، إنما يوجد تشابه فقط دون تماثل ، إنه مثل ثمار الجنة : { لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رُزقنا من قبل وأُتوا به مُتشابهاً }، فهم حين يتناولون الثمرة لأول وهلة يقولون : (هذا الذي رزقنا من قبل)، فإذا تذوّقوه عرفوا أنه مختلف عنه ، يشبهه ولكنه لا يماثله ، ومن ثم يعيشون في مذاقات متجددة على الدوام "[3] ، وهذا هو شأن التكرار في مشاهد الجنة .

وعلى الرغم من أنّ سيد قطب – رحمه الله – يقر بوجود الصور المتكررة في آيات الجنة غير أنّه يقول : " والعجيب حقاً أنّ تعدّد هذه المشاهد – وأساسها واحد –

١- الزركشي ، ٣ /٣٠.

٢- قنيبي ، حامد ، المشاهد في القرآن الكريم ، ٢٩٨.

٣- قطب ، محمد ، دراسات قرآنية ، ٢٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم ينشئ نوعاً من التكرار "[1]، وأحسب سيّداً يقصد هنا التكرار المذموم ، والتماثل الذي تحدث عنه محمد قطب آنفاً ، وأدقّ من ذلك القول : إنّ تكرار هذه المشاهد – ومضمونها واحد – لم ينشئ نوعاً من الملل الذي تعافه النفس وتمجه الآذان ويستعصي على رقائق القلوب .

والتكرار في آيات الجنة أقسام عدة : فمنه تكرار كلمة ، ومنه تكرار عبارة بعينها ومنه تكرار صورة .

فمن الأول الذي هو تكرار كلمة : تكرار كلمة (أنهار) في قوله تعالى : { مثلُ الجنة التي وُعد المتقون فيها أنهارٌ من ماءٍ غيرِ آسنٍ وأنهارٌ من لبنٍ لم يتغيّر طعمُه وأنهارٌ من خمرٍ لذةٍ للشاربين وأنهارٌ من عسلٍ مُصفّى }[2]. فقد كرر ذكر لفظ (الأنهار) " وكان يكفي أن يقال : فيها أنهار من ماء ومن لبن ومن خمر ومن عسل ، لكن لما كانت الأنهار من الماء حقيقة وفيما عدا الماء مجازاً للتشبيه ؛ فلو اقتصر على ذكرها مع الماء وعطف الباقي عليه لجمع بين الحقيقة والمجاز "[3] .

ومنه أيضاً : تكرار لفظ (جنتان) في قوله تعالى:{ولِمَن خاف مقام ربِّه جنّتان }[4]، وقوله تعالى : { ومن دونهما جنتان }[5]، وللمفسّرين القول في هذا المجال : فتفصيل الجنتين في الآية الأولى : " أن يقال جنّة يثاب بها ، وأخرى تضمّ إليها على وجه التفضل "[6]، وتفصيل الجنتين في الآية الثانية ، أي : " ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للمقربين جنتان لمن دونهم من أصحاب اليمين "[7].

ومن النوع الثاني الذي هو تكرير عبارة بعينها : تكرير قوله تعالى : (تجري من تحتها الأنهار) ، حيث ورد ذكرها في القرآن ما يربو على سبع وثلاثين مرة ، وقد جاء ذكرها في معرض الحديث عن جنة الدنيا كقوله تعالى : { أيودّ أحدُكم أن تكونَ له

١- قطب ، سيد ، مشاهد القيامة ، ١٠.

٢- محمد ، ١٥.

٣- الزركشي ،٣ /٣٦.

٤- الرحمن ، ٤٦.

٥- الرحمن ، ٦٢.

٦- الزمخشري ،٤ /٤٩.

٧- نفسه ، ٤ /٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جنةٌ من نخيلٍ وأعناب تجري من تحتها الأنهار }[1]، وفي معرض الحديث عن جنة الآخرة أيضاً ، وهو الأشيع .

ولعلّ وراء هذا التكرار من الفائدة ما وراءه ، ذلك أنّ هناك مسميات كثيرة في حياتنا إذا ما ذكرناها تبادر للذهن أسماؤها الملاصقة لها وصفاتها التي لا تنفك تلازمها ملازمة السبب للنتيجة ، ومن ذلك ملازمة ذكر الأنهار للجنة ، " ولما كانت الجنة لا تشوق ، والروض لا يروق إلا بالماء الذي يقوم لها مقام الأرواح للأشباح ، ما كاد مجيء ذكرها إلا مشفوعاً بذكر الأنهار ، مقدماً هذا الوصف فيها على سائر الأوصاف[2].

ولعل في تقديم القرآن لوصف الجنة بالأنهار عدا الجانب الجمالي جانباً أخلاقياً يتمثل في ذهاب الأحقاد ونسيانها ، فإنّ الإنسان تتروح نفسه ، ويذهب غضبه بالنظر إلى المناظر الجذابة ، ويعتقد المرء أنه ليس أجمل من مكان عالٍ ترفده أنهار دائمة الجريان ، وبخاصة إذا كان هذا المنظر تتحقق له صفة الخلود . وهذا الحقد يزول عندما يتلو القارئ هذه الآيات ، وليس المقصود في الجنة ، إذ لا أحقاد فيها .

والأمثلة على تكرار العبارات كثيرة : نورد بعضها على سبيل التمثيل لا الحصر كتكرار قوله تعالى في سورة الرحمن : (فبأي آلاء ربكما تكذبان) في مجال تعداد النعم التي يحظى بها المؤمنون في الجنة ، " فإنها – وإن تعدّدت – فكل واحدٍ منها متعلّق بما قَبله ، فكلّما ذكر فصلاً من فصول النعم طلب إقرارهم ، واقتضاهم الشكر عليه ، وهي أنواع مختلفة وصور شتى "[3].

وللكرماني رأي ثانٍ يدور حول عدد تكرار الآية السابقة ، حيث كررها ثماني مرات " على عدد أبواب الجنة ، وثمانية أخرى بعدها للجنتين اللتين دونهما "[4].

ومن أمثلة ذلك أيضاً: تكرار قوله تعالى في مجال التعقيب على جزاء أهل الجنة : (وذلك الفوز العظيم) في سورة النساء بإثبات الواو ، وحذف الواو في سورة التوبة (ذلك الفوز العظيم) .

وسبب حذف الواو في الآية الثانية هو وجود ما يعود على الجملة التي تسبقها ،

١- البقرة ، ٢٦٦.

٢- الأندلسي ،تفسير البحر المحيط ،٢٥٦/١.

٣- الزركشي ، ٢٢،٢١/٣. وينظر المثل السائر ، ٣ / ٢٠.

٤- الكرماني ، محمود بن حمزة ، أسرار التكرار في القرآن ، ١٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو اسم الإشارة (ذلك) ، فإنّ اسم الإشارة يعود على جملة (يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار) ، فحَسُن الحذف اكتفاءً بالعائد . أما الآية الأولى فلذكر الواو وجهان مضافاً إليهما السبب السابق : أحدهما : موافقتها لما قبلها وهي جملة مبدوءة بالواو (ومن يطع لله والرسول) ، والثاني : موافقتها لما بعدها وهو قوله تعالى : (وله عذاب مهين)"[1].

أمّا تكرار الصّورة فيتجلى فيه الإعجاز القرآني حقاً ، وسنستعرض هذين المشهدين اللذين يظنّ من القراءة الأولى أنّهما متماثلان ، وسنرسم جدولاً يضم المشهدين – إن جاز لنا ذلك – تحقيقاً للمقارنة وحسب ، والمشهدان من سورة الرحمن

المشهد الأول	المشهد الثاني
• ولمن خاف مقام ربه جنتان . • ذواتا أفنان . • فيهما عينان تجريان . • فيهما من كل فاكهة زوجان . • متكئين على فرش بطائنها من إستبرق وجنى الجنتين دان . • فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولا جانّ ، كأنهنّ الياقوت والمَرجان .	• ومن دونهما جنتان . • مُدهامّتان . • فيهما عينان نضّاختان . • فيهما فاكهة ونخل ورمّان . • متكئين على رَفرف خُضرٍ وعبقريٍّ حِسان . • فيهن خيّرات حسان ، حور مقصورات في الخيام ، لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان[2].

يُبيّن الرسم صفات كل من المشهدين ، بحيث لا يترك مجالاً للشّك بوجود أي تماثل أو تكرار مذموم ، سواءٌ أكان ذلك في الكل أم الجزء ، ويلحظ الدارس لأول وهلة أنّ نعيم الجنتين في المشهد الأول أكثر حضرية ، في حين يتبدّى النعيم البدوي في المشهد الثاني " وتلقي الخيام ظل البداوة "[3]، – ويأتي لفظ (عبقريّ) ليعزّز تلك الصفة ، وعَبْقَر – كما هو معروف – وادٍ تنسب العرب إليه كل شيء عجيب ، وتأتي بعد ذلك الموازنة في الجزئيات ؛ ليكتشف من خلالها الدارس التميّز الواضح في المشهدين من حيث التفصيل في جزئيات النعيم الحسي .

١– ينظر الكرماني ، ٥٤ ، بإيجاز وتصرف.

٢– قرئت (خيرات) بتشديد الياء ، وهذه قراءة بكر بن حبيب وأبي عثمان النهدي وابن مقسم . ينظر الأندلسي، تفسير البحر المحيط ، ٨ / ١٩٧.

٣– قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ، ٦ / ٣٤٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حيث التفصيل في جزئيات النعيم الحسي .

ويستطيع الدّارس أن يقيم موازنة بين جزئية واحدة تشترك فيها معظم المشاهد ، كصورة كأس الشراب مثلاً ، فإنها تتكرر في معظم المشاهد بصيغ مختلفة ، ويمكن لنا أن نسرد الآيات لنتبيّن سمات هذه الصورة . قال تعالى :

{ يطاف عليهم بكأسٍ من معين*بيضاء لذة للشاربين*لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون }. الصافات ، ٤٥-٤٧.

{ يتنازعون فيها كأساً لا لَغوٌ فيها ولا تأثيم }. الطور ، ٢٣ .
{ وكأس من معين *لا يُصدّعون ولا ينزفون }. الواقعة ١٨- ١٩ .
{ إنّ الأبرار يشربون من كأسٍ كان مزاجُها كافوراً }. الإنسان ، ٥ .
{ ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً }. الإنسان ، ١٧ .
{ وكأساً دهاقاً }. النبأ ، ٣٤ .

فصورة الكأس تنتظم هذه الآيات جميعاً ، غير أنّها تتزيا في كل آية بثوب وصفي جديد ، وبألفاظ متعددة، ونظم متجدد .

وبوسع الدارس أن يتبين الفرق في صورة اللباس ، أو صورة النساء ، وغيرها من الصور ، ليكتشف من ثمّ فوائد التكرار ومقاصده ، ولا يتمّ ذلك إلا بإمعان النظر في المشاهد كلها ، فالقراءة الأولى لا تكشف سرّ التكرار ، بل لا بدّ من قراءة واعية توضّح " وجه الخلاف والفروق بين هذه المعاني ، ويدرك ما تكرّر منها للتوكيد ، وما تكرر منها للتكميل ، وما تكرر للإجمال ، وما تكرر للتفصيل ، وأثر العلّة والمقام في كل موضع منها "[1].

وبعد . . فإنّ التكرار وسيلة تعبيرية تنضاف إلى الوسائل السابقة ، لتشكل في مجموعها منهجاً فنياً متميّزاً ، هذا المنهج استعمله القرآن الكريم للتعبير عن مشاهد الجنة .

١- الظواهري ، ٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويفهم من هذا القول أن الوصل بالواو يقتضي التشريك بين المتعاطفات ، ولا يكون هذا التشريك والجمع إلا إذا كان المتعاطفان " كالنظيرين والشريكين ، وبحيث إذا عرف السامع حال الأول عناه أن يعرف حال الثاني " [1] .

ومن سياقات الوصل في نصوص الجنة التي تقتضي الشركة والجمع قوله تعالى :{ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا } [2] ، فقد جمعت الواو بين الإيمان والعمل الصالح ؛ إذ الإيمان قول يقتضي فعلا ، وظاهر ما بين الإيمان والعمل الصالح من تناظر ، فناسب ذلك الوصل بالواو .

ومن جمال الوصل بالواو ما يظهر في قوله تعالى في وصف مناخ الجنة { متكئين فيها على الآرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريرا } [3] ، والملاحظ أن القرآن عطف جملة (لا يرون فيها شمسا) على جملة (ولا زمهريرا) ، وفي هذا الوصل من التناسب المعنوي ما يجعل ذهن المتلقي يلتفت إلى الاثنين معا ، فإذا كان المؤمنون لا يرون في الجنة شمسا باعتبارها العنصر الذي يجلب الحر ، فإنهم كذلك لا يرون فيها القمر الذي يسبّب البرد ؛ لأن طبيعته باردة ، ولما كان المتعاطفان كالنظيرين في الحكم، صحّ الجمع بينهما بالواو .

ويتأمل المرء جمال الوصل بالواو في قوله عز وجل :{ أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ... } [4] ، فالواو في هذا النص وصلت الجملتين لما بينهما من الصفة الجامعة ؛ فالمغفرة مقدمة لدخول الجنة وسبب له .

ومن سياقات العطف بالواو التي تنطوي على دقائق بلاغية قوله تعالى :{ أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق ... } [5] ، والمراد في الآية بيان نعيم أهل الجنة ، حيث ذكر النص منها التحلية بالأساور ، ثم أردف بذكر أنواع اللباس الحريري الرقيق والسميك ، ولما أراد الجمع بينهما جاء بالواو التي أدّت دورها في الوصل ، وأفادت التشريك بين مظهري النعيم .

---

[1] – الجرجاني ،دلائل الإعجاز ، ١٧٣.

[2] – الكهف ، ١٠٧ .

[3] – الانسان ، ١٣ .

[4] – آل عمران ، ١٣٦ .

[5] – الكهف ، ٣١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويستخدم القرآن الواو للجمع بين أصناف النعيم لبيان أثره في النفس ، ويظهر ذلك في قوله تعالى:{... وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون } [1] فقد وصلت الواو بين فعلي الاشتهاء في النفس ، والالتذاذ في العين بالإضافة إلى صفة الخلود ؛ لما بين الجمل من تشارك وتضامّ ، فقد يشتهي المرء في نفسه شيئا ، غير أنه لا يستطيع تحقيقه ، وقد يجتمعان ، ولكنهما سرعان ما يفترسهما الزوال ، أما في الجنة فإن ما تشتهيه النفس حاضر للعيان ، ومقدور عليه وقد تحقق ذلك في إرساء معنى الخلود في الجنة ، و جاء هذا المحتوى عن طريق الواو الواصلة بين المتعاطفات .

ومن سياقات الوصل بالواو أيضا قوله تعالى :{ متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب * وعندهم قاصرات الطرف أتراب} [2] ، والملاحظ أن القرآن جمع بين ثلاثة من أصناف النعيم : الطعام ، والشراب ، والنساء ، وتشترك هذه الأصناف مع بعضها في الصفة المادية الجسدية، وتتناسب في الأثر النفسي لها ، وهذا المعنى قد نهضت به الواو ، فأفادت الوصل والجمع .

وممّا هو من هذا الباب قوله عز اسمه :{ وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ، في سدر مخضود * وطلح منضود * وظل ممدود * وماء مسكوب * وفاكهة كثيرة * لا مقطوعة ولا ممنوعة * وفرش مرفوعة } [3] .

فقد ربطت الواو بين أجزاء الكلام ، وفي هذا الربط جمْع بين النعم كلها ، فتساؤل القرآن عن أصحاب اليمين – تعظيما لشأنهم – يتولّد عنه ذكر حالهم في الجنة ، وبيان أنواع الخير الذي يُكرّمون به ، من الشجر المثمر الذي لا شوك فيه ، والموز المنضد ، والظل الوارف على أهل المكان ، والماء المنسكب ، والفاكهة الكثيرة ، والفرش العالية في موضعها ومنزلتها ، ولم تك هذه الأصناف لتُجمع لولا وجود الواو الواصلة ، ونحن نرى ما بين هذه المتعاطفات من مظاهر التشارك ، ما جعل الواو تستقر في مكانها ، ومن هنا يظهر أثر الواو في رسم المعنى العام للمشهد ، وإعطائه الملامح الكلية كما يقول أحد الباحثين من " أن البناء الداخلي لصيغة العطف ينتج معنى كليا عاما هو الذي ندركه لأول وهلة ، ولا جدوى من اعتبار مفردات العطف

---

[1] – الزخرف ، ٧١ .

[2] – سورة ص ، ٥١، ٥٢ .

[3] – الواقعة ، ٢٧– ٣٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

منفصلة بعضها عن بعض " [1] ، ويظهر هذا المعنى الكلي للمشهد في قوله عز وجل : { فيها عين جارية * فيها سرر مرفوعة * وأكواب موضوعة * ونمارق مصفوفة* وزرابي مبثوثة } [2] ، فقد نهضت الواو الواصلة بمهمة الجمع بين جزئيات المشهد ، وهذا الجمع يوحي بالتكاملية ، و يتأمل المرء تلك العيون الجارية خارج المنزل ، ثم يأتي الجمع بين محتويات المنزل فهناك السرر المرفوعة التي ينظر من خلالها المؤمنون إلى منظر الماء الجاري من علٍ ، فإذا ما أرادوا الشرب فإن الأكواب معدّة لذلك الغرض ، وبعد الشرب يستريح الإنسان على الفرش والوسائد ، ويرسم هذا النسق التعاطفي هندسة المكان بكل أبعاده وزواياه الفنية عن طريق الوصل .

ومن حسن الوصل بالواو ما يتجلى في قوله عز شأنه:{ ولقّاهم نضرة وسرورا }[3] والملاحظ أن القرآن جمع بين صفتي النضارة والسرور لما يتناظران به في المعاني ، فالنضارة تظهر على الوجوه ، في حين أن السرور يستكنّ في القلوب ،ولأجل ذلك شرّك القرآن بينهما ليظهر تناسبهما النفسي .

وقد يلجأ القرآن في نصوص الجنة إلى الوصل بالواو لا لإفادة الجمع ، وإنما لإبراز الاهتمام بالمعطوف عليه ، والاعتناء بشأنه ، ومن ذلك قوله تعالى : { وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا } [4] ، فقد عطف النص الحرير على الجنة مع أنه داخل فيها، وصنف من أصناف نعيمها ، وهذا من باب عطف الخاص على العام لبيان عظمة شأنه وقريب من ذلك قوله تعالى : { إن للمتقين مفازا * حدائق وأعنابا } [5] ، فعطف الأعناب على الحدائق مع أن الأعناب جزء من الحدائق ،" والحدائق : البساتين فيها أنواع الشجر المثمر ،والأعناب: والكروم " [6] .وغرض ذلك هو الاهتمام والتعظيم لشأن هذه الأعناب ، وإبراز خصوصيتها من بين الأصناف الأخرى .

وقريب من ذلك أيضا قوله عز وجل : { فيهما فاكهة ونخل ورمان } [7] والنخل والرمان نوعان من أنواع الفاكهة ، وفي هذا الشأن يقول صاحب الكشاف:" فإن

---

[1] – الشرقاوي ، عفت ، بلاغة العطف في القران الكريم – دراسة أسلوبية – ١٤١ .

[2] – الغاشية ، ١٢-١٦ .

[3] – الانسان ، ١١ .

[4] – الانسان ، ١٢ .

[5] – النبأ ، ٣١، ٣٤ .

[6] –الزمخشري ، ٤/٢١٠ .

[7] – الرحمن ، ٦٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قلت : لم عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما منهما ؟ قلت اختصاصا لهما ، وبيانا لفضلهما كأنهما لما لهما من المزية جنسان آخران " [1] .

وليس الوصل بالواو وحده ما يحقق البلاغة ، فإن حروف العطف الأخرى تسهم أيضا في ذلك ونلحظ بلاغة العطف بالفاء في قوله تعالى : { إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا * فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقّاهم نضرة وسرورا }[2] ، والآية تبين العمل والجزاء ؛ العمل الذي تمثل في الخوف من اليوم الآخر وأهواله وعثراته ، فكان الاستعداد له من قبل المؤمنين ، والجزاء المتمثل في وقاية الله لهم مخازي ذلك اليوم ، وإدخالهم الجنة دار السرور ، والملاحظ أن الجزاء قد عطف على العمل بحرف الفاء الذي يفيد الترتيب والتعقيب؛ بمعنى أن ثواب الله تعالى ،ومكافأته للمؤمنين كانت سريعة دون تلبّث في الوقت ، وهذا من باب قوله تعالى : { وإذا سألك عبادي عني فإني قريب } [3] .

ومن بلاغة العطف بـ (ثم) ما يتجلى في قوله تعالى : { إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون*أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها ...} [4]

وظاهر العطف هنا بثمّ ، فقد عطف القرآن جملة (قالوا ربنا الله) على جملة (استقاموا) باستخدام العاطف(ثم) الذي يفيد الترتيب والتراخي ،وهذا يدل على أنّ مضمون القول بالربوبية يقتضي الاستقامة بكل معانيها في القلب والجوارح والتفكير، ولكن هذا لا يتأتى للمرء توّا ، بل لا بد له من زمن يُترجم فيه القول إلى ثبات وعمل ممزوجين بالاستمراريه، وهذا الفاصل الزمني هو ما أفاده العطف هنا

ولعلنا فيما سبق من أمثلة قد بينا جمال الوصل في نصوص الجنة .

ب - جمال الفصل : رأينا فيما سبق كيف تجلت بلاغة الوصل في نصوص الجنة، ولعلنا نكشف هنا عن جمال الفصل بين الجمل ، وعن كيفية رصف الجمل وتعانقها دون الحاجة إلى حرف يتوسطها ، ويشركها .

وقد نص البلاغيون على مواضع الفصل بين الجمل ، ومن تلك المواضع : أن تكون الجملة الثانية مبدلة من الأولى ، ويؤتى بها - الثانية - عندما يكون " الكلام السابق غير

---

[1] - الزمخشري ، ٤/ ٥٠ .

[2] - الانسان ، ١٠ ، ١١ .

[3] - البقرة ، ١٦٨ .

[4] - الاحقاف ، ١٣- ١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واف بتمام المراد وإيراده ، أو كغير الوافي ، والمقام مقام اعتناء بشأنه إما لكونه مطلوبا في نفسه ، أو لكونه غريبا ،أو فظيعا، أو عجيبا، أو لطيفا ... فيعيده المتكلم بنظم أوفى منه "[1] . وهو ما يسمى كمال الاتصال .

ومما هذا شأنه ، أعني ؛ أن تكون العلاقة بين الجملتين علاقة بدلية بحيث تصبحان كالشيء الواحد لا يحتاج إلى الوصل قوله تعالى: { هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب * جنّاتِ عدنٍ مفتّحة لهم الأبواب } [2] ، والملاحظ على الجملة الأولى (حسن مآب) أنها غامضة غير وافية بمراد هذا المآب ، ولما كان المراد بيان المآب الحسن للمتقين ، جاءت الثانية (جنات عدن) لتؤدي المراد ، وتوضح ماهية المآب الحسن ، وعلى هذا فالبدل والمبدل منه يعّدان بمثابة الشيء الواحد ، ففصل بينهما ، ولو عطفت الجملتان فقال: (لحسن مآب وجنات عدن) لتوهم أن المآب الحسن شيء غير الجنات .

وشبيه بذلك قول الله عز وجل : { إن المتقين في مَقامٍ أمينٍ * في جنّاتٍ وعيون }[3] ،والظاهر أن الآيتين فصلتا عن بعضهما ، ولهذا الفصل سببه ؛ فالمراد من الآية إظهار طبيعة المقام الأمين ، وتحديد بيانه للسامع ، وذلك الأمر لا يتأتى إلا بالإتيان بـ (جنات وعيون) ، حيث أوفت بالمراد ، وأوضحت أن المقام الأمين هو الجنة ، ولما كانت الجملتان كالشيء ذاته فصل بينهما ، والعطف لا يؤدي هذا المعنى إذ لو قال (في مقام أمين وفي جنات وعيون) لظُن ان المقام الأمين ليس الجنة ، بل هو شيء ثانٍ له مميزاته الخاصة به .

ويبدو الفصل واضحا في قوله تعالى : { أولئك لهم رزقٌ معلوم * فواكهُ وهم مُكرَمون } [4] ،والمقصود من الآية إفهام السامع ماهية الرزق، والرزق المعلوم في الآية عام لا تُعرف طبيعته ، ولما كان المراد الاهتمام والاعتناء بشأن هذا الرزق جيء بالبدل (فواكه) ليرفع الإبهام ، ويوفي بالمقصود ، وإذاً فالرزق والفواكه في هذا النص شيء واحد ، فحق لذلك الفصل .

ويتأمل الدارس جمال الفصل في قوله تعالى :{ إن للمتقينَ مفازا * حدائقَ وأَعنابا } [5] ولعل النص يهدف إلى الوفاء بطبيعة مكان الفوز وسماته اعتناء بشأنه

---

[1] – السكاكي ، مفتاح العلوم ، ١٢٢ .

[2] – سورة ص ، ٤٩، ٥٠ .

[3] – الدخان ، ٥١، ٥٢.

[4] – الصافات ، ٤١، ٤٢ .

[5] – النبأ ، ٣١، ٣٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العجيب ، ولما كانت (مفازا) لا تحقق هذا الهدف ، وكان لا بد من الإيفاء بالمراد تراءت (حدائق) لتحقق المقصود ، فالفوز في الآية إنما يكون بالمكان المتمثل في الحدائق استعجابا منه واعتناءً بشأنه ، وإذا ما كان المفاز هو الحدائق ، فلا حاجة للعطف ؛ لأنهما بمنزلة الشيء ذاته .

وما قيل في الأمثلة السابقة يقال في قوله تعالى : { ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين* جناتُ عدنٍ يَدْخلونها تجري من تحتها الأنهار ...} [1] ، والمراد في الآيتين بيان أن الجنات هي ذاتها دار المتقين ، وفي هذا الإيضاح من اللطف ما يحقق الأنس للنفس ، وإذا كان الشيئان ليسا سوى شيء واحد ، فليس للنظم القرآني حاجة في توسط العاطف بينها .

وعلى نحو ما سبق قوله تعالى :{ يسقون من رحيق مختوم * ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون } [2]، وقوله تعالى : { إن المتقين في جنّات ونَهَر * في مَقعدِ صدْق عند مليكٍ مُقتدر } [3] .

ويمكن أن نعد البدل المطابق في الأمثلة السابقة نوعا من عطف البيان الذي " يوضح متبوعه أو يخصصه " [4] ،وبهذا يكون البدل موضحا ومخصصا للمعنى المراد في الجملة الأولى .

ومن المواضع التي يتم الفصل فيها بين الجملتين إذا كان بينهما كمال الانقطاع ، ويشير إلى ذلك السكاكي بقوله :" وأما الحالة المقتضية لكمال الانقطاع ما بين الجملتين فهي أن تختلفا خبرا وطلبا " [5] ، وهذا الاختلاف ظاهر في قوله تعالى : { ادخلوا الجنّةَ أنتم وأَزواجُكم تُحْبرون * يُطاف عليهم بصحافٍ من ذهبٍ وأَكْواب ...} [6] .

والملاحظ أن الجملة الأولى (ادخلوا) طلبية تتضمن أمرا ، والأخرى (يطاف) خبرية ولما كانت الجملتان مختلفتين إنشاء وخبرا فصل بينهما ، وليس من حقهما العطف هنا، إذ لو فعل ذلك لفسد النظم ، واحتار القارئ في ايجاد المعطوف الذي لن يجده أبدا .

---

[1] – النحل ، ٣٠، ٣١ .

[2] – المطففين ، ٢٥، ٢٦ .

[3] – القمر ، ٥٤، ٥٥ .

[4] – ابن هشام ، شذور الذهب ، ٥٦٠ .

[5] – السكاكي ، ١٢٢.

[6] – الزخرف ، ٧٠، ٧١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعلى نحو قريب مما سبق قوله تعالى :{ ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود * لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد } [1] ، ولا يخفى ما في هذا النص من افتراق يستحيل معه الوصل ؛ فإن الجملة الأولى (ادخلوها) طلبية ، في حين جاءت الجملة الثانية (لهم ما يشاؤون) في ثوب إخباري ظاهر ، ولأجل هذا التباعد في الانشاء والخبر كان الفصل أوجب.

وما قيل في المثال السابق يقال في هذا المثال حيث يقول تعالى : { فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذا ب الجحيم * كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون } [2]، والملاحظ أن ثمة تباينا بين الجملتين ، فالأولى إخبارية (فاكهين ...) تخبر عن حال المؤمن في الجنة بما فيها من تفكه وسرور ، والثانية (طلبية) حيث جاءت في صيغة الأمر الدال على الإكرام ، وعلى هذا فبين الجملتين كمال الانقطاع .

ومن المقامات التي أقر البلغاء فيها الفصل أن يكون بين الجملتين شبه كمال الاتصال وهو " أن تكون الجملة الثانية جوابا لسؤال نشأ عن الجملة الأولى ، ففصل الثانية عنها كما يفصل الجواب عن السؤال ، ويسمى الفصل لذلك استئنافا "[3] ، ومن لطيف ذلك قوله عز و جل : { إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا *عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا * يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا } [4] ، والفصل بين الآيات ظاهر ، فقط فصل الأولى (إن الأبرار ...) عن الآية الثانية التي تبدأ بكلمة (عينا) ، لأن الثانية مبدلة من كلمة (كافورا) في الآية الأولى ، غير أن الشاهد في النص ، هو الفصل بين الجملة الثالثة (يوفون) والملاحظ أن الآيات قدمت ذكر الجزاء الحسن في القيامة على الأعمال التي توجبه ، ففصل بينها ، وتعلّة هذا الفصل يكمن في أن آيات الجزاء تشف عن سؤال يعترض القارئ فتكون جملة (يوفون...) وما بعدها " جواب ،مَن عسى من يقول : ما لهم يرزقون ذلك ؟" [5] ويحقق هذا النمط تنبيها للسامع لهذا العمل ،كما أن فيه من الإيجاز ما يغني عن السؤال .

---

[1] – سورة ق ، ٣٤، ٣٥ .

[2] – الطور ، ١٨، ١٩ .

[3] – محيسن ، محمد سالم ، الكشف عن أحكام الوقف والوصل في العربية ، ٢٠٣ .

[4] – الانسان ، ٥ – ٧ .

[5] – الزمخشري ، ١٩٦/٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومنه قوله تعالى : { إلا أصحاب اليمين *في جنات يتساءلون } [1] ، ويظهر الفصل في الآية فلم يقل (وفي جنات) . ويشير الألوسي إلى غرض الفصل فيقول : " والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله من استثناء أصحاب اليمين كأن قيل ما بالهم؟ فقيل : هم في جنات " [2] .

ومما يتصل بمبحث الفصل - ما يكون من الفصل بين الصفات إذ كانت لموصوف واحد ، وبهذا الشأن يقول صاحب الطراز : " ... فأما الصفات ، فالأكثر أنه لا يعطف بعضها على بعض كقولك : " مررت بزيد الكريم العاقل الفاضل ... وإنما قلّ العطف فيها؛ لأن الصفة جارية مجرى الموصوف،ولهذا فإنه يمتنع عطفها على موصوفها " [3]

ومن جمال الفصل بين الصفات ما ورد في قوله تعالى : { يطاف عليهم بكأس من معين * بيضاء لذة للشاربين * لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون } [4] ، فقد عدد القرآن صفات كأس الشراب ؛ فهي كأس بيضاء لذيذة ، لا تسبب صداعا ، ولا تغتال عقلا ، وقد نُسّقت هذه الصفات بغير حرف نسق يجمع بينها ؛ لأنها صفات لموصوف واحد .

وشبيه بذلك قوله تعالى في وصف حور الجنة : { فيهن خيّرات حسان *... حور مقصورات في الخيام *... لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان } [5]، ويظهر الفصل بين صفات الحور (خيّرات ، حسان ، حور ، مقصورات ، لم يطمثهن) وفي هذا التوالي تعظيم ومدح لهن .

ومن المواضع التي يفصل فيها بين الجمل جملة الحال ؛ " نظرا إلى أن حكم الحال مع ذي الحال أبدا نظير حكم الخبر مع المخبر عنه " [6] ، وما يهمنا هنا مجيء الحال دون الواو ، وقد ذكر عبد القاهر الحالات التي تأتي فيها عارية من الواو [7] .

ومما هذا شأنه قوله عز اسمه : { إن المتقين في مقام أمين * في جنات وعيون *يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين *... يدعون فيها بكل فاكهة آمنين * لا يذوقون

---

[1] - المدثر ، ٣٩، ٤٠ .

[2] - الألوسي ، ٢٩/ ١٣٢ .

[3] - العلوي ، ٢/٣٣،٣٤ .

[4] - الصافات ، ٤٥- ٤٧ .

[5] - الرحمن ، ٧٠ ، ٧٢، ٧٤ .

[6] - السكاكي ، ١٣٢ .

[7] -ينظر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ١٥٧ وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم } [1] ، ويلحظ في هذه الآيات الفصل بين الأحوال (يلبسون ، يدعون ، لا يذوقون) حيث جاءت بلا واو لأنها إخبار عن حال المتقين في الجنة ، ووزان هذا وزان قولنا : جاء زيد راكبا ضاحكا مسرعا ويؤكد الجرجاني مجيئها دون واو بقوله : " وإن كانت الجملة من فعل وفاعل والفعل مضارع مثبت غير منفي لم يكد يجيء بالواو ، بل ترى الكلام على مجيئها عارية من الواو ... فإن دخل حرف نفي على المضارع تغير الحكم فجاء بالواو، وبتركها كثيرا " [2] .

ومما هو من هذا الضرب قوله جل في علاه : { إن الأبرار لفي نعيم * على الأرائك ينظرون *تعرف في وجوههم نضرة النعيم *يسقون من رحيق مختوم } [3] ، وليس يخفى الفصل بين الأحوال (على الأرائك ، ينظرون ، تعرف ، يسقون) ، لأنها إخبار عن صاحب الحال ،وإن تعددت .

وقبل أن نختم هذا القسم نقول : إن القرآن يبدع في مجال الوصل والفصل كأن يفصل بين الكلام في سياق ، ويصله في سياق آخر ، وأضرب لذلك مثلا بقوله عز وجل { فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فاكهة كثيرة ومنها تأكلون }[4] ، بوجود الواو الواصلة ، غير أن القرآن يحذف الواو في قوله تعالى : { وتلك الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ، لكم فيها فواكه كثيرة منها تأكلون } [5] ، ولا نقرّ بزيادة الحرف في كتابه تعالى ، إنما نعتقد بأن كل حرف في الكتاب العزيز يحقق هدفه المرسوم له، وهذا شأن الآيتين ، فقد جاءت الآية الأولى في وصف جنة الدنيا ، في حين جاءت الآية الثانية في وصف جنة الخلد ، وأرى أن (من) في الآية الأولى تفيد التبعيض ، وهي غيرها في الآية الثانية التي تفيد الجنس ، فتكون (منها يأكلون) صفة للفاكهة ، وهنا لا بد من الفصل، ويوضح الشيخ فضل عباس الاختلاف بين الآيتين بقوله : " فأصحاب جنان الدنيا ليس كل ما تنتجه جناتهم معدا للأكل ، وإنما يتّجرون بالكثير،وقد يدخرون ، أو يهدون ، أو يتصدقون ، وليس الأمر لأهل الجنة كذلك " [6]

---

[1] – الدخان ، ٥١– ٥٦ .

[2] – الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ١٥٩ ، ١٦٠ .

[3] – المطففين ، ٢٢–٢٥ .

[4] – المؤمنون ، ١٩ .

[5] – الزخرف ، ٧٢ –٧٣ .

[6] – عباس ، فضل ، المفردات القرآنية ، ٦١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا وقد تبين لنا سبب الاختلاف ، فإننا نخالف صاحب البرهان حين عدّ إسقاط الـــواو بأنه غير مراد وجاء بالآيتين شاهدا على قوله هذا [1] .

ونخلص مما سبق إلى نتيجة مؤداها : أن القرآن الكريم في نصـــوص الجنـــة بخاصة ، قد أحكم النظم بين مواقع الكلام ، من حيث وصله وفصله ، وما ينطوي على ذلك من علامات بلاغية تسهم في البوح عن الدلالات المعنوية دون لبس أو إبهام .

[1] - ينظر ، الزركشي ، ٢٥٥/٣ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

• ثانيا

بناء الجملة الطلبية

عرضنا سابقا بإيجاز إلى نوعي الكلام وقلنا : إن الكلام يقسم إلى خبر وإنشاء والخبر ما يمكن أن نطلق عليه صفة الصدق أو صفة الكذب ، وعرفنا الأحوال البلاغية التي تتقلب فيها الجملة القرآنية من تعريف وتنكير، و حذف ، وتقديم وتأخير إلى غير ذلك من العلاقات الأسلوبية . ونعرض هنا إلى الجملة الإنشائية التي لا تحمل أي نوع من التصديق أو التكذيب ، والإنشاء على ضربين :

الأول الإنشاء الطلبي : وهو ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب ، وينطوي تحته الاستفهام ، والأمر ، والنهي ،والنداء ، والتمني .

الثاني الإنشاء غير الطلبي :وهو ما ليس كذلك ، ويضم القسم، والتعجب ،وصيغ المدح والذم [1] .وسنقصر الحديث في هذا الجزء على الإنشاء الطلبي ، وبعض الأساليب الإنشائية المتحققة في نصوص الجنة ومنها .

الاستفهام [2]

يعدّ الاستفهام في نصوص الجنة نمطا تعبيريا متميزا ، وظاهرة أسلوبية تستند إلى خصائص لغوية ينزاح إليها الاستفهام ، قصد تحقيق أغراض بلاغية غير المعنى الأصلي الذي وضع له وهو طلب الفهم [3] ، والاستخبار عن شيء مجهول . وقد بلغت النصوص المتضمنة لأسلوب الاستفهام خمسة عشر، توزعت حسب الأغراض البلاغية التالية .

١-**الاستفهام المتضمن معنى الإنكار** : والإنكار غرض بلاغي رئيس أشار إليه عبد القاهر بالقول : " ... وإن كنا نفسر الاستفهام في مثل هذا بالإنكار ، فإن الذي هو محض المعنى أنه ليتنبه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل و يرتدع " [4] ، والإنكار معنى عام تندرج تحته معان فرعية أخرى كالتعجب والتوبيخ والتيئيس وغيرها.

---

[1] – ينظر القزويني ، شرح التلخيص ، ٨١ .

[2] – للتعرف على أغراض الاستفهام ينظر الجرجاني ، الدلائل ، ٨٧ ، والزركشي ، ٢/ ٣٨٩ .وكذلك فودة ، عبد العليم السيد ، أساليب الاستفهام في القرآن .

[3] – ينظر ابن هشام ، مغني اللبيب ، ١/ ١٣ .

[4] – الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ٩٣، ٩٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن النصوص الدالة على الإنكار قوله تعالى : { هـل جـزاء الإحسـان إلا الإحسان } [1] . جاءت هذه الآية خاتمة لبيان نعيم الجنتين الموعودتين للمتقين ، وقـد جاء النص متوسلا بالاستفهام للتدليل على المعنى المراد ، والبدهي المعلوم للجميـع أن من يعمل عملا يجز الجزاء المتوافق مع جنس هذا العمل إنْ خيرا، وإن شرا. وعلـى هذا فقد خرج الاستفهام في النص عن أصله الوضعي الدال على طلب العلم إلى غرض أسلوبي بديع يتمثل في إنكار أن يكون جزاء العمل الصالح من غير جنسه ؛ بمعنـى أن المقدّم عمل الإحسان يجازى بالإحسان، وينضاف إلى غرض الإنكار بوصفه غرضـا رئيسا - معنى النفي أي لا يكون جزاء الإحسان إلا الإحسان ، ويمثل هـذا الـتركيب أسلوبا من أساليب القصر (لا + إلا) ،وهذا ما يؤكد المراد ،ويشير إليـه ، ويرسـخ المعنى في ذهن المتلقي الذي قد يظن في الدنيا غير ذلك نتيجة مواقف بشـرية مـرت عليه . فزعزعت هذا الحكم عنده ، والنمط اللغوي الذي تقوم عليه جملة الاستفهام هو : هل (حرف استفهـام) + جـزاء الإحسان (مبتدأ + مضاف ومضـاف إليه) + إلا (استثناء مفرغ) + الإحسان (خبر) .

ومن النصوص الدالة على الإنكار قوله عز وجل : { فبآي آلاء ربكمـا تكذبـان } [2]. جاء هذا النص في موقع تعداد نعم الله تعالى على عباده الإنس والجن ، وهي بلا شك - نعم جليلة تستحق الشكر والعبادة ، غير أن كثيرا من الناس تنكروا لهذه النعم فبـارزوا خالقهم بالمعصية والتكذيب ،وقد أنكر القرآن عليهم هذا الرد الكفـور متوسـلا لذلـك بأسلوب الاستفهام المصدّر بأداته (أي) التي تفيد " تعظيم ما أضيفت إليه ، وإنكـار الفعل الواقع بعدها ؛ لأنه ما كان ينبغي أن يقع ، مع تقبيحه وتوبيخ فاعله " [3] ويستدل من النص أن أي تفيد :

- تعظيم آلاء الله ونعمه الكثيرة التي أنعمها على عباده .
- إنكار فعل ا لتكذيب الصادر من الإنس والجن وهو فعل جدّ قبيح ؛ لأنه يتنكر لنعمة الخالق المنان ، ويتولد القبح عندما يقارن الدارس بين نعم المخلوق على المخلـوق رغم نقصها وصغرها، وهو يحاول أن يردها إليه بشتى الطرق ، فكيف بنعـم الله على المخلوق الذي لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا .؟

---

[1] - الرحمن ، ٦٠ .

[2] - الرحمن ، ٤٧ .

[3] - فودة ، عبد العليم السيد ، أساليب الاستفهام في ا لقران ، ١٦١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- توبيخ أصحاب هذا الفعل القبيح وهم الإنس والجن المنكرون .

وعلى هذا فالإنكار متضمن لثلاثة معان فرعية (التعظيم، والتقبيح، والتوبيخ) ، ولعل في تكرار هذا الاستفهام في الآيات الخاصة بوصف الجنتين ست عشرة مرّة يوحي بشدة الإنكار، وقوة التوبيخ ، وجلال النعم العظيمة .

ويأتي الاستفهام المتضمن لمعنى الإنكار في قوله تعالى :{ أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم } [1] . لما كان الكفار ينكرون البعث والحساب، وما يستتبع ذلك من جزاء ، فقد أنكروا الجنة والنار ، ولم يحرك الوصف في نفوسهم الطمع بدخولها ، وقد صور القرآن هذا الإنكار في مشهد يتصدره الاستفهام (أيطمع) :" وهو كلام دال على إنكارهم ، البعث فكأنه قال : كلا إنهم منكرون للبعث والجزاء ، فمن أين يطمعون في دخول الجنة "[2] ، ويترتب على هذا الإنكار غرض التيئيس الذي يخرج إليها الاستفهام مع الإنكار ، والملاحظ على الجملة الاستفهامية أنها تقوم على النمط اللغوي التالي :

أ(همزة الاستفهام) +يطمع (فعل مضارع) + كل امرئ منهم (فاعل مضاف متعلق جار ومجرور) + أن يدخل (مصدر مؤول مفعول به) + جنة نعيم (مفعول به مضاف ومضاف إليه) ، ويظهر أن الهمزة المفيدة للاستفهام جاء بعدها فعل (يطمع) وحينئذ يتسلط معنى الإنكار على الفعل لا الفاعل ، ويشير عبد القاهر إلى هذا المعنى بالقول : " وإن أردت بـ (تفعل) المستقبل كان المعنى إذا بدأت بـ(الفعل) على أنك تعمد بالإنكار إلى الفعل نفسه ،وتزعم أنه لا يكون ، أو أنه لا ينبغي أن يكون " [3] والمراد بهذا التشكيل الاستفهامي أنه لا ينبغي أن يطمع أحد منهم في دخول الجنة وهم كافرون بالبعث ، إذ إن دخولها منوط بالإيمان ، ولعل السر في عدول القرآن عن إنكار الفاعل (أكل امرئ يطمع) يتمثل في أن الفعل المراد وهو الطمع غير متحقق فمن باب أولى أن يكون أصحاب الفعل داخلين في هذا الإنكار .

---

[1] – المعارج ، ٣٨.

[2] – الزمخشري ، ٤/ ١٦٠

[3] – الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ٩١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الجمل الاستفهامية الحاملة معنى الإنكار ما جاء في حوار أهل الجنة مع أهل النار حيث يقول الله تعالى : { وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون * قال قائل منهم إني كان لي قرين*يقول أإنك لمن المصدقين* أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمدينون } [1] يمثل النص القرآني هذا زاوية من مشهد حواري يجري على لسان أحد المؤمنين في الجنة مع قرينه الكافر في النار ،ويتوسل هذا الحوار بإسلوب الاستفهام القائم على الإنكار ،فالقرين الكافر ينكر على صديقه إيمانه وتصديقه باليوم الآخر ،ويتعجب من ذلك الأمر متعذرا بقضية الموت الذي يصبح الإنسان بعده رمّة وترابا ، وعلى هذا بنى الكافر الإنكار الثاني المتمثل في الحساب (أإنا لمدينون) ولعل النص يظهر الدلالات البلاغية التالية :

- جاء أسلوب الاستفهام متداخلا مع الحوار مما يعمق صورة المشهد لدى المتلقي
- خرج الاستفهام لغرض الإنكار الممزوج بالتعجب ويمثله قوله تعالى (أإنك لمن المصدقين) .
- يتواشج الاستفهام الإنكاري مع غرض السخرية والاستهزاء في استحالة الحساب ويشف عن هذا قوله : { أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمدينون }
- يعزز من شدة الإنكار والتعجب - التوكيد بـ(إن + اللام) الذي يشحن الموقف بدرجة عالية من التوتر ، وهذا ما ينعكس على نفسية المتلقي للخبر .

واستكمالا للمشهد يرد المؤمن على صاحبه إنكاره ، بعدما شاهدا حقيقة القضية الجدلية بينهما . طالباً منه الاعتراف والإقرار قائلا : { أفما نحن بميتين ، إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين }[2]،ولا مجال هنا للإنكار فقد كشف القناع ، ويُلمح من هذا التساؤل غرض التوبيخ للكافر ، وهذا مما يحقق له الندم المتزايد فوق عذابه الأليم .

٢- الاستفهام المتضمن معنى التقرير: ومن الأغراض البلاغية التي يخرج إليها الاستفهام في نصوص الجنة التقرير وهو : " حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده " [3] ، وقد تحقق هذا الغرض في ثلاثة من النصوص من ذلك قوله

---

[1] - الصافات ، ٥٠ - ٥٣ .

[2] - الصافات ، ٥٨-٥٩ .

[3] - الزركشي ، ٣٤٤/٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعالى : { ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا، قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين } [1]

جاء النص الحواري بعد أن قضى ا لله تعالى بين الخلائق ، وعرف كل مصيره، ويجري الحوار بين أهل الجنة وأهل النار متوسلا بأسلوب الاستفهام القائم على النمط اللغوي التالي :

هل (أداة استفهام)+ وجدتم (فعل ماض وفاعل) + ما وعد (اسم موصول وجملة الصلة + ربكم (فاعل) + حقا (مصدر نائب عن فعله)

وقد خرج الاستفهام من معنى الاستخبار عن شيء مجهول إلى معنى الإقرار عن شيء معروف ، فقد أدرك الكفار مصيرهم ،وأبصروا ما كذبوا به من بعث وحساب وسؤال أهل الجنة أهل النار عن تحقيق وعد الله لهم فيه طلب بالاعتراف أو إقرار من قبلهم بهذا المصير القائم ، ويحقق الاستفهام مع غرض الإقرار غرضا آخر يتمثل في التهكم بأهل النار والنكاية بهم ، ويعلق صاحب الكشاف على هذا النص بالقول : " وإنما قالوا لهم ذلك اغتباطا بحالهم ، وشماتة بأصحاب النار ، وزيادة في غمهم ، ولتكون حكايته لطفا لمن سمعها " [2] .

ومن النصوص التي يأتي الاستفهام فيه لمقصد التقرير قوله تعالى : { الا أصحاب اليمين * في جنات يتساءلون *عن المجرمين *ما سلككم في سقر } [3] .

والظاهر من النص أن هذا التساؤل من قبل المؤمنين عن المجرمين أنه في الآخرة فالمؤمنون في جنات، والمجرمون في النار ، وعلى هذا فقد عرف الجميع الحساب والمصير والأسباب الموجبة له ، وإذاً فالاستفهام خارج عن وضعه النحوي وهو طلب العلم إلى غرض أسلوبي لطيف يكشف عن عمق الدلالة ، ويلحظ على هذا النص أنه يحقق المعاني التالية :

- جاء أسلوب الاستفهام على شكل حوار بين فئتين متضادتين ،وهذا يومي بالمباشرة وعمق التأثير .
- تقوم الجملة الاستفهامية على النظام اللغوي التالي :

---

[1] – الأعراف ، ٤٤.

[2] – الزمخشري ، ٢/ ٨٠ .

[3] – المدثر ، ٣٩-٤٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما (اسم استفهام)+سلككم (فعل وفاعل ومفعول) + في سقر(المتعلق جار ومجرور) واستخدام اسم الاستفهام (ما) المبهم ، زيادة في تهكم المؤمنين عليهم ، وطلبا منهم على الاعتراف الكامل والمفصل الذي يزيل الاستفهام المبهم .

- خرج الاستفهام من مجرد الاستخبار إلى غرض التقرير وطلب الاعتراف بالجرائم التي ارتكبها المجرمون حتى وصلوا إلى هذا المصير الأسوأ ، وفي هذا هذف آخر يتمثل في التهكم عليهم، ويشير الزمخشري إلى تفسير هذه الآية بالقول :" فإن قلت : لِمَ يسألونهم وهم عالمون بذلك ؟ قلت : توبيخا لهم وتحسيرا وليكون حكاية الله ذلك في كتابه تذكرة للسامعين " [1] .

ويتداخل أسلوب الاستفهام الدال على التقرير مع غرض التنبيه وجذب القارئ للحكم وهذا ما يتجلى في قوله عز وجل : { قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا } [2] .

يجيء هذا النص في مجال خطابي مؤثر يدفع القارئ للآية إلى الانتباه ، والاستفهام متعلق بقضية تتمثل في الإجابة عن أيهما أفضل النار التي يجسّدُها اسم الإشارة (ذلك) أم الجنة ؟. وهذا سؤال الإجابة عنه معدّة مسبقا في كل ذهن إذ لا ينكر أحد أفضلية الجنة ، ولا ينكر الصفة المضادة لها وهي النار ، فلم يؤتى هنا بالاستفهام ؟

إن الاستفهام هنا قد انحرف عن وضعه في النظام النحوي إلى غرض أسلوبي عميق يتمثل في طلب اعتراف المتلقي بالأفضلية ،مع تنبيهه لذلك الخبر الذي يجب أن يعمل له والملاحظ على النص أنه حوى أداتين للاستفهام (أ) و (أم) ، لغرض دلالي واحد ، وحينئذ تسمى الهمزة همزة التسوية وتكون أم متصلة ؛ " لأن ما قبلها وما بعدها لا يستغنى بأحدهما عن الآخر "[3] .إن الاستفهام الحامل لدلالة الإقرار والتنبيه على عدم تساوي الجزاء ين وبيان البين بين المصيرين ، فيه معنى التهكم على الكفرة الذين أصبحوا بمنزلة لا يستطيعون فيها التمييز بين الخير والشر ، فالمعنى ظاهر أن الجنة هي الأفضل ومن هنا نعلم " أن الواقعة بعد همزة التسوية لا تستحق جوابا ،لأن المعنى معها ليس على الاستفهام ... وليست تلك{ أم }كذلك؛لأن الاستفهام معها على حقيقته " [4]

---

[1] – الزمخشري ، ١٨٧/٤ .

[2] – الفرقان ، ١٥ .

[3] – ابن هشام ، مغني اللبيب ، ٤١/١ .

[4] – نفسه ، ١/ ٤١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويفهم من ذلك أن الجملة الاستفهامية الثانية (أم جنة الخلد) هي التي تحمل غرض الاستفهام المقصود منه التقرير والتنبيه .

٣- **الاستفهام المتضمن معنى النفي** : ومن المقاصد البلاغية التي تنتجها الجملة الاستفهامية مقصد النفي ،ومع أن اللغة العربية تتمتع بطاقة هائلة للتعبير عن ا لنفي إلا أن إيراد الاستفهام قصد النفي أشد تعبيرا وتأثيرا ،وعدول القرآن عن استخدام النفي المباشر إلى النفي عن طريق الاستفهام يكشف عن دلالة عميقة تتمثل في " أن الاستفهام في أصل وضعه يتطلب جوابا يحتاج إلى تفكير ... ولما كان المسؤول يجيب بعد تفكير ورويّة عن هذه الأسئلة بالنفي ، كان في توجيه السؤال إليه حملا له على الإقرار بهذا النفي ،وهو أفضل من النفي ابتداءً " [١] .

وقد تحقق الاستفهام الذي يفيد النفي في نصين من نصوص الجنة :

أولهما ما جاء في قوله عز وجل : { إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيَقتُلون ويُقتَلون وعداً عليه حقا في التوارة والإنجيل والقرآن **ومن أوفى بعهده من الله** فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم } [٢] . ورد النص القرآني في مجال مدح المجاهدين والشهداء الذين قدّموا أموالهم وأنفسهم رخيصة في سبيل الله تعالى ، فكان الوعد من الله أن يدخلهم الجنة وجاء الخطاب القرآني هنا بالجملة الاسمية المؤكدة لمضمون الحكم حتى لا يتردد متردد ولا يشك شاك في هذا الجزاء العظيم ، ويصوّر القرآن وعد الله لهم بالجنة في ثوب استعاري يقوم على البيع والشراء (اشترى) ، أي " مثّل الله إثابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيله بالشروى . وروى تاجرهم فأغلى لهم الثمن " [٣].

فهي إذاً صفقة رابحة . وهذه الصفقة تحتاج إلى الوفاء ؛ على ما عهد من أنظمة التجارة ومعاملاتها ، ولأجل تأكيد الوفاء وتعظيمه لجأ القرآن لاستخدام أسلوب الاستفهام المتضمن معنى النفي (ومن أوفى بعهده من الله) ،وجاء بناء جملة الاستفهام على النمط التالي :

من (اسم استفهام)+ أوفى (اسم تفضيل)+ بعهده (جار ومجرور)+ من الله (جار ومجرور) وإذا كانت الإجابة عن الاستفهام بالنفي أي ؛ لا أحد أوفى من الله تعالى فإن

---

[١] – بدوي ، ١٦٣ .

[٢] – التوبة ، ١١١ .

[٣] – الزمخشري ، ٢/٢١٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاستفهام حقق غرضا أسلوبيا فرعيا يتمثل في تعظيم الله تعالى ، وإن كان بعض الخلق قد وفى بعهده كالسموأل مثلا حتى قيل أوفى من السموأل ، فإن وفاء الله مطلق ، وقد أكد هذا الوعد بالوفاء بالمصدرين (وعدا) و (حقا) زيادة في الإقرار والتثبيت . ويتضافر أسلوب الاستفهام مع أسلوب الأمر (استبشروا) ؛ ذلك لأن التضحية بالنفس والمال في ظاهرها فقدان يسبب الانقباض والحزن الملموسين في الوجه ، ولما كانت الصفقة مع الله تعالى وجب أن يطمئن الإنسان فيظهر أثر الاطمئنان على بشرته ووجهه فقال (استبشروا) إيناسا وتثبيتا لأنفسهم بإنجاز الوعد .

والنص الثاني الذي يحمل فيه الاستفهام دلالة النفي قوله تعالى : { والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا } [1] .

والملاحظ أن التعقيب ا لقرآني على جزاء المؤمنين قد ختم بأسلوب الاستفهام البين في قوله تعالى) ومن أصدق من الله قيلا) ؟

وقد انزاح الاستفهام هنا من غرض الاستخبار إلى غرض النفي ، والمراد أنه لا أحد أصدق من الله قولا ، وفي هذا النفي استبعاد لإمكان وجود أي كان أصدق من الخالق عز وجل ، ومساو له في هذه الصفة ، وبخاصة إذا كان المقول عظيما وهو الجنة التي تجري من تحتها الأنهار ، وإذا كان ذلك كذلك فإن الاستفهام قد ولدّ مقصدا آخر وهو غرض تعظيم الواعد ، وفي هذا تعريض بالشيطان ووعوده الكاذبة .

الاستفهام المتضمن معنى الترغيب والتشويق : ويلجأ القرآن في نصوص الجنة إلى استخدام أسلوب الاستفهام قصد تحقيق غرض التشويق والترغيب ، وبخاصة إذا كان العمل محبوبا وعظيما ، والترغيب - كما سبق - من أجلّ المقاصد القرآنية في إثارة المتلقي ، وحثه إلى العمل المطلوب .

والجنة بصفاتها ومشاهدها ، ونعمائها ولذائذها تشكل جوا شعوريا ونفسيا لترغيب المؤمنين وتشويقهم إلى الأعمال الصالحة التي توصلهم في النهاية إلى رضوان الله تعالى . وأسلوب الترغيب هنا يتفق مع كون الجنة غيبا ، والملموس في التأثير أقوى لذا لجأ القرآن إلى أسلوب الاستفهام الذي توسل به القرآن لإفادة هذا الغرض الجليل .

---

[1] - النساء ، ١٢٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعل هذا يظهر في قوله تعالى : { قل أؤنبكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد } [1] .

ورد النص القرآني في مجال المقارنة بين نعيمين ؛ أحدهما دنيوي زائل وقد جمعها القرآن في الآية السابقة ، بقوله تعالى : { زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب } [2] .

والآخر : خالد دائم وهو نعيم الجنة بما فيها من نعيم مادي خصّت الآية منه الأنهار والأزواج ،ومن نعيم نفسي متمثل في رضوان الله تعالى ، ولما كان الملموس حقيقة هو نعيم الدنيا المتحقق بالمشاهدة ،كان ذلك مدعاة إلى الركون إليه والقعود عن طلب الخلود والمراد إثبات أفضلية النعيم المستقبلي في الجنة ،وتقبيح صورة هذا النعيم المادي الفاني ولأجل ذلك استخدم القرآن أسلوب الاستفهام قصد ترغيب الناس وتشويقهم إلى الخير الأفضل ، وقد تميزت الجملة الاستفهامية بالسمات التالية :

- جاءت جملة الاستفهام مقول القول (قل : أؤنبئكم) أي محكية على لسان الصادق المصدوق وكأن ثمة سؤالا غائبا يلمح من الإجابة عن أفضلية المصيرين .
- يقوم النمط اللغوي للاستفهام على النحو التالي :

قل(فعل أمر وفاعل)+أ(أداة استفهام)+ أؤنبئكم (فعل مضارع وفاعل ومفعول به) + بخير (جار ومجرور) من ذلكم (حرف جر + اسم إشارة مجرور) + بقية النص .

واستخدام الهمزة للاستفهام هنا دون سواها له دلالته في هذا النص ؛ " كون الهمزة لا يستفهم بها حتى يهجس في النفس إثبات ما يستفهم عنه " [3] ، وهو إثبات أفضلية الجنة

- جاء الاستفهام متسلطا على الفعل (أؤنبئكم) ،وهو المراد من الاستفهام هنا إذ المعنى يقوم على ترغيب المخاطب عن طريق إنبائه ، لما تحمله دلالة اللفظ (نبأ) على العظمة ، والتهويل ، كما قال تعالى في خبر يوم القيامة: { عم يتساءلون * عن النبأ العظيم } [4] .

---

[1] – آل عمران ، ١٥ .

[2] – آل عمران ، ١٤.

[3] – الزركشي ، ٢/ ٣٦١ .

[4] –النبأ ، ١، ٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- أفاد الاستفهام غرض التشويق النفسي ، والترغيب الروحي القائم على شحذ الموقف بدرجة عالية من الهمة وتحريك النفس لمعرفة الأمر المشوق وهو الجزاء الكريم .

والنص الآخر الذي يحقق فيه الاستفهام غرض التشويق والعرض قوله تعالى :{ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم } [1] . خطاب للمؤمنين فيه تنبيه لهم عن طريق النداء (يا أيها الذين آمنوا) ،وهذا النداء يستدعي شيئا مرادا وهو في الآية إرشاد المؤمنين لأمر مهيب وهو الطريق إلى النجاة من عذاب جهنم ، وبالتالي دخول الجنة ،وقد اختار القرآن لتحقيق هذا الهدف أسلوب الاستفهام (هل أدلكم) ، وينزاح الاستفهام هنا عن اصل الوضع اللغوي إلى مقصد بلاغي لطيف وهو الترغيب والتشويق والعرض ، وهنا تنشط الأفكار للأمر المستفهم عنه الذي توحيه كلمة (أدلكم) أنه أمر مفقود أو كالمفقود بسبب الانشغال عنه .

وقد ولد الانزياح في الاستفهام انزياحا آخر يتطلبه سياق النظم ، ويتمثل في لفظ (تجارة) وهي صورة استعارية تقوم على خلق مناخ نفسي مناسب لمكونات الإنسان المادية إذ النفس تتوق لأخبار التجارة وصفقاتها ومرابحها . غير أنها تجارة من نوع آخر هي تجارة إيمانية توضح شروطها الآية التالية حيث يقول تعالى: { تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون } [2] .

تلك هي البضاعة ؛ الإيمان والجهاد في سبيل الله ، ومتى قام المؤمن بهذه الأمور وجبت له الأرباح الجوائز، وهي الجنة كما وضحتها الآية التالية : { يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ، ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم } [3]

وبهذا يصبح الانحراف الأسلوبي المزدوج كالتالي :

هل أدلكم ـــــ استفهام يفيد الترغيب والتشويق والعرض .

تجارة ـــــ مجاز يفيد الترغيب والتشويق والإثارة .

٥- **الاستفهام المتضمن معنى الاختبار** : وقد تحقق هذا الغرض الأسلوبي في نص واحد يتصل بالجزاء الحسن يوم القيامة ويستخدم حين " يكون السائل عالما ويريد

---

[1] - الصف ، ١٠ .

[2] - الصف ، ١١ .

[3] - الصف ، ١٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

امتحان المخاطبين واختبار معارفهم "[1]. وهذا ما نجده في قوله تعالى عز وجل:{ وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذا الدنيا حسنة ، ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين }[2] .

إن الاستفهام في النص موجه للمتقين عن ماهية الأجر والثواب في القرآن الكريم فهم عالمون بذلك ، ويعرفون فحوى القول ومضمون السؤال ، ومن هنا خرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى معنى بلاغي قصد الاختبار للمؤمنين ، ليظهر إيمانهم ويعزز مكانتهم ويثبتهم على الحق ، وتفسير الاستفهام هنا بالاختبار أخذا على عموم الآية أما ما ورد في تفسيرها من " أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم ... فيلقى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبرونه بصدقه وأنه نبي مبعوث " [3] فالاستفهام على حقيقته التي هي طلب الفهم والعلم بشيء غير معروف لدى السائل مسبقا .

٦- **الاستفهام المتضمن معنى التفخيم :** ومن أجل الأغراض الأسلوبية التي يحققها الاستفهام في نصوص الجنة التفخيم لشأن المؤمنين ، والتعظيم لحالهم ، وحق هذا الغرض أن يتقدم في السبق على الأغراض الأخرى ، ولكن تأخيره هنا تعظيم له وتشويق للقارئ الكريم ..

وقد ورد هذا الغرض في نصوص ثلاثة :

أولاها قوله تعالى :{ وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين * في سدر مخضود... }[4]

يرد النص في مجال الإخبار عن جزاء أصحاب اليمين ، وتبيان نعيمهم في الجنة . غير أن النص لم يقتصر على مجرد الإخبار ، إذ لو كان ذلك لقيل (وأصحاب اليمين في سدر مخضود ...) ، دون الحاجة لتوسط الاستفهام . ولكن المراد فوق الإخبار إفادة تفخيم حالهم ، وقد استخدم لذلك الاستفهام بالأداة الدالة على الإبهام (ما) أي أن حالهم من الفخامة والعلو في الشأن ما يستبهم وصفه على السامع كما أن (ما) مهّدت السبيل للجواب المبين غاية نعيمهم .

---

[1] – فودة ،١٩٣ .

[2] – النحل ، ٣٠ .

[3] – الزمخشري ، ٤٠٧/٢ .

[4] –الواقعة ، ٢٧، ٢٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والنص الثاني الذي يظهر فيه الاستفهام الدال على التفخيم قوله عز وجل : { كـــلا إن كتاب الأبرار لفي عليين * وما أدراك ما عليّون * كتاب مرقوم } [١] .

والمستفهم عنه في الآية هو منزلة كتاب الأبرار (عليّون) بما توحيه من المبالغة فـــي العلو ، وقد جاء الخطاب بأسلوب شائع في القرآن وهو أسلوب (ما أدراك) ،ويوضـــح عبد العليم فودة هذا بقوله : (وأسلوب ما أدراك). يسبقه الاسم المراد تفخيمه ويعقبـــه الاستفهام عنه بـــ (ما) دائما متلوّة بهذا الاسم معاداً " [٢] . وهو في الآية على النحـــو التالي :

لفي عليين + ما أدراك + ما + عليون .

يلحظ من هذا التركيب البنائي لأسلوب الاستفهام تكرار لفظ (عليون) وهو تكـــرار - يفيد التعظيم ، وتكرار أداة الاستفهام (ما) . وفيه أيضا تفخيم واستعجاب من حالة كتابهم ويشير صاحب الكشاف إلى ذلك بالقول : " وعليون علم لديوان الخير الذي دوّن فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع عليّ (فعيل) من العلو كسجّين مـن السجن ؛ سمي بذلك إما لأنه سبب الارتفاع إلى أعالي الدرجات في الجنة، وإما لأنـــه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما " [٣] .

والآية الأخيرة التي تحمل غرض التفخيم قوله تعالى :{ وأصحاب الميمنة مـــا أصحاب الميمنة }[٤] ، فقد خرج الاستفهام هنا لغرض بلاغي يقصد منه تفخيـــم حـــال أصحاب الميمنة من حيث شأنهم ومنزلتهم وحالهم ونعمهم إلى غير ذلك ممـــا تحتملـــه دلالة التفخيم .

والملاحظ أن القرآن قد استخدم أسلوب الاستفهام هذا في شأن الكفار فقال : { وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة }[٥] ، وقوله تعالى : { كلا إن كتاب الفجار لفي ســـجين ، وما أدارك ما سجين } [٦]، وهنا يظهر جمال التعبير القرآنـــي وتمـــيزه فـــي الموقـــع

---

[١] - المطففين ، ١٨-٢٠ .

[٢] - فودة ، ١٢٩ .

[٣] - الزمخشري ، ٤/ ٢٣٢ .

[٤] - الواقعة ، ٨ .

[٥] - الواقعة ، ٩ .

[٦] - المطففين ، ٧-٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والموقف والغرض . ولا يظن ابتداءً أن القرآن يقصد تفخيم شأن الكفرة وكتابهم إنما المراد " التهويل الذي يراد به التخويف ... حيث تأتي في معرض القيامة والنار ... " [1] نخلص مما سبق إلى القول :بأن القرآن يستخدم أسلوب الاستفهام في نصوص الجنة لأغراض بلاغية متعددة ، اجتمعت لترسم صورة تعبيرية لأهداف القرآن الكريم المتمثلة في قاعدة تقوم على مبدأ الترغيب الذي يؤكد الجزاء الأوفى للمؤمنين ويبين، حالهم ونعيمهم في الجنان الخالدة .

أسلوب الأمر [2]

يعد الأمر أحد الأساليب الإنشائية الطلبية ، ويعرّف بأنه " طلب الفعل على جهة الإيجاب ،وله أربع صيغ قياسية هي : فعل الأمر ، والمضارع المتصل بلام الأمر والمصدر الدال على الأمر ،واسم فعل الأمر " [3].

غير أن الأمر يخرج عن أصله في النظام النحوي الأصولي إلى دلالات معنوية ، ومقاصد أسلوبية باعتبارات القرائن ، وسياقات الكلام . وهذا ما قصده السكاكي في تعريفه لأسلوب الأمر بأنه " عبارة عن استعمال نحو لينزل ، وانزل ، ونزال ، وصه على سبيل الاستعلاء ... وتوقف ما سواه من الدعاء، والالتماس ،والندب ،والإباحة والتهديد على اعتبار القرائن " [4] .

وقد شكل أسلوب الأمر في نصوص الجنة ظاهرة تلفت النظر ، حيث حققت أغراضا بلاغية تتمثل في الإكرام ، والتبشير ، والدعاء ، والنصح والإرشاد ، والتمني ، وسنفصل القول في هذه الأغراض على النحو التالي :

١- **الإكرام** :من الأغراض التي يخرج إليها الأمر مقام الإكرام الذي يدل على رفعة شأن المكرَم، وجلال المكرِم وهو الله تعالى ، والغرض هذا يتفق مع عمل المؤمنين وصبرهم، وعبادتهم لله في الدنيا، والتزامهم بالتكاليف التي أمروا بها ، فاستحقوا هذا الإكرام من الله عز وجل .

وقد ورد هذا الغرض في تسعة نصوص قرآنية هي قوله تعالى :

---

[1] – فودة ، ١٣٠ .

[2] – للإطلاع على أساليب الأمرالبلاغية ، ينظر السكاكي ، ١٥٢/ القزويني ، الايضاح في علوم البلاغة ، ٢٤١. العلوي ، ٣/ ٢٨١ .

[3] – ينظر القزويني ، شرح التلخيص ، ٨٨ .

[4] – السكاكي ، ١٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

{... ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون } الأعراف ٤٩ .

{ ... يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون } النحل ٣٢ .

{ ... ادخلوا الجنة أنتم وأواجكم تحبرون } الزخرف ٧٠ .

{ ... ادخلوها بسلام آمنين } الحجر ٤٦ .

{ ... وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين } الزمر ٧٣ .

{ ... ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود . سورة ق، ٣٤ .

{ ... يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي } الفجر . ٢٧-٣٠

{ ... كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية } الحاقة ٢٤.

والملاحظ على النصوص القرآنية السابقة أنها جميعها تتمتع بفعل الأمر المتصدر فيها، ومعلوم بالبديهة أن التكاليف الربانية من العبادات تنتهي بانتهاء أجل الإنسان أو بقيام الساعة ، والنصوص تتحدث عن مرحلة ما بعد الموت أي يوم القيامة .

ويترتب على هذا الأمر قضية تقضي بخروج الأمر عن وضعه الأصلي وهو طلب الفعل على جهة الإيجاب إلى غرض أسلوبي رفيع يتمثل في الإكرام .

ومن وحي الملاحظ على الجمل الطلبية المتضمنة لمعنى الأمر أنها تدور في ثلاثة حقول دلالية هي دخول الجنة ، والأكل ، والشرب .

وليس عشوائيا أن تأتي هذه الموضوعات على صيغة الأمر لإفادة غرض الإكرام للمؤمنين .

فدخول الجنة أمر عظيم يطوي في غياباته أعمارا من الشقاء والخوف والتعب ،وينبيء عن بداية مرحلة جديدة مختلفة تماما عن المراحل السابقة من حيث الزمن ومن حيث الصفة ، فزمن ما قبل الدخول محدود ينتهي بالموت .أما زمن ما بعد الدخول فمستغرق الزمن اللانهائي الخالد في الجنة .

وصفة العيش والحياة ما قبل دخول الجنة صفة يراوحها النقص والهم والزوال ؛من ضيق في الرزق ، وصبر على الطاعات والمكرهات ،وهجرة يترك فيها المؤمن أعز ما لديه من وطن وأهل ومال ، وإيذاء من قبل أعداء الدين ، وفتنة لا ينجو منها إلا من أخلص القلب والعمل لله .

أما صفة الحياة بعد الدخول فالأمان والرضا والسعادة والخلود .ولذا يعدّ الدخول فعلا مفصليا بين حياتين متناقضتين في أبعادهما المختلفة فلا غرابة إذاً أن يتكرر فعل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدخول بهذه الطريقة لماله من أثر نفسي وشعوري عميق على المؤمنين في الآخرة واللطيف أن فعل الدخول في بعض الآيات قد ألصق به سمات تميزه عن دخول أهل النار .

فهو دخول بسلام وأمان (ادخلوها بسلام آمنين) ، وهو دخول يقتضي الجمع بين الأحباب والأصحاب والذرية " ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون " .وتعظيم فعل الدخول هنا للدلالة على الإكرام متولد من جهتين .

أ- الآمر الذي يتكرم على عباده بهذا الدخول وهوا لله تعالى على سبيل الحقيقة أو على سبيل الإسناد المجازي عن طريق الملائكة بما في ذلك من إيناس وتفضيل .

ب- المكان المدخول فيه : وهو الجنة بكل ما تحتويها من صفات ونعيم وليس بعد هذا الدخول من شيء يعظم على النفس إلا التمتع بالنعيم ، وقد يكون الأمر من الله تعالى للإذن بدخول الجنة ؛لأنهم لا يدخلونها إلا بعد إذن الله تعالى لهم .

والحقلان الآخران اللذان خرج فيهما الأمر للدلالة على الإكرام الأكل والشرب وهو ما يقتضيه العقل ؛إذ إن الإنسان يدخل مكانا يتمتع فيه باللذائذ والنعم ، وإلا لا فائدة من دخول يعقبه جوع أو ظمأ . وهذا ما يتحقق في الجنة ، والخطاب في الآيتين صادر من جهتين " فإما أن يكون ذلك الإذن من جهة الله تعالى لا بواسطة وما أعظمها ، أو من جهة الملائكة على وجه الإكرام " [1] ، والظاهر من استخدام الفعلين الدالين على الأكل والشرب ما يلي :

١- جاء فعل الأكل والشرب مسندا إلى ضمير الجماعة ، وهذا يعني أن جميع أهل الجنة على اختلاف درجاتهم ومنازلهم داخلون في الإكرام الإلهي .

٢- الإتيان بما يدل على السعادة والراحة في الأكل والشرب وهو لفظ (هنيئا) تعريضا بأكل الدنيا وشربها لما يرافقهما من تنغيص ، وما يتبعهما من فضلات .

٣- حذف المفعول وإن كنا قد أشرنا إلى ذلك من قبل - فقد حذف القرآن المأكول والمشروب للإطلاق والعموم ، فلا منع في الجنة ولا انقطاع .

٤- تقديم فعل الأكل على الشرب لأنه الغالب ،إذ لا يشرب الإنسان عادة إلا بعد أكل وهو ألذ للشارب .

---

[1] - الفخر الرازي ، ٢٨٢/٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بصيغة الأمر في ست آيات حملت لفظ (بشر) ومشتقاته كما يظهر في الآيات التالية حيث يقول تعالى :

{ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ...} التوبة ٢٥ .

{ وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ...} يونس ٢ .

{ وبشر المؤمنين بأن لهم من ا لله فضلا كبيرا } الأحزاب ٤٧ .

{ ... فبشره بمغفرة وأجر كريم } يسن ، ١١ .

{ ... بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم } الحديد ، ١٢ .

{ وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون } فصلت ، ٣٠ .

وتتصرف دلالة الفعل (بشر) إلى معنى الفرح والسرور . يقول ابن منظور " البشر : الطلاقة ... وأتاني أمر بشرت به أي سررت به ... وأصل هذا كله أن بشرة الإنسان تنبسط عند السرور ... والتباشير طرائق ضوء الصبح في الليل " [١] ويفهم من هذا القول : أن البشر حالة من الفرح تعتري الشخص ، فتظهر على بشرته ، ويعرف الرائي أثرها في الوجه . سواء كان ذلك في الحياة الدنيا حيث يبشر الإنسان بالأمور المفرحة التي ستحصل له في الآخرة ، أو في حالة النزاع والاحتضار وهو وقت حوج يحتاج فيه الإنسان لأمر يخفف عنه سكرات الموت .

ومن خلال استعراضنا للنصوص السابقة يظهر أن الخطاب موجه للرسول صلى الله عليه وسلم على سبيل التبليغ ، أو يكون المأمور كل مخاطب ؛ " لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمه وفخامة شأنه محقوق بأن يبشر به كل من قدر على البشارة به " [٢] .

وأرى أن فعل الأمر في مثل هذه الآيات قد خرج لغرض الحث والتحضيض ، وليس التبشير ، ففرق بين الفعل بشر ،وبين الفعل أبشر .

وعلى هذا فإن الآية التي أفاد الأمر فيها غرض التبشير هي قوله تعالى : { إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون } [٣] . وقد جاء الخطاب من الملائكة للمؤمنين في وقت حرج مهيب

---

[١] – ابن منظور ، مادة بشر .

[٢] – الزمخشري ، ١/ ٢٥٣ .

[٣] – فصلت ، ٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو وقت النزاع " ،وقيل البشرى في ثلاثة مواطن : عند الموت ، وفي القبر ، وإذا قاموا من قبورهم " [1] ، وهي بلا شك - أوقات صعبة على الإنسان لما يرافقها من خوف وفزع فتأتيهم الملائكة لتبشرهم بالجنة فيسكنون ويفرحون .

أما فيما يتعلق بقوله تعالى : { بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم } [2]، فأرى أن الأمر فيها جاء على لفظ الخبر على اعتبار أن (بشراكم) مبتدأ وخبره (جنات) ، والمعنى ابشروا بالجنة إذ لوكان (بشراكم) مصدرا لقيل (بجنات) وفي هذا يقول الفراء" ولو نويت بالبشرى النصب توقع عليها تبشير الملائكة ، كأنه قيل لهم : أبشروا ببشراكم " [3] .

٣- الدعاء : وهو غرض بلاغي متحقق في نصوص الجنة ،ويكون الدعاء من الأدنى إلى الأعلى يطلب فيها الأول من الثاني على سبيل المسألة شيئا يمكنه تحقيقه ،والدعاء في آيات الجنة يرسم حالة من حالات الخضوع والانقياد الكامل لله تعالى ، لاعتقاد الداعي أن المدعو قادر على تنفيذ هذا الأمر ، فيلجأ إليه متضرعا متوسلا ، وقد ورد الأمر قصد الدعاء في ثلاثة نصوص :

أولاها : ما جاء على لسان الملائكة ويمثله قوله عز وجل : { الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم * ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم* وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم } [4] .

والجلي في هذا النص تواتر أفعال الأمر (اغفر ، قهم ، أدخلهم ، قهم)

فإن تتالي الأمر هنا له دلالالته الأسلوبية التي تدل على قمة التذلل والتضرع لله تعالى من قبل الملائكة المطهرين وهذا أدعى لاستجابة الدعاء .

ويلحظ في هذا النص تضافر أسلوب النداء المحذوف الأداة (ربنا) كناية عن شدة القرب الشعوري ، ويقينا باستجابة الله لهم ، ومن هنا نرى بناء الجملة الدعائية في النص تتابع لأفعال الأمر، واستباق لأسلوب النداء الرهيف القريب .

---

[1] - الزمخشري ، ٣/ ٤٥٣ .

[2] - الحديد ، ١٢ .

[3] - الفراء ، معاني القرآن ،٣/ ١٣٢ .

[4] - غافر ، ٧ - ٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والنص الثاني الذي يأتي فيه الأمر قصد الدعاء ما جاء على لسان امرأة فرعون ، حيث يقول الله تعالى : { وضرب الله للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ...} [1] .

إن النص يصور الحالة الشعورية التي تستولي على تلك المرأة المؤمنة التي تعيش في بيئة كافرة ، وهذه حالة تحتاج إلى معين يثبتها ، فتلجأ إلى الله بالتضرع والدعاء وتسأله أن يبني لها بيتا في الجنة . والملاحظ أن القرآن قدم الظرف (عندك) على المفعول (بيتا) ،وهو دليل على أنها اختارت جيرة الله قبل البيت وهذا مثل شائع (الجار قبل الدار) .

والنص الثالث الذي خرج فيه الأمر لإفادة الدعاء قوله تعالى { يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير }[2] .

والملاحظ على النص القرآني أنه جاء على لسان المؤمنين في الحساب .وهو- بلا شك - وقت عصيب بما يحيط به من رهبة الموقف ، وخوف العذاب ، والمؤمنون في الآخرة يعطون من النور على قدر أعمالهم ؛ حتى يجوزوا به الصراط المظلم . فهم بحاجة إلى النور بوصفه الوسيلة التي توصلهم إلى بر الأمان ، وحينئذ يتوجهون إلى الله تعالى بالتضرع والدعاء ، ويسألونه أن يتمم لهم هذا النور، وقد روى الزمخشري عن ابن عباس قوله :" يقولون ذلك إذا طفيء نور المنافقين إشفاقا "[3] ، ومن هنا نرى قيمة الدعاء الذي أفاده الأمر .

٤- النصح والإرشاد

ويرد الأمر نصوص الجنة لإفادة غرض يتفق مع الهدف القرآني العام وهو تحقيق العبودية الحقة لله وحده ، وهذا الهدف يحتاج إلى أساليب متعددة تدعو إليه ، وترسخه في ذهن المخاطب وقلبه ، ومن هذه الأساليب النصح والإرشاد ، وهو غرض بلاغي يحققه أسلوب الأمر .

---

[1] - التحريم ، ١١ .

[2] - التحريم ، ٨ .

[3] - الزمخشري ، ٤/ ١٣٠ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن بديع ذلك ما ورد في الآيتين التاليتين المتقاربتين حيث يقول تعالى : { وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين } [1] .

وقوله تعالى : { سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ... } [2] .

والملاحظ على النصين أنهما صدرا بفعلي الأمر (سارعوا ، سابقوا) .

وهما فعلان خرجا عن أصل وضعهما إلى إفادة غرض بلاغي يتمثل في نصح المؤمنين وإرشادهم إلى طريق توصلهم إلى مغفرة الله تعالى ، ودخول الجنة الأبدية

من خلال المسارعة والمسابقة إلى طاعة الله عز وجل ، والفعلان أعني (سارعوا) و (سابقوا) صادران عن الخالق العالم بالعباد ، فقد يتكاسل المرء عن العبادة ،ويركن إلى الدنيا وملذاتها ، فتأخذه في حضنها ، فيجري فيها ناسيا أن وراءه يوما ثقيلا يفضي به إلى جنة أو إلى نار ، فيوجهه القرآن إلى الرجوع نحو الحق .

ولفظ المسارعة والمسابقة (المفاعلة) الذي يقتضي التشارك يوميء بأن ثمة سباقا ومتسابقين، وجوائز ، وقد جاء ذلك في ثوب حسي مشاهد ومعروف لدى المخاطب؛ جريا على المسابقات الدنيوية. والنصح والإرشاد في هذا الجو المشحون بالتيه والضياع في حبائل الدنيا وخدائعها له قيمته الدلالية ، وبخاصة إذا كان الناصح عظيما، والمرشد عالما بأن هذه المسابقات الزائلة لا تفضي بصاحبها إلا إلى الهلاك ، وأنها لا تعني شيئا بالنسبة للدار الآخرة " فليس السباق إلى إحراز اللهو واللعب والتفاخر والتكاثر بسباق يليق بمن شبوا عن الطوق ،وتركوا عالم اللهو واللعب للأطفال والصغار ، إنما السباق إلى ذلك الأفق ، وإلى ذلك الهدف ، وإلى ذلك الملك العريض (جنة عرضها كعرض السماء والأرض) [3]، وهذا ما أفاده الأمر هنا إذ خرج إلى غرض النصح والإرشاد .

وقريب مما سبق قوله تعالى :{ يسقون من رحيق مختوم * ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون } [4] ، ونلاحظ أن القرآن الكريم بعد أن ذكر نعيم الجنة الخالد أراد أن يوجه القارئ إلى المراد من ذكر هذا النعيم ، وهو التنافس في الطاعات للوصول إلى الجنات، و توسل القرآن لإيصال هذا الهدف باستخدام أسلوب الأمر(فليتنافس)

---

[1] – آل عمران ، ١٣٣ .

[2] – الحديد ، ٢١ .

[3] – قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ، ٣٤٩٢/٦.

[4] –المطففين ، ٢٥،٢٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد خرج الأمر هنا عن معناه الأصلي إلى غرض بلاغي يلمسه القارئ من سياق الآيات ، ومقام الكلام . ويتمثل هذا الغرض في إرشاد العباد إلى حقيقة التنافس وظروفه ، وكيفيته ..

فإذا كان الناس يتنافسون في مال ،أو شهرة ،أو جاه ، فإن التنافس الحقيقي يكون في الحصول على ا لجنة التي لا تزول ،ولا يفنى نعيمها ، وفي هذا تنبيه للمتلقي، ونصح له وحث على الأمر المراد واللطيف أن لفظ (التنافس) لم يرد في القرآن إلا في هذه الآية ، مما يدل على قصر هذا العمل الإنساني على الدار الآخرة .

٥- **الالتماس :-** يعد الالتماس من الأغراض الأسلوبية التي يخرج إليها الأمر ضمن سياقات الكلام ، ومقتضى الحال ومعناه طلب الفعل على سبيل التلطف- من دون استعلاء – والتضرع . كقولك لمن يساويك في الرتبة افعل [١] ، وقد ورد الأمر بهذا المعنى في آية واحدة هي قوله تعالى : { فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابية } [٢] .

جاء سياق الآية في مجال الحديث عن أصحاب اليمين الذين يؤتون كتابهم باليمين دليلا على نجاتهم من النار ، وفوزهم بالجنة ، وتشير الآية إلى من يتسلم كتابه بيمينه أنه يتوجه إلى غيره وهو يحمل كتاب النجاة المتضمن الإذن الإلهي بدخول الجنة ويطلب منهم أن يقرأوه ، عن طريق استخدام أسلوب الأمر في قوله (هاؤم ، اقرأوا).

ويلحظ أن ثمة إشارتين دالتين على الأمر إحداهما : (هاؤم) وهو اسم فعل بمعنى خذ [٣] ، والثانية (اقرأوا) ، وهو فعل أمر مسند إلى واو الجماعة .

وقد خرج الأمر من معناه الحقيقي الدال على الطلب الإيجابي على وجه الاستعلاء إلى الالتماس، فالمؤمن يطلب من أهله وقرابته وأصحابه أن يقوموا بالقراءة ، ولعل الالتماس هنا دال على الرغبة في حصول القراءة إظهارا للاعتزاز والفخر بمركزه ومكانته مع الناجين وبهذا الشأن يقول صاحب التفسير الكبير :" اعلم أنه لما أوتي كتابه بيمينه، ثم إنه يقول :(هاؤم اقرءوا كتابية) دل ذلك على أنه بلغ الغاية في السرور ؛

---

[١] – ينظر القزويني ، الإيضاح ، ٢٤٣ .

[٢] – الحاقة ، ١٩

[٣] – ينظر ابن هشام ، مغني اللبيب ، ٣٤٩/٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لأنه لما أعطي كتابه بيمينه دل على أنه من الناجين ، ومن الفائزين بالنعيم ، فأحب أن يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا بما ناله ، وقيل : يقول ذلك لأهل بيته وقرابته "[1] .

٦ - التمني : - وهو معنى الأغراض الأسلوبية التي يخرج إليها الأمر ، ومعناه " طلب حصول شيء محبوب بشرط أن يكون مستحيلا أو ممكنا لا يتوقع حصوله " [2] .

ويبدو لأول وهلة أن هذا الغرض يتناقض مع ما عهد سابقا عن نعيم الجنة ، وما يناله أهلها من تكريم وتفخيم ، غير أن العجب يزول عندما نقول : إن هذا الغرض جاء في حوار أهل النار مع أهل الجنة حين يطلب أهل النار من أصحاب الجنة أن يزودوهم بشيء من النعيم ، كما يظهر ذلك في قوله تعالى : { ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ، قالوا إن الله حرمهما على الكافرين } [3] .

ويرسم النص صورة ذليلة نافرة لأهل النار عندما يقولون - بنغمة انكسار وذله - ويطلبون - برجاء مهين - من المؤمنين أن يسقوهم ويطعموهم ، (أفيضوا) ، وقد خرج الأمر هنا إلى غرض التمني المشوب باليأس القاتل من حصول الأمر المطلوب ؛ " لأنهم قد عرفوا دوام عقابهم ، وأنه لا يفتر عنهم . ولكن الآيس من الشيء قد يطلبه كما يقال في المثل (الغريق يتعلق بالزبد) ،وإن علم أنه لا يغيثه " [4].

وهكذا يتبين أن القرآن يستخدم أسلوب الأمر في نصوص الجنة لتوليد أغراض أسلوبية متعددة ، تسهم في إخراج الدلالة على نحو فني رائع، وكان أهم هذه الأغراض الإكرام والدعاء وهو ما يناسب حالة المؤمنين في الجنة .

وفي ختام هذا الجزء من البحث يبرز تساؤل عن سبب قلة الأساليب الإنشائية في نصوص الجنة ، في حين استحوذت الجملة الخبرية على مساحات واسعة منها ؟ ونجتهد في الإجابة فنقول : إن الإخبار إعلام ، وإفادة السامع خبرا لم يكن يعلمه من قبل ، وهذا هو حال الجنة بما هي عقيدة غيبية أراد القرآن إثباتها وتثبيتها في عقل المتلقي ونفسيته ، وقد أفاد الخبر في هذه النصوص أغراضا تتمثل في تعظيم أمر الجنة ، ومدح أهلها ، وإكرامهم ، وبيان حالهم ولما ثبت ذلك استعمل القرآن بعض الاساليب الانشائية للحث عليها .

---

[1] - الفخر الرازي ، ١١١/٣٠ .

[2] - طبانة ، بدوي ، معجم البلاغة العربية ، باب التمني ، ٦٤٩ .

[3] - الأعراف ، ٥٠ .

[4] - الفخر الرازي ، ٧٦/١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثالثا – ظواهر فنية أخرى :

يعثر الدارس في نصوص الجنة على ظواهر فنية أخرى تبيّن خصائص المشهد القرآني في وصف الجنة ، وهي التصوير ، والمقابلة ، والحوار ، وهي ظواهر تبدو هجاناً لا يجمعها سوى الملمح الفني التعبيري ، وقد أدرجناها في قسم مستقل ، بحيث تشكل مسربا جامعا ، ومنحى يدخلها في الإطار العام للإسلوب القرآني .

– أولاً : التصوير :

التصوير من قولنا : " صوّر الشيء أو الشخص : رسمه على الورق أو الحائط "[1]. بيد أن التصوير يمرّ في مرحلة سابقة عليه وهي التصور الذي يعني : " استحضار صورة شيء محسوس في العقل دون التصرف فيه "[2] إلى أن يتم إخراج الصورة في شكلها الفني النهائي ، ويولي سيد قطب التصوير أهمية قصوى في فهم المشهد القرآني ويعتبره من أهم الأدوات التي يستخدمها القرآن لذلك بقوله " والتصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن "[3]، وهو من العناصر التعبيرية التي استخدمها القرآن في الحديث عن مشاهد الجنة ، وللتصوير أسس ومرتكزات تتضافر فيما بينها جميعاً ليتحقق لها التناسق في الإخراج وهي " التكامل والزاوية ، والإيحاء أو الظل ، والترابط ، والإطار "[4]، ولو طبقنا طريقة التصوير على مشاهد من الجنة لجاز لنا أن نقول : إنّ القرآن قد حقق فيها عناصر التصوير جميعاً .

يقول تعالى : { إن المتقين في مقام أمين * في جنات وعيون * يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين * كذلك وزوجناهم بحور عين **يدعون فيها بكل فاكهة آمنين *لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم***فضلاً من ربّك ذلك هو الفضل العظيم }[5].

إنّ المشهد الذي يصوره القرآن هنا مشهد شاخص للعيان ، فالمتقون في منزلة عالية في الجنة تلك المنزلة التي تقتضي الأمان ، إذ لا فائدة ترجى من حَظوَة يتبعها خوف ، وهنا لفتة ، فقد عدل القرآن عن صفة (آمن) في قولنا (مكان آمن) إلى

١– المعجم الوسيط ، ١ / ٥٤٨.

٢– نفسه ، ١ / ٥٤٨.

٣– قطب ، سيد ، التصوير الفني في القرآن ، ٣٢٠.

٤– فهمي ، ماهر ، المذاهب الأدبية ، ٢٠٧–٢١٠ ، نقلا عن كتاب نظرية التصوير الفني عند سيد قطب .

٥– الدخان ، ٥١–٥٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(أمين)، " استعـــارةً ؛ لأن المكان المخيف كأنما يخون صاحبه بما يلقـــى فيـــه مـــن المكاره "[1].

والحظوَة هذه لا بد أن يتحقق لصاحبها ملامح التكريم الحســـي والمعنـــوي ليتـــم الترابط بين أجزاء الصورة ، ولذا جاء التفصيل المتمثل في العيون والأنهار واللبـــاس والطعام واللذة ، ولهذا النعيم صفة الخلود التي تتسق مع كلمة (أمين) ، وتتفق أيضـــاً مع وقاية الله المؤمنين نار الجحيم ، وبذا يتحقق التكامل .

ولما كانت هذه الصورة في تشكيلها الأساسي كلمات معبرة ، فقد جاء الإيحاء فـــي الألفاظ ، فكلمة (أمين) توحي بالطمأنينة والسلام كما أن لفظ (متقابلين) يرسم ظـــلاً لمجلس السمر السعيد.ولعلّ في تكرار الفعل المضارع (يلبسون ، لا يذوقون ، يدعون) من الحركة ما يدلّ على الاستمرارية في حالة الحبور الذي يليق بالمقام الأمين

وعلى الرغم من أنّ هذه الصورة تتكرر في آيات أخر ، إلاّ أن زاوية الرؤية التي من خلالها صُوّر المشهد تجعله متفرداً عن بقية المشاهد ، وتتمثل هـــذه الرؤيـــة فـــي التناسق ما بين جوّ الصورة العام ، وهو بيان فضل ليلة القدر التي يُفرَق فيها كلّ أمـــرٍ حكيم، بما في ذلك الجوّ من العظمة والدعاء والسلام ، وبين استعراض حالة المتقين من وجهة الزمن المستقبل . وهنا تتم الصورة ، لتأتي بعد ذلك اللمسة الأخيرة لرسم إطارها المتجلي في الاعتراف والتأكيد على الفوز العظيم : (فضلاً من ربّك ذلك هـــو الفـــوز العظيم) .

ومشهد آخر يعرضه القرآن من زاويتين :

– عامة تشترك فيها مشاهد الجنة جميعها ، وهي التفصيل في أصنـــاف النعيـــم وأوصافه .

– وخاصة تأتي من خلال المقارنة بين حالتي التحابّ في الله تعالى والتباغض بين الأخلاء يوم القيامة .ويظهر ذلك في قـــوله تعالى : { الأخلاء يَومئذٍ بعضُهم لبعـــــضٍ عَدوّ إلا المتقين *يا عبادِ لا خوفٌ عليكم اليوم ولا أنتم تَحزنون *الذين آمنـــوا بآياتنـــا وكانوا مسلمين *ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تُحبرون *يطاف عليهم بصحاف من ذَهَب وأكوابٍ وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين وأنتم فيها خالدون *وتلـــك الجنّـــة التـــي أورثتموها بما كنتم تعملون *لكم فيها فاكهةٌ كثيرةٌ مِنها تأكلون }[2].

١- الزمخشري ، ٣ / ٥٠٧.

٢- الزخرف ، ٦٧-٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعـــرض المشهد مظاهـــر النعيم ولكن بطريقته الخاصة هنا ، فيذكر الخـــاص : (بصحاف من ذَهبٍ وأكواب) ، لينتقل بعد ذلك إلى العام : (وفيها ما تشتهيه الأنفـــس وتلذّ الأعين) ، ويعود مرة أخرى إلى الخاص : (لكم فيها فاكهة كثيرة منها تـــأكلون) وتعدد الانتقالات من الخصوص إلى العموم ثم إلى الخصوص يومـــــئ بتعـــدد النعيـــم وتكامله .

ويكمن الربط بين أجزاء الصورة عن طريق التناسق بين الجزاء فـــي قولـــه : (أورثتموها) والعمل في قوله : (بما كنتم تعملون) ، أما ظل الصورة فانه ينكشف مـــن خلال ما تبثّه كلمة : (أورثتموها) من ملامح لطيفة لصفة البقاء ؛ " وشبهت في بقائـــها على أهلها بالميراث الباقي على الورثة "[1].

ويبقى الإطار الذي يرسمه القرآن من خلال المعنى الذي يتضمنه قوله تعـــالى : (وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين) هذا المعنى الذي يتناسب كليّاً مع اســـم الســـورة الزخرف الذي يعني ، " النقوش ، وقيل : التزاويق " [2].

والتصوير بهذا التشكيل يساعدنا في استكشاف الملمح العام للمشهد القرآنـــي فـــي وصف الجنة .

١- الزمخشري ، ٣ / ٤٦٩.

[2] - الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ١٦/٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ثانيا : المقابلة :

تعد المقابلة من عناصر الإبداع الفني في القرآن ، وتعرّف بأنها " ذكر الشيء مع ما يوازيه في بعض صفاته ، ويخالفه في بعضها ، ... وهي قريبة من الطباق ، والفرق بينهما من وجهين : الاول أن الطباق لا يكون إلا بين الضدين غالبا ، والمقابلة تكون لأكثر من ذلك غالبا ، والثاني لا يكون الطباق الاّ بالأضداد ، والمقابلة بالأضداد وغيرها " [١] ويُقصد إلى المقابلة في آيات الجنة عادة لإبراز الفرق بين صورتين كأن تكون إحداهما حسنة ، والأخرى سيئة ، أو بين فريقين : أولهما هادئ مطمئن إلى نهايته السارة ، والآخر سوداوي المنظر مأساوي المصير . وأياً كانت المقابلة ، فإنها وسيلة من وسائل التعبير ، استخدمها القرآن في إظهار النعيم العظيم مقابل العذاب السرمديّ لأهل النار ، على نحو ما يتضح من قول الشاعر :

..... وبضدّها تتميّز الأشياءُ

ويلمس الدارس انتشار هذه الظاهرة في القرآن بشكل لافت ، فكلما جاء ذكر للجنة أردفه القرآن بذكر النار ، أو العكس وفي هذا يقول الخالدي : " وقلما تخلو صورة من صور النعيم الذي يلاقيه المؤمنون في الجنة – سواءٌ كان حسّياً أو معنويّاً – من صورة أخرى تقابلها لعذاب أهل النار حسّياً أو نفسيّاً " [٢]، بيد أن هذا التقابل قد يقصر في بعض الأحيان عند التقرير أو إظهار الحكم النهائي ، كقوله تعالى : { يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً *ونَسوق المجرمين إلى جهنّم وِرداً }[٣]، فالمقابلة هذه – على قِصَرها – إلا أن التقابل بادٍ في كل لفظة وفي كلّ معنى:(يوم نَحشر المتقين إلى الرّحمن وفداً) نحشر المتقين مضافة إلى الرحمن " إذ لفظ (الحشر) فيه جمع من أماكن متفرقة وأقطار شاسعة على سبيل القهر ، فجاءت لفظة (الرحمن) مؤذنةً بأنهم يحشرون إلى من يَرحمهم "[٤]، في مقابل (ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً) ، هكذا كسوق الدّواب مضافة إلى (جهنم)[٥].

١- الزركشي ، ٣ /٥١٥ .

٢- الخالدي ، صلاح ، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ،١٦٣.

٣- مريم ، ٨٥-٨٦.

٤- الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ،. ٦/ ٢٠٣.

٥- أما ما ورد في سورة الزمر ، من لفظ السوق في مجال وصف دخول المؤمنين الجنة فقد " عبر عن الإسراع بهم إلى دخول الجنة مكرمين بالسوق ، والمسوق دوابّهم ؛ لأنهم لا يذهبون إليها إلا راكبين ، ولمقابلة قسيمهم ساغ لفظ السوق " ينظر الاندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٧ / ٤٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولفظ (وفدا) فيه تقدير لشأنهم وذلك " كما يفد الوفاد على الملـــوك منتظريـــن للكرامة عندهم "[1]، ولكن دون انصراف عنهم ، في حين أن المجرمين يســـاقون كمـــا تساق الإبل العطشى إلى الماء ، وأي ماء ! ولا تقتصر هذه المقابلة على الصورة فقط ، وإنما تتعدى ذلـــك إلى التناسب في الفواصل وجرس الكلمات (المتقين ، المجرمين) و (وفدا ، وردا) .

وقد تطول المقابلة بين مشهدي النعيم والعذاب ، وإذا ما استعرضنا المشاهد كلـــها فإننا سنمضي بعيدا في التفصيل والإطالة ، لذا سنقتصر في دراستنا على هذه المشـــاهد الثلاثة :

- المشهد الأول :

قال تعالـــى : { هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب *جنات عـــدن مفتحـــة لـــهم الأبواب *متكئين فيهـــا يدعون فيها بفاكهـــة كثيرة وشراب *وعندهم قاصرات الطرف أتراب *هذا ما توعدون ليوم الحساب **إن هذا لرزقنا ما له من نفاد** *هذا وإن للطاغين لشر مآب *جهنم يصلونها فبئس المهـــاد *هذا فليـــذوقوه حميـــم وغساق *وآخر مـــن شكله أزواج }[2].

مشهدان متقابلان في العموميات أولا ، وفي خصوصيـــات كـــل مشـــهد ثانيـــا ؛ فالمتقون لهم المآب الحسن ، في مقابل مآل الطاغين السيء ، والمتقون يدخلون الجنـــة الواسعة ، ويطعمون فيها من الفواكـــه المتنـــوعة ، ويشربون الخمر السائغ ، وفي لفظ (يدعون) بديعة تدل على أن عندهم من يستخدمونه في ما يستدعون ، كما بينت ذلـــك آيات أخرى كقوله تعالى : { يطوف عليهم ولدان مخلدون }[3]، وهم بعد ذلك يتمتعـــون بالنساء العفيفات الشابات .

وهذا النعيم كله تقابله أصناف العذاب ؛ فمصير الطاغين نار جهنم ، وتأتى كلمـــة (مهاد) التي تدل في ظاهرها على معنى الراحة، ولكنها راحة بئيسة (فبئس المـــهاد) أما شراب أهل النار فهو الماء المغلي الذي يصهر به ما في بطونهم والجلود ، " ومـــا يغسق من صديد أهل النار "[4].

١- الأندلسي ،تفسير البحر المحيط ، ٦ / ٢٠٣.

٢- سورة ص ، ٤٩-٥٨.

٣- الواقعة ، ١٧.

٤- ينظر الزمخشري ، ٣ / ٣٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي كلمة (فليذوقوه) دلالة نفسيّة ؛ فأصحاب النار يشربون هذا الحميم الغسلق بأيديهم ، وهذا أشق عليهم وأصعب ، ولم يقل الله تعالى (فليشربوه) ، بل يكفي مجرّد تذوق هذا الماء لكي يعرفوا شدة العذاب وقسوته .

ولكن أين المقابلة في النساء ؟ فالمؤمنون (عندهم قاصرات الطرف أتراب) ، ولا يعثر المرء لأول وهلة على ما يقابل ذلك عند أصحاب النار ، غير أنّه عندما ننعم النظر في كلمة (أزواج) : (وآخر من شكله أزواج) ، فإنّ المبهم يعرف إذ يوجد " في هذه الكلمة مشاكلة لفظية مع قاصرات الطرف ، أزواج أهل الجنة لمجرد السخرية والتهكم الملحوظيْن في اللفظ "[1].

– المشهد الثاني :

قال تعالى : { يومئذ تُعرضون لا تخفى منكم خافيَة *فأمّا من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيَهْ *أني ظننت أني ملاقٍ حسابيَهْ *فهو في عيشةٍ راضيةٍ *في جنة عاليةٍ *قطوفها دانية *كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية *وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيَهْ *ولم أدرِ ما حِسابيَهْ *يا ليتَها كانت القاضية *ما أغنى عني ماليَهْ *هلك عني سلطانيَهْ }[2].

يتوسّل المشهد هنا بعنصر التقابل ، التقابل بطريقة العرض وحركته ، والتقابل في جرس الأصوات والكلمات التي تكشف عن نفسيتين متضادتين : يبدأ المشهد بعرض " مجلس قضاء تمّ فيه الحشد ، وليبدأ الاستعراض حيث لا تخفي خافية "[3]. ويستمر العرض بالتركيز على المكان – اليمين والشمال – لارتباطهما في ذهن الإنسان العربي بالخير والشر والتفاؤل والتشاؤم ، ثم يتعمّق المشهد في حركة العرض ؛ حركة المؤمن وقد أخذته البهجة فيتوجه توّاً إلى الجمهور مشيراً : (اقرأوا كتابيه) دون خوف أو وجل . ويرتدّ الزمن نحو الماضي ، حيث يبدأ شريط تذكر الأعمال التي توجب هذا المصير : (إني ظننت أني ملاقٍ حسابيه) ، والظن هنا بمعنى اليقين .

أما حركة صاحب الشمال ، فيرسم لها السياق صورة ذليلة توحي بالحسرة والندم يشيح هذا الكافر بوجهه عن الجمهور متأوّهاً ندماً ، لينكسر الزمن نحو الماضي مرة أخرى ، ويستعيد فيه تبجحه واغتراره بسلطانه وماله اللذين لم يُغنيا عنه شيئاً .

١– قطب ، سيد ، مشاهد القيامة ، ٨٥.

٢– الحاقة ، ١٨–٢٩.

٣– قطب ، سيد ، مشاهد القيامة ، ١٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم هو – أي المشهد – بعد ذلك يعكس تقابلاً في جرس الأصوات المتسقة تماماً مع المعنى ؛ فصوت الهاء الساكن يناسب الحالتين : حالة الفرح حيث النفَس العميق ، وتخفيف العبء في داخل الإنسان ، وحالة التحسّر حيث التأوّه والنفَس اللاهث وتسارع الضربات .

– المشهد الثالث :

قال تعالى : { هل أتاك حديث الغاشية *وجوهٌ يومئذٍ خاشعة *عاملة ناصبة *تصلى ناراً حامية *تُسقى من عينٍ آنية *ليس لهم طعام إلا من ضريعٍ *لا يُسمن ولا يُغني من جوعٍ *وُجوهٌ يومئذ ناعمة *لسعيها راضية *في جنة عالية *لا تسمع فيها لاغية *فيها عين جارية *فيها سررٌ مرفوعة *وأكوابٌ موضوعة *ونمارق مصفوفة *وزرابيّ مبثوثة }[1].

يستهل المشهد بالاستفهام عن يوم القيامة وهو " استفهام توقيف ، وفائدته تحريك نفس السامع إلى تلقّي الخبر "[2]. وعلى خلاف المشهدين السابقين اللذين ابتدأا بالحديث عن أصحاب الجنة ، يفتتح المشهد هنا بالإخبار عن أصحاب النار ليتسق مع ذلك صفة الغاشية .

وتبدو المقابلة في هذا المشهد متناسقةً في الجزئيات ؛ فالوجوه الخاشعة للكافرين التي تنكبت طريق الله تعالى ، وطريق الرسول – صلى الله عليه وسلم – تقابلها وجوه المؤمنين الناعمة ، التي عملت بما يرضي لله فرضيت .

والمقابلة أيضاً في الجزاء ، والجزاء من جنس العمل ، ويورد المشهد ملامح من العذاب الحسي لأهل النار ، وملامح من النعيم الحسي لأهل الجنة ؛ فأهل النار يصلون النار الحامية ، ويلحظ الدارس تركيز المشهد على حاسة البصر المتمثلة في لون النار وحاسة اللمس المتمثلة في صفة النار الملتهبة ، وهذا مما يعمق الأثر النفسي للمشهد ، أما المؤمنون فهم في جنة عالية ، وكِلا الفريقين يأكلون ويشربون ، ولكن شتّان ما بين قوت أجسام الكفار ، وهو الماء الحار ، والطعام الذي لا يسمن ولا يغني من جوع نفياً لفائدته " كما تقول ليس لفلان ظلّ إلا الشمس "[3]، وبين طعام أهل الجنة وشرابهم .

١– الغاشية ، ١–١٦.

٢– الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٨ / ٤٥٧.

٣– الزمخشري ، ٤ /٢٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمؤمنون لا يسمعون في الجنة ما ينغص عليهم حياتهم الهنية ؛ فكلامهم الحمد والتسبيح : (لا تسمع فيها لاغية) ، ويكفي الكفار تنغيصاً فوق عذابهم ذلك الاصطراخ المنبعث من أفواههم ، بلْه صوت النار نفسه كما يصفه القرآن في آية أخرى : { إذا ألقوا فيها سَمعوا لها شَهيقاً وهي تفور * تكادُ تميز من الغيظ ... }[1].

" وهكذا جرت العادة في القرآن غالباً متى جرى ذكر الكفار وما لهم ، أعقب بالمؤمنين وما لهم وبالعكس ؛ لتكون الموعظة جامعة بين الوعيد والوعد ، واللطف والعنف ؛ لأنّ من الناس من لا يجذبه التخويف ، ويجذبه اللطف ، ومنهم من هو بالعكس "[2].

ولا تتم المقابلة بين صورتين حاضرتين لأهل الجنة وأهل النار وحسب ، بل يمكن أن تكون بين زمنين لصورة واحدة ، أو " بين صورتين : إحداهما حاضرة الآن والأخرى ماضية في الزمان ، حيث يعمل الخيال في استحضار هذه الصورة الأخيرة ليقابلها بالصورة المنظورة "[3]، كقوله تعالى : { إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً *عيناً يَشرب بها عبادُ الله يفجرونها تفجيراً *يوفون بالنّذر ويخافون يوما كان شرّه مُستطيراً }[4]، فالصورة الحاضرة هنا صورة المؤمنين وهم في الجنة ، ولكنّ السياق القرآني ينتقل ليرسم لهم صورة ماضية في الدنيا ، حين تبيّن تلك الصورة الأعمال التي استحقوا من أجلها هذا المصير .

ولعلّه من المناسب أن نذكر أيضاً أنّ للمقابلة بين المشاهد المتعاكسة وظيفة جليلة تتناسق والغرض الديني المتمثل في تعميق أسلوب الترغيب والترهيب للوصول إلى عبادة الله تعالى .

وبعد .. فإنّ المقابلة بين المشاهد سمة فنية من سمات التناسق القرآني ، هذا التناسق المتجلّي في الكليات والجزئيات ، وفي أسلوب العرض ، والتعقيب ، والإيقاع الموسيقي .

١- تبارك ، ٧-٨.

٢- الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ١ / ٢٥٢.

٣- قطب ، سيد ، التصوير الفني ، ٨٢.

٤- الانسان ، ٥-٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ثالثا الحوار :

ومن طرائق التعبير القرآني عن مشاهد الجنة الحوار الذي يحيي الصورة ، ويرسم حالة شعورية للأطراف المتحاورة ، ولا بدّ أن نشير - قبل التفصيل - إلى قضية السرد التي ظهرت واضحة في وصف الجنة وأهلها ؛ حيث أظهر السرد لهم " صورة من الوداعة وطمأنينة النفس تناسب وصفهم وطبيعتهم "[1]. ويمكن أن نعدّ حديثنا السابق عن الصورتين المحسّة والمعنوية ، وبعض أنماط الجملة الخبرية من قبيل الوصف السردي. أما بالنسبة للحوار فإننا نلحظ تكرار لفظ (قال) ومشتقاته ومرادفاته في مشاهد الجنة ؛ مما يدلّ على وجود طرفين : قائل ، ومقول له ، وهنا ينشأ الحوار

وتكمن وظيفة الحوار في تنامي المواقف وتأزمها لتصل إلى الذروة في التعقيد عن طريق الصراع، بيد أنّ حوارات القرآن في صفة الجنة وأهلها لا تقيم صراعاً ؛ إذ لا طائل من ورائه ، وبخاصة بعد أن أُنزل الناس منازلهم ، ومن هنا " تقل الحوارات أو تقصر أو تنعدم ويحلّ محلّها الوصف "[2]، على النقيض تماماً في حالة أهل النار ؛ إذ يشتد الحوار بينهم ويمتد ويتراشق أهل النار التّهم ، ويلقي كلّ على صاحبه سبب التضلال .

ولو نظرنا الى مشاهد حوار أهل الجنة في الاحاديث القدسية لرأيناها تزداد وتكثر وهذا يفسّر لنا طيّ القرآن للحوار في مشاهد الجنة في كثيرٍ من الأحيان ليفصّل الحديث عنها في الأحاديث القدسية .

ومن العجيب أن مشاهد الحوار لأهل النار تقل في الأحاديث القدسية ، حيث بلغت " مشهدين من أصل أربعة وثلاثين مشهداً من المشاهد العامّة يوم القيامة "[3]. إذ إن أهل النار " لا يحظون بمحاورة ربّهم ، ولا يتجرأون على ذلك ، وإنما يتجهون إلى خزنة جهنّم فلا يزيدونهم غير قولهم : إنكم ماكثون "[4]، ولعلّ هذا من قبيل الترابط والتكامل بين القرآن الكريم والأحاديث القدسية بخاصة .

ومهما يكن ، فإنّ للحوار قيمة عليا تكشف عن نفسيات النماذج المتحاورة ومدى تأثرها بالمصائر التي آلت إليها كل فرقة ، بل " إن الحوار يجب أن يكشف لنا عن

١- الظواهري ، بدائع الإضمار القصصي ،٨٣.

٢- نفسه ، ٢٧٣.

٣- النعيم ، علي ، الاحاديث القدسية - دراسة في البنية اللغوية والنظم الاسلوبي ، ٨٧ .

٤- نفسه ، ٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشخصية وكلّ كلام يجب أن يكون ثمرةً لمقومات المتكلم الثلاثة أي ؛ أبعاد شخصيته الثلاثة : الماديّة أو الجسمانيّة ، والاجتماعية ، والنفسية "[1].

ولقد تقصر مشاهد الحوار ، حتى لتغدو لمحات تقريبية تشي بالهدوء النفسي للمؤمنين ، كقوله تعالى : { لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً *إلاّ قيلاً سلاماً سلاماً }[2]. " فهنا المحاورة طابعها التسليم الراضي "[3].

وقد تطول المحاورة وتمتد ، حتى ليخيل للقارئ أنّه يشاهد موقفاً حركياً حيّاً ، " فما يكاد يبدأ العرض حتى يُحيل المستمعين نظارة ، وحتى ينقلهم نقلاً إلى مسرح الحوادث الأول الذي وقعت فيه أو ستقع "[4].

وتتعدد أطراف الحوار في مشاهد الجنة ؛ فمن حوار أهل الجنة بعضهم مع بعض كشأن هذه المحاورة التي وردت في سورة الطور ، قال تعالى : { وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون *قالوا إنّا كنا قبلُ في أهلنا مشفقين * فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السَّموم *إنا كنّا من قبلُ ندعوه إنّه هُوَ البرّ الرّحيم }[5].

بعد أن فصلت الآيات السابقة النعيم الحسّي والنفسيّ لأهل الجنة ، عرض لنا المشهد حواراً يجري بينهم مصورا كيف " يتحادثون و يسأل بعضهم بعضاً عن أحواله وأعماله وما استوجب به نيل ما عند الله "[6] من التكريم ، وهنا يُظهر الحوار الأعمال التي كانوا يؤدّونها ، فقد كانوا مشفقين من خشية الله ، مما حَدا بهم إلى أن يتوجّهوا بالدعاء إلى ربهم الرّحيم كي ينقذهم من عذاب جهنم اللافح . ويتمثل الهدف من الحوار في هذا المشهد إلى تبيان حالتين للمؤمنين : الأولى في الجنة – عالم الغيب – حيث الاستقرار والهناء والخلود ، والثانية في الدنيا – عالم الشهادة – حيث الخوف والدعاء .

واللافت للنظر في أسلوب الحوار في هذا النص وفي غيره ذلك الانتقال في الزمن حيث يبدأ الحوار من اللحظة الحاضرة في الجنة (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) ثم ينتقل الزمن إلى الماضي (إنا كنا مِن قبلُ ندعوه) ، وهذا ما يسمى في النقد الحديث بـ (الاسترجاع) ، " ويتمثل في إيقاف السّارد لمجرى تطور أحداثه ليعود

١- ايجري ، لايوس ، فن كتابة المسرحية ، ترجمة دريني خشبة ، ص٤١١.

٢- الواقعة ، ٢٥-٢٦.

٣- الظواهري ، ٨٢.

٤- قطب ، سيد ، التصوير الفني ، ٣٢.

٥- الطور ، ٢٥-٢٨.

٦- الزمخشري ، ٤ / ٢٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لاستحضار أو استنكار أحداث ماضية "[1]، ويمكن أن نصف هذا الاسترجاع بالخارجي الذي تظل فيه الأحداث " خارج النطاق الزمني للمحكي الأول ، ويوظف عادة قصد تزويد القارئ بمعلومات تكميلية تساعده على فهم ما جرى ويجري من أحداث "[2].

ويشابه ذلك المشهد مشهداً آخر في سورة الصافات ، ولكنه يفترق عنه بأنه حوار يبدأ بين أهل الجنة ، وتشترك فيه الملائكة ، مع توجيه حاسة البصر نحو القرين الذي كان مصيره النار ، قال تعالى : { فأقبل بعضهم على بعض يَتساءلون *قال قائل منهم إنّي كان لي قرين *يقول أإنك من المصدّقين *أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمدينون *قال هل أنتم مطّلعون *فاطّلع فرآه في سواء الجحيم *قال تالله إن كدتَ لتُردين *ولولا نعمة ربي لكُنت من المحضَرين }[3].

وعلى غرار الآيات المكية التي تفصل الحديث عن النعيم ، ينتقل النص من أسلوب السرد الوصفي إلى أسلوب حوار يدور بين المؤمنين في الجنة ، يسترجعون فيه ذكرياتهم في مجلس سمر ويتساءلون ، " وتساؤلهم في الجنة سؤال راحة وتنعّم ، يتذاكرون نعيمهم ، وحال الدنيا ، والإيمان وثمرته "[4]، فيخبر أحدهم ما وقع بينه وبين قرينه أيّاً كان هذا القرين ، ولا يهمنا هنا اختلاف المفسرين في القضية التي يدور الحوار حولها[5].

ويستمر الحوار في عالم الغيب بين المؤمن وصاحبه الكافر الذي يلومه على محاولة إغوائه لولا نعمة الله عليه ، ولا يجد القارئ هنا جواباً للكافر ، ولعلّ سبب ذلك عائد إلى حالة التبكيت التي مُنِيَ بها بعد هذا الحوار المرير ، ويلحظ الدارس في هذا النص إيقاعاً للحوار يتمثل في الانتقال عبر الأزمنة ، وفي أسلوب الاستفهام والتأثير الوجداني .

ومن مشهد حوار أهل الجنة إلى مشهد حواري آخر ، ولكنه هذه المرة مع طرفي نقيض ، وحوار الضدّين في مفهوم الأدب المسرحي يوحي بالصراع والمقاومة العنف ولكن أسلوب القرآن المتفرد غير ما يعتقده البشر ؛ إذ لا يحدث هنا صراع ألبتة ، ولعل

١- بوطيب ، عبد العالي ، إشكالية الزمن في النص السردي ، فصول ، مج ١٢ ، عدد ٢ ، ١٣٤،

٢- نفسه ، ١٣٥.

٣- الصافات ، ٥٠-٥٧.

٤- الأندلسي ،تفسير البحر المحيط ، ٧ / ٣٤٥.

٥- قرأ الجمهور بتخفيف الصاد من التصديق (المصدّقين) ، وفرقة بتشديد الصاد (المصّدقين) ،ينظر الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٣٤٥/٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ظاناً يظنّ أنّ ذلك مَنحى ضعف في التركيب الحواري للنص ، وليس الأمر كما يظنون ، " وليس ضعف هذه القوة وانعدام المقاومة في الحوار دليلاً على ضعف البناء وإنما قد يستدعي الموقف ذلك إذا كانت إحدى القوتين غالبة من البداية والأخرى مقهورة "[1]، وهذه هي حالة أهل الجنة وأهل النار يوم القيامة .

قال تعالى : { كلّ نفسٍ بما كسَبت رهينة *إلا أصحابَ اليمين *في جنات يتساءلون *عن المجرمين *ما سلككم في سقر *قالوا لم نكُ من المصلّين *ولم نك نطعم المسكين *وكنّا نخوض مع الخائضين *وكنا نكذب بيوم الدين *حتى أتانا اليقين *فما تنفعهم شفاعة الشافعين }[2].

حوار حركي ظاهر للعيان بين طرفين ، فبعد أن استقر أهل الجنة في الجنة ، واستقر أهل النار في النار ، أخذ الأولون يسأل بعضهم بعضاً عن الكفار وبما استوجبوه من العذاب ، بضمير الغيبة ، وهنا التفات في الكلام هدفه التحقير لشأنهم : (ما سلككم في سقر ؟!) وسؤال أهل الجنة فيه تهكّم ؛ فأهل الجنة يعرفون سبب تعذيب أهل النار ، فيجيبونهم بإيراد الأعمال التي استحقوا بها العذاب : (لم نكُ من المصلّين) ، ليأتي بعد ذلك صوت من الله تعالى أو من ملائكته قائلاً : (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) .

وليس الأمر مقتصراً على محاورة المؤمنين بعضهم بعضاً ، أو محاورتهم الكافرين وحسب ، إنما تشترك في الحوار فئة أخرى هي من أصحاب النار قطعاً ، ولكن القرآن لا يسمّيهم الكافرين بل المنافقين . قال تعالى : { يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم *يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبسْ من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نُوراً فضُرب بينهم بسورٍ له بابٌ باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذابُ *ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنّكم فَتَنتم أنفسكم وتربّصتم وارتبتم وغرتكم الأمانيّ حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور *فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النّار هي مَولاكم وبئسَ المصير }[3].

١- الظواهري ، ٧٦..

٢- المدثر ، ٣٨-٤٨.

٣- الحديد ، ١٢-١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مشهد حواري يبرز فيه – من جانب – نوع من التكريم المعنوي للمؤمنين ، غير أنّه مليء بالأسى والحسرة من الجانب الآخر ، تماماً كما الباب الذي باطنه فيه الرحمة وظاهره العذاب .

إنها صورة حوارية تضج بالحركة والحركة المقابلة ؛ فأهل الجنة يشع النور من وجوههم ويلفّهم بنداه الرهيف ، إشعاراً بحب الله لهم ، والمنافقون الذين كانت قلوبهم مظلمة في الدنيا يستجدون استجداء الذليل ، ويطلبون شيئاً من نور ، فيناديهم صوت مجهول ، لعلّه صادر من الملائكة أو من المؤمنين ، وأياً كان فهو : " صوت للتهكّم والتذكير بما كان منهم في الدنيا من نفاق ودسّ في الظلام "[1] (ارجعوا وراءكم) ، ولكن .. هل ييأسون ؟ وعلى الرغم من انعدام حاسة الرؤية بالسُّور " ويبدو أنه سُورٌ يمنع الرؤية ولكنه لا يمنع الصوت "[2]، إلاّ أنّ المنافقين مستمرون في استجدائهم وهذه طبائعهم الخبيثة لقد كنا معكم في الزمن الأول ، فيناديهم الصوت نفسه : في ظاهر الأمر –نعم – ولكنّكم لم تكونوا صادقين ، فالمكائد والطمع كان سمتكم ، وينتهي المشهد قبل إنزال الستارة بتقرير يوحي باليأس والإحباط والتسليم المقهور ، (مأواكم النّار ...) .

ولعلّ إيقاع الحوار في الدلالة على الزمن الظاهر في تكرار كلمة (يوم) له حضوره ، وتركيز النص على حاستي البصر والسمع يوحي بالحركة وأن هناك مشاهدين يسمعون وينظرون .

تلك هي سمات حوارية النص القرآني : التفات في الزمن والحركة والمصير ، وأسلوب في العرض قدير .

والمشهد الحواري الأخير الذي أمامنا مشهد متنوع الحركة ، تشترك فيه أطراف عدة ، ويمكن لنا أن نقسّمه ثلاثة أقسام : يتم القسم الأول من الحوار بين أهل الجنة وأهل النار ، ويأتي الحوار في القسم الثاني على لسان أهل الأعراف في تلفت بين الجنة والنّار ، ويكون القسم الثالث بين أصحاب النار وأصحاب الجنة . ويلحظ من هذا التقسيم تبادلية المحاورة المفعمة بالحركة ، ويدخل في هذا الحوار طرف آخر لم نشهده في المواقف السابقة ، وأقصد به أهل الأعراف الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم .

٢- قطب ، سيد ، مشاهد القيامة ، ٢١١.

٣- نفسه ، ٢١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسأدرس المحاورة المتبادلة بين أهل الجنة وأهل النار كي أظهر خصائص الموقفين وسمات حوار كل موقف تاركاً أهل الأعراف ؛ لأن الحوار الذي يدور مجرد لمحات قصيرة ، وهو مجرد سلام مع أهل الجنة في قوله تعالى : { ونادوا أصحاب الجنّة أن سلامٌ عليكم ... }[1]، ومجرد لوم وعتاب لأهل النار : { ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهُم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون }[2].

وسأبدأ الحديث عن حوار أهل الجنة مع أهل النار ، قال تعالى : { ونادى أصحابُ الجنة أصحابَ النار أن قد وجدنا ما وعدَنا ربُّنا حقاً فهل وجدتم ما وعَدَ ربّكم حقاً قالوا نَعم فأذّن مؤذّنٌ بينهم أن لعنةُ لله على الظالمين }[3].

وعلى عادة أسلوب القرآن الكريم في التعبير " بالماضي عن المستقبل ؛ لتحقق وقوعه (ونادى)"[4]، وهذا النداء من قبل أهل الجنة لأهل النار ، وسؤالهم عن تحقيق وعد لله لهم ، وهم يعرفون ذلك تمام المعرفة ، بل شاهدوه بأبصارهم " فيه تقريع وتوبيخ وتوقيف على مآل الفريقين وزيادة في كرب أهل النار "[5]، ويأتي الرد على هذا التساؤل موجزا لامحاً : (قالوا نعم) ، " حيث لا مجال للنكران أو محال ، وعندئذ ينتهي الجدل ويقطع الحوار "[6] : (فأذّن مؤذن بينهم أن لعنة لله على الكافرين) .

هذا حوار أهل الجنة مع أهل النار ، مختصراً موبخاً مقرراً ، فهل جاء حوار أهل النار مع أهل الجنة متسماً بالصفات نفسها ؟ قال تعالى : { ونادى أصحابُ النار أصحابَ الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم لله قالوا إنّ لله حرّمَهُما على الكافرين }[7].

يا لَتناسق القرآن ! سؤال يقابله سؤال وشتّان ما بين السؤالين ، الأول تهكّمي توبيخي يوحي بالقوة ونشوة الانتصار ، والثاني استجداء ذليل يوحي بالانهزام ، وكما جاء الجواب من أهل النار مختصراً : (قالوا نعم) ، جاء الجواب من أهل الجنة كذلك

١- الأعراف ، ٤٦.

٢- الأعراف ، ٤٨.

٣- الأعراف ، ٤٤.

٤- الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٤ / ٣٠٢.

٥- نفسه ، ٤ /٣٠٢.

٦- قطب ، سيد ، مشاهد القيامة ، ٩١.

٧- الأعراف ، ٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

موجـــزاً ، ولكنه يحمل في طياته أعمق معـــاني القنـــوط : (إنّ الله حرمـــهما علـــى الكافرين) .

وقبل أن نطوي موضوع الحوار ، ينبغي الإشارة إلى قضيتين :

– أولاهما : مجيء لفظ القول " غير معزوّ إلى قائل معين ؛ إمعاناً في حضـــور المشهد "[1]، كقوله تعالى : { قيل ارجعوا وراءكم فالتمســوا نــوراً } [2]، وقوله تعالى : { ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون }[3]، وتعلّة ذلك أنّ الأمـــر هنـــا لا يتعلـــق بالفاعل بقدر ما يتعلق بأهمية الحدث ، وقد أشرنا إلى هذه المسألة فـــي بـــاب الحذف [4] .

– والثانية : هي إضمار القول وحذفه بالحوار " لإثارة الخواطر وحفـــز حاســـة التأويـــل لـــدى المتلقيـــن "[5]، ومثال ذلك قوله تعالى : { وأزلفت الجنة للمتقين غـــير بعيد *هذا ما توعدون لكـــلّ أوابٍ حفيظٍ * من خَشِـــيَ الرحمنَ بالغيب وجـــاء بقلـــب مُنيب *ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود }[6].أي : " هذا القـــول هو الـــذي وقـــع الوعـــد به "[7]، وفي لفظ (ادخلوها) إضمارٌ للقول ، ولعلّ الحوار الذي يحذف فيه القول حوار متميّز ، إذ تتمّ المحاورة دون فاصل زمني في نطق القول ، وإعطاء القـــارئ فرصـــة للتفكير بحيث ينزاح ذهنه نحو الحدث ، اكثر من تعلقه بلفظ القول أو القائل .

ولعله يحسن أن نختم الحديث عن الحواربالقول إنّ القرآن قد استعمل الحوار في التعبير عن مشاهد الجنة بوصفه وسيلة فنية ، تؤدي وظائفها في النص القرآني المرتبط ببيان الغرض الديني .

ويتحد الحوار مع التصوير والمقابلة متضافرة مع العنـــاصر البلاغيـــة ، والمقاربـــات الأسلوبية لتشكل في مجموعها الخصائص الفنية العامة لمشاهد الجنة في القرآن الكريم

١- الظواهري ، ٩٤.

٢- الحديد ، ١٣.

٣- الأعراف ، ٤٣.

٤ - ينظر هذا البحث ، ٨٢.

٥- الظواهري ، ٩٦.

٦- سورة ق ، ٣١-٣٤.

٧- الأندلسي ،تفسير البحر المحيط ، ٨ / ١٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهكذا تتجلى روائع الأسلوب القرآني في قوة السبك والنظم ، وفـــي ارتقـاء المعنـــى والدلالة ، وفي جمال البلاغة ، وبهذا يكون القرآن قد جمع خصائص الأسلوب البلاغـي في نصوص الجنة ؛ ليعبر بها عن الجوانب الفكرية المقصودة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

الإبداع اللفظي وقضاياه اللغوية

- الغريب
- الدخيل
- إيهام الترادف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تقديـــــم :

تتصل الدراسة اللغوية التي تقوم على فكرة توظيف المبادئ النقدية بمفهوم اللفـظ المفرد ومعناه المعجمي ، وتشكل دراسة الألفاظ مسلكاً بارعاً يستطيع الدارس من خلاله أن يوقد شمعات ليصل إلى مفهوم النص الكامل ، ويحقق المضامين المراد تحقيقـــها ، غير أنّ الكلمات المفردة ترتبط ارتباطاً وشيجاً بالسياق الفعلي للجملة ، وإنّ محاولـــة تعمل على بتر العلاقة بين اللفظ وسياقه ، أو تحـــاول انـتزاع الكلمـــة مـــن مقامـــها الموضوعة له ، هي محاولة – بلا شك – تقتل كل الظلال اللغويـــة المتصلـــة بـــاللفظ داخلياً وخارجياً .

وإذا قنعنا في دراستنا للبناء اللغوي في نصوص الجنة بوضع الجزء (اللفـــظ) داخـــل الكـــل (الجملة) ، فإنّ ذلك يسعفنا في إيجاد نظام دلالي نأمن فيه الانحـراف نحو الجمود ، والقصور الدلالي .

نعم ، إنّ اللون المفرد يكون جميلاً وجذاباً ، غير أنه – بلا ريب – سيكون أكثر جاذبية عندما يجاور لوناً آخر ، أو يداخله من زوايا معينة ، " ولهذا لم يعد كافياً لفـهم دلالة ما النظر في معجم لغوي ، بل لا بدّ من البحث عنها في البيئة اللغوية التي قيلـت فيها ؛ وذلك لأنّ الكلمة لا تُحدّد فقط بالتعريف التجريدي الذي يحدّدها به المعجـــم ؛ إذ يحيط بها جوّ يكسبها ظلالاً مؤقتة ، على حسب استعمالاتها التي تكوّن قيمتها التعبيريـة "[1]. وكما يكون الإعجاز على مستوى التركيب اللغوي ، فإنه يكـــون علـــى مســـتوى الألفاظ أيضاً ، ولقد فصلنا الحديث عن الأساليب البلاغية في نصـــوص الجنـــة عـــبر الفصول السابقة ، ونتوسم في هذا الفصل التوفيق في الحديث عن الألفاظ القرآنيـــة ، وبيان استخدامها ، من حيث أصولها ودلالاتها المختلفة ، " فألفاظ القرآن هي لبّ كلام العرب وزبدته ، وواسطته وكرائمه ... وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمـهم ونثرهم "[2].

ولا نقصد بالإبداع اللفظي في القرآن أنّ العرب لم يعرفوا تلك الألفاظ ، أو أنـــها غريبة عن واقعهم اللغوي ، إذاً لبطل الإعجاز ، وإنما قصدنا فـــي أن نتبيّـــن إعجـــاز القرآن فـــي اختيـــار ألفاظـــه ، و تفرّده في ذلك ، آخذين بحجز البيئة التي أنتجت هذا اللفظ ، والمناسبة التي قيل فيها ، والموقف الذي عبّر عنه ، ولامندوحة لدارس القـــرآن من العلم العميق بألفاظه ومواقعها ، إذ إنّ القرآن " يستخدم كلاً حيث يؤدي معناه فـــي

١- البطمان ، سويس ، العلاقات الدلالية في ضوء السياق ، ٤٧ .

٢- الراغب ، ٥٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دقة فائقة ، تكاد بها تؤمن بأنّ هذا المكان كأنما خلقت له تلك الكلمة بعينها ، وأنّ كلمةً أخرى لا تستطيع توفية المعنى الذي وفت به أختها "[١].

ولعلّ هذه الدقة كانت سبباً في قوة التأثير الذي أحدثته في نفس العربي ، من امتلاك للعقل ، واستحواذ على المشاعر ، ولعلّ هذا التأثير تزداد حدّته عندما يرسم القرآن صور النعيم الخالد بأبهى لفظ ، وأبرع تصوير ، والقرآن في كلامه عن النعيم " إنما يتكلم بإمكانيات التذوق للسامع في البيئة ، وبعطاء الألفاظ التي يستعملها "[٢]. ولدلالة الألفاظ علاقة حميمة بنفسية العربي وبيئته التي نشأ فيها ، فإنّ التعابير القرآنية تصوّر واقع البيئة العربية ، وبخاصة في مشاهد القيامة ، ممّا جعل العربي يعيش مع الآيات والمشاهد وكأنه يعيش حياته الواقعية فعلاً ، ورعاية القرآن لتلك القضية تكاد تستأثر بجُلّ آياته وأساليبه وصوره ، ولذا " فليس يصحّ ان تُعلّل عبارة من عباراته ، أو يُحتجّ للفظ في آية من آياته ، أو يُستشهد لأسلوب من أساليبه ، إلا بموقعه كله من النفس "[٣]. ولعلّنا في الصفحات القادمة نوضّح مضمون هذا التقديم ، وذلك عبر الأقسام التي سنعالجها في هذا الفصل ، وهي الألفاظ الغريبة ، و الدخيلة ، والألفاظ المتقاربة التي يُظنّ منها الترادف .

الغريب

يُعدّ الغريب باباً واسعاً من أبواب علوم القرآن ، ورافداً ثرّا يساعد المشتغل في العلوم اللغوية بعامة ، والدراسات القرآنية بخاصة في الوصول إلى المعاني والدلالات.

ويدلّ الأصل اللغوي (غرب) على الغموض والخفاء[٤]، وقد اشتقّ منه الغريب والغربة ، والغراب ، لاتفاقهما في الدلالة ، ويُطلق مجازاً على الكلام الذي لا يستطيع فهمه عامة الناس ، إنما يحتاجون إلى البحث عن معناه في قواميس اللغة . والغريب في الدراسات القرآنية علم يختص " بتفسير الألفاظ الغامضة في القرآن الكريم ، وتوضيح معانيها بما جاء في لغة العرب وكلامهم ، فهو مبحث لغوي متخصص ، أو هو الجانب اللغوي من علم التفسير "[٥].

وقد أفاض علماء المسلمين – لغويين ومفسرين وفقهاء – في الحديث عن غريب القرآن ، من حيث نشأته وأسبابه ، وألّفوا فيه المطوّلات ، حيث " أفرده بالتصنيف خلائق لا يُحصوْن "[٦].

١- بدوي ، ٥٧

٢- الشعراوي ، محمد متولي ، المنتخب من تفسير القرآن الكريم ، ٤٨/٣ .

٣- الخولي ، أمين ، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب ، ٢٠٣ .

٤- الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، مادة غرب .

٥- القيسي ، أبو محمد مكي بن أبي طالب ، العمدة في غريب القرآن ، ١٤ .

٦- السيوطي ، الاتقان ، ٢٤٤/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونستغني هنا عن المقدّمات الطويلة ، مقتصرين على ذكر المعنى الغريب ، وحدّه من الفصاحة ، مؤثرين التطبيق على الكلام النظري .

وينبغي الإشارة إلى أنّ الغريب من الألفاظ لا يُناقض الفصاحة ، ولا يندّ عنها ، ولا تعني غرابتها على كثير من الناس أنها غير فصيحة ، فاللفظ يكون غريباً ولكنه بليغ يؤدي معناه في موقعه ، ككلمة (ضيزى) في قوله تعالى : { تلك إذاً قِسمة ضيزى }[1]، فلو استعملنا كل الألفاظ التي تدلّ على عدم العدل ، لَما حقّقت المعنى ورسّخته كما حققته تلك الكلمة . والكلمة الوحشية أيضاً لها فصاحتها ،" وإذا كانت اللفظة حسنة مستغربة ، لا يعلمها إلا العالم المبرز ، والأعرابي القحّ ، فتلك وحشية "[2]، ومن ذلك قول الأعشى[3]:

وغريبة تأتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها ؟

ولعلّ المراد بالغريبة هنا البليغة البديعة ، التي تبذّ الشعراء في النظم والتدبيج .

ومن جهة أخرى ، فقد يكون اللفظ واضحاً ، يفهمه السامع ، ويؤدي دوره في تحديد المعنى بما يجاوره من كلمات ، وهذا كثير في القرآن ، " وينبغي أن نقرر أنّ ما نسمّيه اليوم غريب القرآن ، قد برئ من الثقل على اللسان ، والكراهة على السمع "[4].

ويُرجع العلماء منشأ الغريب إلى أسباب ، أجملها الرافعي بقوله : " أن يكون ذلك من لغات متفرقة ، أو تكون مستعملة على وجه من وجوه الوضع يخرجها مخرج الغريب ... مما نقل عن مدلوله في لغة العرب إلى المعاني الإسلامية المحدثة ، أو يكون سياق الألفاظ قد دلّ بالقرينة على معنىً معيّن غير الذي يُفهم من ذات الألفاظ "[5]. ومضمون كلام الرافعي يدلّ على أنّ الغريب قد ينشأ من اختلاف البيئة اللغوية ؛ كأن يكون اللفظ من لغات العرب ؛ هذلية ، أو همدانية ، أو أسدية ... أو تكون أعجمية ونفضل أن نتحدّث عن الغريب الأعجمي في قسم مستقل ، وقد يكون سبب الغرابة كامناً في التطور الدلالي للكلمة عبر العصور ، وبخاصة تلك الكلمات التي استقرت على معنىً اكتسبته من الإسلام ، كالصلاة والزكاة ، وسبب ثالث ينضاف إلى السببين السابقين ، ويتمثل في المجاز اللغوي الذي يدلّ على معنىً آخر غير معنى الحقيقة اللغوية ، لوجود علاقة بين اللفظين .

١- النجم ، ٢٢ .

٢- السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، ٢٣٣/١ .

٣- الأعشى ، الديوان ، ١٣٩ .

٤- بدوي ، ٩٠ .

٥- الرافعي ، مصطفى صادق ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ٧١، ٧٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد أحصيت الألفاظ الغريبة في نصوص الجنة الواردة عن ابن عباس ، فوجدتها سبعاً وعشرين كلمة ، بما فيها الألفاظ الواردة في مسائل ابن الأزرق في أسئلته التي وجهها لابن عباس اختباراً له[١]،وعدّ منها الراغب في مفرداته اثنتين وأربعين ومائة[٢]، وبلغت عند أبي حيان في تحفة الأريب ، خمساً وسبعين لفظة[٣]، وفي كتاب العمدة لمكي بن أبي طالب ، اثنتين وخمسين[٤]، وقد أحصيته في معجم حديث لتفسير القرآن فوجدته مئة وخمساً [٥] ، ويحمل هذا الاختلاف في الغريب دلالة تؤكد أنّ معنى الغريب يتطور بالزيادة والنقصان لسببين : أولهما : البعد عن مصدر اللغة الأول ، وطول العهد به ، والآخر : يتمثل في نظرة كل عالم الخاصة للغريب .

وليس بمقدورنا هنا أن نعالج الكلمات الغريبة كلها ، لذا نختار منها عشر كلمات وردت عن ابن عباس ، وفي كتب الغريب الأخرى ، ومسلكنا في معالجتها يتمثل في إيراد المعنى الحقيقي لها ، وملاحقة تطورها بإيجاز ، والاستشهاد عليها بالشعر ، ومحاولة إثبات سبب غرابتها ، وبيان موقعها في النص القرآني ، وفائدتها فيه ، ونشير هنا إلى أنّ بعض هذه الألفاظ قد عالجتها الدكتورة عائشة عبد الرحمن ، غير أنها لم تذكر سبب غرابتها ، كما أنها لم تدرسها حسب الموضوع الذي تختص به هذا الفصل ، وهو لغة القرآن في وصف الجنة .

١) أتراب :

وردت هذه اللفظة في نصوص الجنة ثلاث مرات بصيغة واحدة ، في موقع دلالي يصف نساء الجنة ، وذلك في قوله تعالى :

{ وعندهم قاصرات الطرف أتراب }[٦].

{ عُرُباً أتراباً }[٧].

{ وكواعب أتراباً }[٨].

١- ينظر السيوطي ، الاتقان ، ٢٥٥/١ وما بعدها .

٢- ينظر الراغب ، مفردات ألفاظ القرآن ، تح ، صفوان داوودي .

٣-ينظر الأندلسي ، أبو حيان ، تحفة الأديب بما في القرآن من الغريب ، تح سمير المجذوب .

٤- ينظر القيسي ، أبو محمد مكي بن أبي طالب ، العمدة في غريب القرآن ، تح ، يوسف المرعشلي .

٥- ينظر المصري ، عبد الرؤوف ، معجم القرآن .

٦- سورة ص ، ٥٢

٧- الواقعة ، ٣٧.

٨- النبأ ، ٣٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويدلّ الأصل الثلاثي (ترب) على معنيين : " أحدهما : التراب ، وما يشتق منه والآخر : تساوي الشيئين "[1]، ويتصل معنى (ترب) في أحد وجوهه بالفقر ، فيقال : " ترب الرجل : افتقر ، أي لصق جلده بالتراب لفقره "[2]، ومن ذلك قوله تعالى : { أو مسكيناً ذا متربة }[3]، ويتطور معنى الكلمة ، حتى إنه ليدخل دائرة الأضداد ، إذ تدلّ على الغنى ، ويقال في ذلك : أترب الرجل : استغنى بمعنى صار ماله كالتراب "[4]. ولعلّ لفظ (أتراب) تولّد من معنى الأصل ، فالأتراب : اللواتي" تتشّأن معاً ، تشبيهاً في التساوي والتماثل بالترائب ، التي هي ضلوع الصدر ، أو لوقوعهن معاً على الأرض ، وقيل : لأنهن في حال الصبا يلعبن بالتراب معاً "[5]. ونستبعد المعنى الأخير لأنّ نساء الجنة خلقن على غير هيئة نساء الدنيا ، وأرجّح أن يكون المعنى قد أطلق على النساء المتساويات في السّن ، تشبيهاً بعظام الصدر المتساوية ، التي تسمى الترائب ، ولعلّ وصف نساء الجنة بهذه الصفة ، وتأكيدها عن طريق تكرارها في آيات متعددة ، يولّد الألفة للإنسان ، ويؤنس النفس ، بل هو أقرب للطبيعة من نساء أعمارهنّ مختلفة ، ولو نظرنا إلى سياق الآيات لرأينا أنّ لفظ (أتراب) قد ورد مصاحباً لصفات أخرى تتعلق بنساء الجنة ، وهي (العُرُب) : اللاتي يتزينّ لأزواجهن ، وكذلك (الكواعب) : اللاتي نهدت أثداؤهن ، وبذا تتسق الصفات بعضها مع بعض ، لتشكل صورة جميلة ، أو لوحة تضم ألواناً جذابة ، وقد مدح الشاعر العربي صاحبته بهذه الصفات ، فيكون القرآن قد حقق نهم العربي ، وناسب نفسيته ، وفي هذا يقول الشاعر[6]:

عقيلة أتراب لها لا دميمة ولا ذات حَلْق إن تأملت جأنب الطويل

وأرى أنّ سبب غرابة الكلمة يرجع إلى أنّ معنى لفظ (أتراب) هو غير معنى أصل الكلمة في الوضع اللغوي الأول ، التي كانت تعني التراب .

١- ابن فارس ، المقاييس ، مادة ترب

٢- السمين الحلبي ،عمدة الحفاظ ، مادة ترب .

٣- البلد ، ١٦

٤- السمين الحلبي ، مادة ترب

٥- الراغب ، مادة ترب

٦- امرؤ القيس ، الديوان ، ٦٥، الجأنب ، القبيح

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢) تحبرون

أورد الراغب في مفرداته معنى الحبر وهو الأثر المستحسن[١]، وقد وردت في كتاب الله تعالى بهذا المعنى مرتين ، وذلك في وصف الحالة التي يكون عليها أهل الجنة من النعيم والتفكّه والبشرى ، يقول تعالى : { فأمّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يُحبَرون }[٢] ، ويقول تعالى : { ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تُحبَرون }[٣]، ومعنى الآية أنهم " يفرحون حتى يظهر عليهم حبار نعيمهم "[٤].

ثمّ أطلقت على العالِم " لما يبقى في قلوب الناس من آيات علومه الحسنة وآثاره الجميلة المقتدى بها من بعده "[٥]، كما أورد ذلك صاحب اللسان بقوله : " الْحَبر بالفتح ، ومعناه العالِم بتحبير الكلام "[٦]، ثمّ استعيرت إلى ما يلاصق العالِم في مهنته ، وهو الحِبر الذي يُكتب به ، كقول الشاعر[٧]:

كتحبير الكتاب بخط - يوما - يهودي يُقارب أو يزيل

إلى ان عممّت على كل شيء يتميز بالحسن والجدة ، كالثوب والشعر والخط .

ويظهر مِمّا سبق عُمق الأثر الجميل الذي تتركه تلك اللفظة في بيان حال المؤمنين ، ويبقى السؤال عن سبب غرابة هذه اللفظة ؟ وأرى أنّ غرابة الكلمة ليس في معناها ، فشيوع الكلمة ومشتقاتها في الشعر دليل على معرفة العرب بها ، ولعلّ وفود الكلمة من لغة غير لغة قريش التي نزل بها أكثر القرآن ، وأقصد بها لغة (قيس عيلان) ، هو الذي أدخلها في دائرة الغريب .[٨]

٣) دهاقاً :

جاءت هذه اللفظ وحيدة المادة والصيغة ، وذلك في قوله تعالى : { وكأساً دهاقاً }[٩]

وتفيض معاجم اللغة في شرح هذه المفردة ، حيث فسّرها الراغب بمعنى: "

١- ينظر الراغب ، مادة حبر

٢- الروم ، ١٥

٣- الزخرف ، ٧٠

٤-الراغب ، مادة حبر

٥- السمين الحلبي ، مادة حبر

٦- ابن منظور ، مادة حبر

٧- نفسه ، مادة حبر

٨- ينظر السيوطي ، الاتقان ، ٢٨٦/١

٩- النبأ، ٣٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كأساً مفعمة [1] وفي اللسان : " أدهق الكأس : شدّ ملأها ، وكأس دهاق : مترعة ممتلئة قال خِداش[2]:

أتانا عامر يرجو قِرانا فأترعْنا له كأساً دِهاقا

ثمّ أطلق اللفظ على المال مجازاً ، فيقال : " دهق لي من المال دهقا : أعطاني منه صدراً[3].

ويدخل صاحب اللسان الكلمة في دائرة الأضداد بقوله : " أدهقت الماء : أفرغته إفراغاً شديداً "[4]، ولا أرى أنّ أصل الكلمة يدلّ على الامتلاء والإفراغ ، إنما جاء الإفراغ من صيغة الفعل (أدهق) ، بوزن (أفعل) ، التي تفيد الإزالة والسلب . ويُعتقد أنّ منشأ الغرابة في لفظ (دهاقا) راجع إلى أنها لغة من لغات العرب ، وهي لغة هذيل ، كما ورد ذلك عن ابن عباس[5]، ولعلّ صفة الامتلاء في كأس الشراب توحي بالكثرة والتتابع ، بحيث لا ينقطع ، كما جاء ذلك في آية أخرى تصف الخمر بأنها أنهار جارية ، وفي هذا الوصف ما يتناسب ونفسية العربي .

والملاحظ أنّ القرآن الكريم قد عدل عن صيغة اسم المفعول (مدهق) إلى الوصف بالمصدر الذي يدلّ على ثبات الشيء .

ولا شك في أنّ وصف الكأس بدوام الامتلاء يرسم صورة لدوام النعيم كله .

٤) الريحان :

وردت هذه اللفظة في موقعين مختلفين بالصيغة نفسها ، الأولى : في وصف نعيم الجنة الذي يكون لفئة السابقين إلى الجنة ، ويظهر ذلك في قوله تعالى : { فأمّا إن كان من المقربين * فروح وريحان وجنة نعيم }[6]، وجاء الثاني في مجال تفضل الله على عباده في الدنيا ، حيث يقول تعالى :{ والحبُّ ذو العصف والريحان }[7].وتفسير الآية : " أي أنه جامع لما تأكله دوابّهم ، وهو العصف، كالتبن ونحوه ، ولِما يأكلونه ، كالحنطة "[8].

١- الراغب ، مادة دهق

٢- ابن منظور ، مادة دهق

٣- الراغب ، مادة دهق .

٤- ابن منظور ، مادة دهق .

٥- ينظر ابن عباس ، اللغات في القرآن ، تح: صلاح الدين المنجد ، ٥١.

٦ - الواقعة ، ٨٨-٨٩.

٧ - الرحمن ، ١٢ .

٨- السمين الحلبي ، مادة روح

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واشتقاق الريحان من الأصل (روح) ، إذ " الرَّوْح والرُّوح في الأصل واحد ، وجُعل الروح اسماً للنفس ... وذلك لكون النفس بعض الروح "[١]. ومنه ذلك الزهر المعروف بالريحان ، إذ له رائحة زكية . وتفسير ابن عباس لكلمة (الريحان) مخالف لمعنى الزهر ، فقد فسّرها بالرزق يأتي الإنسان في الجنة [٢]، ومنه جاء قول الأعرابي عندما سئل : إلى أين تذهب ؟ فقال : أطلب من ريحان الله ؛ أي من رزقه . وفي الحديث : " الولد من ريحان الله [٣].

وخلاصة القول في معنى (الريحان) ، أنها تعني الرزق ، وقد يعني الريحان : النبات ذا الرائحة الطيبة ، ولا غرابة في ذلك ، فإنّ من سمات النعيم أن يكون ذا طعم لذيذ ، وريح طيب كالمسك والكافور وغيرهما . ولهذا الوصف أثر كبير في إدخال السرور والفرحة في نفس المؤمن ، ويبقى السؤال : لماذا عُدّت كلمة (ريحان) من الغريب ؟ وأرى أنّ معنى الرزق الذي تفيده الكلمة قد دخل إليها عن طريق لغة همدان[٤]، وقد نزل القرآن بها متوافقاً مع هذه الدلالة .

٥) زرابي :

وهي أيضاً من ألفاظ القرآن التي وردت في وصف موجودات الجنة ، وهي البُسط ، وجاء ذلك مرة واحدة في قوله تعالى : { وزرابيُّ مبثوثة }[٥].

واشتقاق الكلمة يعود إلى الأصل الثلاثي (زرب) ، بمعنى " طنافس مخملة واحدها زربية "[٦]، ويجوز أن يكون أصل التسمية يعود إلى اللون الذي تتميز به البُسط فانتقلت الدلالة من لون البسط إلى البسط نفسها ، فسميت بها ، من باب المجاورة الدلالية ، ففي اللسان : " زرابيّ النبت : إذا اصفرّ واحمرّ وفيه خضرة ، وقد ازْرَبّ ، فلمّا رأوا الألوان في البسط والفرش ، شبهوها بزرابي النبت "[٧]. وفي هذا المعنى إدخال للسرور ، وراحة النفس والنظر في الجنة ، فالنفس تعجب ، والعين تسر بهذه الألوان التي تزين الطنافس . ولعلّ الكلمة قد دخلت دائرة الغريب بسبب ورودها في القرآن على لغة هذيل[٨].

١- الراغب ، مادة روح

٢- ينظر السيوطي ، الاتقان ، ٢٨٧/١، ينظر ، الفيروز آبادي ، تنوير المقياس من تفسير ابن عباس ، ٣٤٠

٣- ينظر السمين الحلبي ، مادة روح

٤- ينظر السيوطي ، الاتقان ، ٢٨٧/١

٥- الغاشية ، ١٦

٦- الأندلسي ، تحفة الأديب بما في القرآن من الغريب ، مادة زرب

٧- ابن منظور ، مادة زرب .

٨- ينظر ابن عباس ، اللغات في القرآن ، ٥٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦) عبقـــري :

تطلق كلمة عبقر على مكان موضع للجن ، ينسب إليـــه كل نادر من إنســـان ، وحيوان ، وثوب "[١]. وقد جاءت وحيدة في قوله تعالى : { متكئين على رفرف خضـــر وعبقـــري حسان }[٢]، وقـــد استخدمهـــا القـــرآن بمعنى " البســـط التي فيها الأصبـاغ النقـــوش "[٣]، وقـــال الفراء : أنها " الطنـــافس الثخان "[٤]، ثم انتقلت الكلمـــة لتـــدل على الرجل العظيم والقوي ، "يقال : هذا عبقري قوم ، كقولك : هذا سيد قوم وكبـيرهم وشديدهم وقويهم ، ونحو ذلك ... وقال زهير "[٥]:

رِبخيْل عليها جِنَّـــةٌ عْبقريَّـــةٌ جديرون يوماً أن يَنـــالوا فيَسْـتعلوا

ثم توسعت دلالتها لتدل على كل شيء مميز مستغرب ، وقد خاطبهم القرآن بمـــا تعارفوه ، فجاءت الكلمة واصفة فرش الجنة الملونة ، وأرى أن ثمة فرقا بين الزرابي والعباقر ؛ إذ إن لفظ(عبقر) يوحي بالأفضلية والإعجاب ، ولعل الفرق بين الزرابـــي والعبقر فرق في المرتبة التي ينزل عليها المؤمن في الجنة ، ويمكن أن نرجـــع ســـبب غرابة الكلمة إلى كونها من لغة هذيل ، وتعني الطنافس[٦].

٧) العينـــاء :

وردت هذه الكلمة مجموعة في آيات كثر ، تصف نساء الجنة ، وقد جاءت مفردة في قراءة عكرمة " وحوراء عيناء "[٧]، وأصل العين " في بقر الوحش ، فقولهم : رجل أعين ، وامرأة عيناء : أي حسنة العين "[٨]، وقد فســـرها صاحب معجم القرآن بالمرأة " شديدة سواد العين وبياضها مع اتساع "[٩]، ومعنى العينـــاء المقصـــود فـــي الآيـــة : البيضاء ، ولعل زاوية الرؤية هي التي جعلت بعضهم يطلق لفظ العيناء على البيضـــاء بخاصة ، دون الالتفات للون السواد تفاؤلا ، أو لعله من باب تسمية الكل باسم الجزء ، لبروزه وأهميته ، ووصف المرأة بالبياض يشيع في نصوص الجنة ، كما يظـــهر فـــي قوله تعالى : { كأنهنَّ بيْض مكنون }[١]، غير أن السيوطي يرجعها إلى لغة همـــدان[٢]،

١- الراغب ، مادة عبقر

٢- الرحمن ، ٧٦

٣- ابن منظور ، مادة عبقر .

٤- الفراء ، أبو زكريا يحيى ، معاني القرآن ، ١٢٠/٣

٥- ابن منظور ، مادة عبقر .

٦- ينظر السيوطي ، الاتقان ، ٢٨٧/١.

٧- ينظر الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٨/ ٢٠٦ .

٨- السمين الحلبي ، مادة عين .

٩- المصري ، عبد الرؤوف ، معجم القرآن ، مادة عين .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨) كواعـــب :

وصف القــرآن نساء الجنة بصفات عديدة ، منها :النساء الكواعب ، فـــي قولــه تعالى :{ إنّ للمتقين مفازاً*حدائقَ وأعناباً*وكواعبَ أتراباً }[٣]، ويدلّ المعنـــى المــادي للأصل (كعب) على كعب الرِّجل ، وهو " العظم الذي عند ملتقى القدم والســاق "[٤]، وهو عظم بارز . وقد ورد بهذا المعنى في قوله تعالى : { ... وامســـحوا برؤوســكم وأرجلكم إلى الكعبين }[٥]، ثمّ انتقل المعنى من الكعب إلى وصف الثدي ، أي البـــارز المرتفع ، والجمع كواعب ، وجاء هذا المعنى في قول الشاعر عمر بن أبي ربيعة[٦]:

فكان مجنّي دون من كنتُ أتقـــي ثلاثُ شخوصٍ : كاعبانِ ومعصرُ

ثمّ توسعت دلالتها ، فاستعملت – مجازاً – للشرف الرفيع ، والمكانة البارزة بين القوم ، ومنه جاء قول الشاعر : لَمّا علا كعبُك بي عليتُ[٧].

وقد سئل عنها ابن عباس ، ضمن الأسئلة التي طرحها عليه ابن الأزرق ، فأجابه الكواعب : النواهد [٨].

وأرى أنّ الكلمة شائعة على ألسنة الشعراء بمعناها القرآني في وصف النســـاء ، وقد عدّها السيوطي في باب الغريب ؛ لأنها جاءت على لسان ابن عباس ، الأمر الــذي أدخلها في معنى الغرابة ، وكنت وضحت رأيي في تلك المسائل ، التي لا أعدّها ســوى اختبار لغوي لابن عباس من قِبَل ابن الأزرق .

٩) ينزفــون :

يعثر الدارس على هذه اللفظة في القرآن في مجال الحديث عن خمـــر الجنــة ، وجاء ورودها مرتين بصيغة المضارع المسند إلى واو الجماعـــة مســبوقة بـــالنفي ،

١- الصافات ، ٤٩ .

٢-ينظر السيوطي ، الاتقان ، ٢٨٧/١ .

٣- النبأ ، ٣١-٣٣ .

٤- الراغب ، مادة كعب .

٥- المائدة ، ٦ .

٦- ابن أبي ربيعة ، عمر ، الديوان ، ١٠٣ .

٧-ينظر ابن منظور ، مادة كعب .

٨-ينظر السيوطي ، الإتقان ، ١/ ٢٥٢ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقرئت مرة بالمبنيّ للمعلوم (يُنزِفون) ، وأخرى بالمبنيّ للمجهول (يُنزَفون) [١]، حيث يقول تعالى : { لا يُصدّعون عنها ولا يُنزفون }[٢]. وأصل النزف للماء ، فقولنا : " نزف الماء : نزحه كله من البئر ... "[٣]. وبهذا المعنى يقول لبيد[٤]:

أربّت عليه كلُّ وطفاءَ جوْنةٍ هَتوفٍ متى ينزفْ لها الوبْلُ تُسكبِ

ثمّ استعير لكلّ شيء فيه صفة الانقطاع والفناء ، كالدمع والدم والحجّة ، وقد استخدمها الشعراء في وصف مشية المرأة البطيئة ؛ لِما في النزيف من حركة البطء ، وبخاصة مشية الشخص المصاب بنزيف الدم ، وبهذا جاء قول امرئ القيس[٥]:

وإذ هي تمشي كمشي التريـ ـفِ يصرَعُه في الكثيب البُهُر

غير أنّ المعاني السابقة لا تتطابق تماماً ومعنى النزف المقصود في الآية القرآنية فمعنى لا يُنزفون : أي لا يَسكرون ، ولا تذهب عقولهم .

أمّا تفسير ابن عباس للكلمة – كما أوردها صاحب الإتقان – في مسائل ابن الأزرق مع ابن عباس ، فهي لا يسكرون ، واستشهد ببيت الشاعر ابن رواحة[٦]:

ثمّ لا ينزَفون عنها ولكن يذهب الهمُّ عنهم والغليلُ

وأرى أنّ الاستخدام المجازي للكلمة بمعنى نزف العقل ، بعد معناها الأصلي ، وهو فناء الشرب ، هو سبب غرابة الكلمة . ولعلّ موقع الدلالة التي تحققها هذه اللفظة تؤدي فعلها في نفس العربي ، الذي عرف الخمر وما تفعل بشاربها ، وتساند كلمة (لا يصدعون) هذا المعنى ؛ لينفي كل أذىً عن خمر الجنة .

١٠) وزوجناهم بحورٍ عين :

ونختم الحديث عن الغريب بهذه الكلمة ، وهي في الحقيقة ليست كلمة مفردة ، بل هي في باب التركيب أدخل ، ويظهر ذلك في قوله تعالى : { وزوّجناهم بحور

١- قرأ الجمهور بالمبني للمجهول ، وعبد الله والسلمي وطلحة وعيسى بالمبني للمعلوم ، ينظر الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٨/٢٠٥ .

٢- الواقعة ، ١٩.

٣- الراغب ، مادة نزف .

٤- العامري ، لبيد بن ربيعة ، الديوان ، ، ٢٩.

٥- امرؤ القيس ، الديوان ، ١١٠ .البهر الكلال .

٦- ينظر السيوطي ، الاتقان ، ١/ ٢٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عين }[1]، ومعلوم أنّ الفعل (زوّج) متعدّ بنفسه ، ولا يحتاج إلى حرف يصل به إلى المفعولين ، فيقال : زوجتك ابنتي ، وزوّجني . ولست أرى في قضية التضمين اللغوي مخرجاً لها ؛ إذ يمكن أن نقول على أساس التضمين – : إنّ الفعل (زوّج) قد تضمّن معنى الفعل (قرن) ، فيقال في ذلك : قرنتك بها ، ولعلّ في تفرّد القرآن بهذه الصيغة دلالة على أن " ذلك لا يكون على حسب المتعارف فيما بيننا من المناكحة "[2]. ونطمئن لهذا المعنى ، عندما نستقرئ آيات القرآن التي وردت فيها لفظة (زوّج) ، لنرى أنّ القرآن قد استخدمها في معناها الدنيوي ، متعدّية إلى مفعوليها دون حرف جرّ ، كما يتضح ذلك في قوله تعالى : { ... فلمّا قضى زيدٌ منها وطراً زوّجناكها ...}[3]،وقوله تعالى : { أو يزوّجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً }[4]، فدلّ ذلك أنّ الزواج في الجنة يتم بطريقة خاصة تختلف عن طريقة البشر وعادتهم في هذا الشأن ، وقد عدّ السيوطي هذا التعبير اللفظي من الغريب ، وعزا سبب ذلك إلى أنّ هذا التعبير قد شاع في اليمن بقوله " ذلك أنّ أهل اليمن يقولون : زوّجنا فلاناً بفلانة "[5].

وخلاصة القول في سبب غرابة هذا التعبير : إمّا أن يكون بسبب مخالفة القياس اللغوي في الفعل المتعدّي ، وإمّا أنها وردت على لغة أهل اليمن ، وهي لغة بعيدة عن لغة قريش التي كان لها النصيب الأوفى من لغة القرآن الكريم .

ويحسُن – في نهاية هذا الجزء من البحث – أن نقول : إنّ في القرآن ألفاظاً غريبة ، ومرجع هذه الغرابة إلى أسباب سبق ذكرها ، وقد استعملها القرآن الكريم ، فغدت في قمّة البلاغة والفصاحة اللفظية . وقد حضّ الرسول صلى الله عليه وسلم على التماس الغريب من القرآن وتفسيره ، بقوله : " أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه "[6]، وكان لهذا الطلب النبوي أثرٌ في صحابته ، فهذا ابن عباس يقول : " إذا سألتموني عن غريب اللغة ، فالتمسوه في الشعر ؛ فإنّ الشعر ديوان العرب "[7]. ولقد حاولنا أن نلتمس هذا الغريب في نصوص الجنة بما ورد في كتب الغريب ، واجتهدنا في ردّ الكلمات الغريبة إلى سبب ما ، مستشهدين بأقوال العلماء لذلك ، وقد رأينا من خلالها قضية الغريب اللغوي بارزة في نصوص الجنة ، و رأينا أثرها في تفسير القرآن ،

١- الدخان ، ٥٤، وكذلك الطور ، ٢٠ .

٢- الراغب ، مادة زوج .

٣- الأحزاب ، ٣٧ .

٤- الشورى ، ٥٠.

٥- السيوطي ، الاتقان ، ١/ ٢٨٣.

٦- نفسه ، ٢٤٤/١.

٧- الزركشي ، ٣٦٨/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جدول بأبرز الألفاظ الغريبة في نصوص الجنة

الرقم	اللفظ الغريب	أصله الثلاثي	المعنى	عدد تواتره في الآيات
١	غير آسن	أسن	لا يتغير طعمه ورائحته	١
٢	آلاء	أ لى	نعم	١٦
٣	مبثوثة	بث	متفرقة	١
٤	بيض مكنون	بيض	اللؤلؤ المكنون	١
٥	حدائق	حدق	بساتين	١
٦	حور	حور	عيون شديدة البياض وسوادا السواد	٣
٧	مخضود	خضد	لا شوك له	١
٨	مدهامتان	دهم	سوداوان من شدة الخضرة	١
٩	روح	رَوَح	راحة	١
١٠	رفرف	رفف	فرش أو بسط الجنة	١
١١	سِدر	سَدر	شجر البنق	١
١٢	مسفرة	سفر	مشرقة مضيئة	١
١٣	سلسبيل	سلس	عين سلسة لينة	١
١٤	تسنيم	سنم	عين تتصب عليهم من عل	١
١٥	يصدعون	صدع	يتفرقون	١
١٦	لم يطمثهن	طمث	لم يمسسهن	٢
١٧	عدن	عدن	إقامة	١١
١٨	عليون	علو	اسم للجنة العالية	١
١٩	غول	غَول	ذهاب العقل	١
٢٠	فاكهون	فكه	يتلذذون	٢
٢١	فاكهة ، فواكه	فكه	نوع من الطعام	١٢
٢٢	مفازا	فوز	متنزها	١
٢٣	قاصرات	قصر	قصرن أطرافهن علىأزواجهن	٣
٢٤	مقصورات	قصر	مخدّرات في الخيام	١
٢٥	مكنون	كنن	مستور	٣
٢٦	نضاختان	نضخ	فوارتان	١
٢٧	منضود	نضد	متراكب بعضه فوق بعض	١
٢٨	نمارق	نمرق	وسائد	١
٢٩	نهر	نهر	سعة	١
٣٠	موضونة	وضن	منسوجة بعضها على بعض	١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
ألفاظ الجنة وأسماؤها	ألفاظ الناس وصفاتهم	ألفاظ المكان ومحتوياته	ألفاظ الطعام	ألفاظ الشراب	ألفاظ النساء	ألفاظ اللباس	ألفاظ الجواهر	ألفاظ الألوان	ألفاظ الرائحة
الجنة	تحبرون	مساكن طيبة	أكلها دائم	عيون	أزواج	أساور	الياقوت	خضر	كافور
عدن	مقلدون	ظل	فواكه	كأس	مطهرة	ثياب	المرجان	بيضاء	زنجبيل
الفردوس	فاكهون	الأنهار	لحم	معين	قاصرات الطرف	سندس	الذهب	ابيضت	مسك
المأوى	مكرمون	الآرائك	نخل	شراب	عين	إستبرق	فضة		
النعيم	خالدون	قصور	رمان	صحاف	بيض مكنون	حرير	اللؤلؤ		
الخلد	فاكهون	سرر	طلح	ماء غير آسن	أتراب				
الحسنى	غلمان	غرف مبنية	أعناب	لبن	حور				
الآخرة	ولدان	نهر	ثمر	عسل	خيرات				
رحمة	السابقون	مقعد صدق	رزق	خمر	حسان				
دار السلام	أصحاب اليمين	أفنان		أكواب	مقصورات				
دار القرار	رضوان	فرش		أباريق	أبكارا				
دار المقامة	وجوه	بطائنها		قوارير	عربا				
روضات	مسفرة	خيام		زنجبيل	كواعب				
طوبى	مستبشرة	رفرف		سلسبيل					
فضل	ضاحكة	عبقري		رحيق					
	قطوف			تسنيم					

الدخيل

يصنف الدخيل في باب (تداخل اللغات) ، أو تحت عنوان (الاقتراض) ، الذي لا تنجو منه لغة من اللغات ، ومع إيماننا برقيّ العربية وتمايزها وسعتها ، إلاّ أننا نؤكد أنّ العربية قد سلكت " مسلك غيرها من اللغات ، فاقترضت قبل الإسلام وبعده ألفاظاً أجنبية كثيرة ، ولم يجد العرب القدماء في هذا غضاضة أو ضيراً بلغتهم التي أحبوها واعتزوا بها "[1].

ولا خلاف بين العلماء في وقوع الدخيل في اللغة العربية ، إذ لا مناص من وقوعه ، نتيجة لعوامل مختلفة ، اجتماعية واقتصادية وسياسية ، هذه العوامل أدّت إلى احتكاك العرب بغيرهم من الأمم ، ولمّا كان البشر في حاجة بعضهم بعضاً لتحقيق التفاهم ، وتبادل المنافع ، كان من الحتمي أن يتمّ ذلك بالتبادل عبر اللغة ، فسقطت لأجل ذلك ألفاظ هي " وليدة الحاجة حينا ، أو الإعجاب حيناً آخر "[2].

ويبدو الأمر مختلفاً عندما نتحدث عن وقوع الدخيل في القرآن الكريم ، فقد اشتدّ الخلاف بين العلماء – لغويين ومفسّرين وفقهاء – حول هذه القضية ، وتبدو إشكالية القضية في بعض النصوص القرآنية التي تصف القرآن بأنه كلام عربي مبين ، كما يظهر في قوله تعالى : { إنّا أنزلناه قرآناً عربياً لعلّكم تعقلون }[3]، فكيف يمكن أن نوفّق بين مضمون الآية السابقة وأمثالها ، ووقوع الكلمات الأجنبية في القرآن ؟!

لقد بُحثت هذه الظاهرة في كتابات الأقدمين ، وبوسعنا أن نجمل الآراء بالقول : انقسم العلماء في بحث وقوع الدخيل في القرآن على ثلاثة أقسام : قسم أنكر وقوعه ، ومنهم الشافعي ، وأبو عبيدة والطبري ، وغيرهم ، واستدلّوا على ذلك بآيات من القرآن تؤكد عربيته ، وفي هذا يقول أبو عبيدة : " إنما أنزل القرآن بلسانٍ عربيّ مبين ، فمن زعم أنّ فيه غير العربية ، فقد أعظم القول ، "ويقرّ القسم الثاني بوقوع الدخيل في كتاب الله تعالى ، وهذا مذهب ابن عباس وعكرمة ، ووافقهم في ذلك الزمخشري وابن عطية الغرناطي ، وحجتهم في ذلك أنّ وقوع ألفاظ أجنبية – وهي معدودة – في كتاب يحوي آلاف الألفاظ العربية لا يخرجه عن وصفه بالعربي ، كما أنّ القصيدة الفارسية لا تخرج عن كونها فارسية إذا تضمنت في بعض أبياتها بعض ألفاظ عربية ، وعلى هذا الرأي فسّروا الألفاظ التي يُعتقد بأعجميتها . ويقف القسم الثالث بين المنكرين والمحققين متخذين موقفاً وسطاً ، ويمثل هذا القسم العالم أبو عبيد بن سلام بقوله : " والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعاً ، وذلك أنّ هذه الأحرف أصولها

١- أنيس ، من أسرار اللغة ، ١٢٤

٢- نفسه ، ١١٧.

٣- سورة يوسف ، ٢، وكذلك الآيات الزخرف ، ٣، إبراهيم ، ٤، والشعراء ، ١٩٤-١٩٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أعجمية ، كما قال الفقهاء ، لكنها وقعت للعرب ، فعربتها بألسنتها ، وحوّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية ، ثمّ نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ، فمن قال إنها عربية فهو صادق ، ومن قال أعجمية فصادق "[1] .

ويوضح الشيخ الشعراوي – رحمه الله تعالى – مفهوم وصف القرآن بالعربي بقوله : " ومعنى أنّه عربي ؛ أي أنه إذا خوطب به العرب فهموه ، فليس المراد بالعربي ، المولد العربي ، وإنما نزل باللفظ الذي له شيوع على ألسنة العرب "[2].

ويرجّح البحث هنا الرأي القائل بالمذهبين جميعاً ؛ ذلك أنّ وقوع الدخيل في القرآن الكريم ينطوي على حِكم وأسباب لغوية وبلاغية ودينية ؛ فالقرآن الكريم – بوصفه كتاب البشرية جمعاء – فيه متسع للغات الأقوام الأخرى ، والقرآن " حوى علوم الأولين والآخرين ، ونبأ كل شيء ، فلا بدّ أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن ، ليتم إحاطته بكل شيء "[3].

أمّا فيما يتعلق بالفصاحة ، فإنّ استعمال الكلمات الدخيلة لا يضرّ بالبلاغة ، بل يؤكدها ، " ووجه البلاغة في إيثارها أنها تؤدي معانيها الدقيقة في عبارة موجزة ، فإنّ العرب لم تضع لفظاً تدلّ به على معنى ما عرّبته ، فلم تعد ثمّة وسيلة للتعبير عنه سوى اختيار اللفظ المعرب "[4].

وسبب ديني آخر يؤيد الرأي القائل بوقوع الألفاظ الأعجمية في القرآن ، ويتمثل هذا السبب في أنّ الله تعالى أرسل رسلاً إلى دعوة أقوامهم ، وهذا يتطلب أن يكون الرسول عالماً بلسان قومه ، والرسول محمد صلى الله عليه وسلم أُرسل للناس كافة ، فليس بعده نبي ، فكان القرآن بمنزلة القناة التي يخاطب بها الرسول جميع الناس ، تصديقاً لقوله تعالى : " وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبيّن لهم "[5].

ومع تسليمنا بوجود الألفاظ الأعجمية في القرآن ، إلاّ أنه ينبغي أن نحذّر من بعض الأصوات التي ساءت نياتها ، وغدت العنصرية تحكم تصرفاتها ، واعتادت الطعن منهجاً لها للنيل من اللغة العربية والقرآن الكريم ، فما فتئ هؤلاء ومن يؤيدهم يقولون بوقوع الدخيل في القرآن واللغة ، حتى قالوا بأعجمية كلمات عربية الأصل والمحتد ، وللقارئ أن يطلع على كتاب (الألفاظ الفارسية المعربة) ، للمطران آدي شير ، وكتاب (الألفاظ المعربة في القرآن الكريم) لجفري ، ليرى كيف يزوّران

١- ينظر السيوطي ، الاتقان ، ٢٩١/١ وما بعدها بإيجاز وتصرف ، وكذلك ابن فارس ، الصاحبي ، ٥٩وما بعدها باختصار .

٢- الشعراوي ، محمد متولي ، تفسير سورة البقرة ، التلفاز الأردني ، الواحدة وأربعون دقيقة ،(١٩٩٨/١٠/٢م).

٣- السيوطي ، الاتقان ، ٢٨٩/١.

٤- بدوي ، ٩٤ .

٥- سورة إبراهيم ، ٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحقائق ، ويذهبان في التحليل إلى الوهم والعنصرية ، ولعلّنا في الصفحات القادمة نبيّن بعض الآراء في ذلك ، ونعيد بعض الألفاظ إلى حديقة العربية المغدقة .

وقبل الحديث عن الألفاظ الدخيلة في نصوص الجنة ، ينبغي الإشارة إلى اصطلاحات ثلاث ، تدخل في دراسة الكلمات الأعجمية ، وهي : الدخيل ، والمعرب ، والمولد . أمّا الدخيل : فهو " ما دخل اللغة العربية من مفردات أجنبية ، سواءٌ في ذلك ما استعمله العرب الفصحاء في جاهليتهم وإسلامهم ، ومن استعمله من جاء بعدهم من المولّدين "[١]، ويختلف المعرّب عن الدخيل بكون الأول معرّباً عن اللغة الأصلية له ، وذلك بالتغيير فيه صرفياً وصوتياً ، وعلى هذا فالتعريب " نقل الكلمة مع عرفها الأجنبي ، ومحاولة إنزالها على صيغ العربية وأوزانها ، ويقتضي هذا الإنزال بعض الإبدال والتغيير في بنية الكلمة "[٢]، ويقتصر أمر المعرّب على عصر الاستشهاد ، " وأمّا ما نقل إلى العربية بعد انقضاء عصر الاستشهاد فيسمّى مولّداً "[٣]. وبهذا يكون مفهوما المعرّب والمولّد داخلين في إطار مفهوم الدخيل ، ومن هنا جاء اختيار هذا القسم من البحث بعنوان (الدخيل) ، دون الاصطلاحين الآخرين

وقد قمت بإحصاء الألفاظ الأعجمية في نصوص الجنة ، فوجدتها إحدى عشرة لفظة ، أشارت إليها كتب اللغة قديمها وحديثها .

وسأثبت هذه الكلمات شارحاً معناها ، وسأذكر آراء العلماء في عجمتها ، محاولاً ترجيح رأي معين في أصلها ، ثمّ بيان موقعها الفكري والدلالي في النص ، وأودّ أن أشير إلى مفهوم جديد في دراسة علم أصول الألفاظ ، قدّمه الدكتور عبد الحق فاضل ، وهو اصطلاح (التأثيل)[٤]، الذي يضفي على البحث الصبغة العربية ، والطابع التاريخي للبحث في هذا الموضوع ، لذا أفضل استخدام هذا الاصطلاح مع مفهوم التأصيل .

١- أباريق :

وردت هذه اللفظة في سياق ذكر القرآن الكريم الأواني والآلات التي يشرب بها أهل الجنة ، وقد جاءت مجموعة في قوله تعالى : { يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين }[٥]، ولو استعرضنا آراء العلماء في الأثل الذي

١- وافي ، علي عبد الواحد ، فقه اللغة ، ١٩٣ .

٢- قنيبي ، حامد ، دراسات في تأصيل المعرّبات والمصطلح ، ٩٥.

٣- الجواليقي ، موهوب بن أحمد ، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، تح ف . عبد الرحيم ، ٤- ١٤ .

٤- ينظر فاضل ، عبد الحق ، مغامرات لغوية ، ٢٠٣ .

٥- الواقعة ، ١٧، ١٨ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جاءت به إلى اللغة العربية ، لرأيناهم يتفقون في أصلها الفارسي ، فالجواليقي يقول في المعرّب : " فارسي معرّب ، وترجمته من الفارسية أحد شيئين : إمّا أن يكون طريق الماء ، أو صبّ الماء على هيئة "[1]، وعلق محقق الكتاب على هذه الكلمة بقوله : " يقصد بالأول – طريق الماء – (آب راه) ، فـ (آب) معناه ماء ، و (راه) معناه طريق ، ويقصد بالثاني (آب ريختن) ، فـ (ريختن) معناه الصبّ "[2]. وقال الثعالبي : إنها فارسية[3]، والقول نفسه للسيوطي [4]، وعدّها آدي شير من الكلمات الفارسية بقوله : " إناء من زخرف ، أو معدن ، له عروة ، وله فم وبلبلة ، معرب (آبريز) ، ومعناه يصبّ الماء "[5]، ويُرجع الأب روفائيل نخلة الكلمة إلى الأثل الفارسي[6]. ويردّ أحد الباحثين كلمة إبريق إلى الفارسية ، ويعرّفه بأنه " إناء له عروة وبلبل ، ينصبّ منه السائل ، فارسي – إبريج ، الآرامية – إبريقا "[7].

ونرجّح أن تكون اللفظة قد دخلت العربية من اللغة الفارسية ؛ ذلك لأنّ العرب لم تكن تعرف الآنية وصناعتها ، فاستعارتها . وقد وردت الكلمة على ألسنة الشعراء ، وبخاصة في شعر الأعشى الذي اتصل بالفرس ، حيث يقول[8]:

بكأس وإبريق كأنّ شرابه إذا صُبّ في المصحاة خالط بقّما

وقد استعمل القرآن هذه اللفظة لشيوعها على ألسنة العرب من ناحية ، ثمّ لأنها تحقق الغرض المطلوب منها في وصف آنية الشراب في الجنة .

٢) أكواب :

ووردت لفظة أكواب في القرآن الكريم بصيغة الجمع أربع مرات ، وذلك في قوله تعالى : { يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين وأنتم فيها خالدون }[9].

واختلف العلماء في الأثل الذي ترجع إليه الكلمة ، ففي حين عدّها السيوطي نقلاً عن ابن الجوزي من النبطية ، ويورد السيوطي كذلك عن ابن جرير عن الضحاك أنها

١- الجواليقي ، ١٢٠.

٢- نفسه ، ١٢٠.

٣- ينظر الثعالبي ، أبو منصور ، فقه اللغة وسرّ العربية ، ٣٠٥ .

٤-ينظر السيوطي ، الاتقان ، ٢٩١/١.

٥- آدي شير ،ا لألفاظ الفارسية المعربة ، ٦ .

٦- ينظر اليسوعي ، روفائيل نخلة ، غرائب اللغة ، ٢١٦ .

٧- على ، فؤاد حسنين ، الدخيل في اللغة العربية ، مجلة كلية الآداب ، مج (١٠) ، جزء (٢) ، ٧٩ .

٨- الأعشى ، الديوان ، ١٥٧ .

٩- الزخرف ، ٧١، والآيات الثلاثة هي ا لواقعة ، ١٨، الانسان ، ١٥،الغاشية ، ١٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالنبطية ، وأنها جرار ليست لها عرى "[1]، ولم يذكر عجمتها أيّ من الجواليقي ، والخفاجي ، والثعالبي ، والسيوطي في المزهر ، ويذكر اللسان عن ابن الأعرابي أنّ أصل اشتقاق الكوب من الفعل كاب يكوب : إذا شرب بالكوب [2]، ومعنى هذا القول أنّ للكلمة اشتقاقاً من فعل ، وهذا يخالف الكلمات الأعجمية التي لا اشتقاق لها من فعل وينفرد اليسوعي عن بقيّة العلماء بردّها إلى اللاتينية(Cupa)[3]، ويرجّح صاحب كتاب (لغة القرآن في جزء عمّ) أن تكون اللفظة قد انتقلت من اللاتينية ، ومنها إلى اليونانية ، ثم العربية[4].

وأرى أنّ وزن (أكواب) ، ومبناها كذلك ، شائعان في العربية ، فوزنها أحد أوزان جمع القلة في العربية ، مثل : أقفال ، أثواب ، أقمار ، أنهار ... ، ومن جهة أخرى ، يمكن أن تسعفنا النظرية الثنائية الصوتية في ترجيح عربيتها ؛ حيث أنّ لكلّ أثل يبتدئ بكاف فواو (ك ، و) ، فهو إلى استدارة ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، نذكر منها الكلمات : كوّة ، كومة ، كون ، كورة ، وهذا هو معنى الكوب ، وأكبر الظن أن تكون الكلمة عربية الأصل ؛ إذ يمكن أن تكون مشتقة من الفعل الثلاثي (كوب) ، كما أنّ الوزن والمبنى عربيّان ، كذلك فإنّ الكلمة من الناحية الصوتية تشكّل مسنداً ثالثاً في رأينا هذا .

أمّا بخصوص موقعها الدلالي ؛ فإنّ القرآن قد استخدمها في سياق ذكر أواني الشرب في الجنة ، واستشهد الفرّاء ، بعد أن فسّر الكلمة بقوله : " والكوب : المستدير الرأس الذي لا أذن له "[5]، استشهد بقول عديّ بن زيد :

متكئاً تصفق أبوابه يسقي عليه العبد بالكوبِ

وثمّة قضيتان تبرزان في أثناء معالجة هذه اللفظة دلالياً ، أولاهما : أنّ هذه الكلمة لم ترد إلا مجموعة لتصور جوّ النعمة الذي يحيط بالمؤمنين في الجنة ، بيد أنّ دلالة الجمع على الكثرة ، ووروودها على وزن من أوزان جمع القلة يسبب إشكالية دلالية ، وبوسع الدارس أن يجد لذلك مخرجاً يتمثل في رأي النحاة ؛ إذ يؤكدون " إجراء جمع القلة مجرى جمع الكثرة ... على جهة التوسع والمجاز ؛ لاشتراكهما في الجمعية "[6]، أو لقرينة تدل على المدح والتعجب ، وهذا هو حال أهل الجنة ولعلّ في

١- ينظر السيوطي ، الاتقان ، ٢٩١/١ .

٢- ينظر ابن منظور ، مادة كوب .

٣- ينظر اليسوعي ، ٢٨٠ .

٤- ينظر نحلة ، ٢٠٠ .

٥- الفراء ، ٣٧/٣.

٦- الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٢٥٦/١ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تنكير كلمة (أكواب) من الدلالة على الكثرة ، بحيث يوحي بعدم دلالتها على القلة ، والقضية الثانية التي تتصل بالأولى تتمثل في اقتصار القرآن الكريم على الجمع دون المفرد (كوب) ، ويعزو الرافعي السبب في ذلك إلى الجمال الصوتي الذي يحمله لفظ الجمع ، فكلمة (كوب) " لا يتهيّأ فيها ما يجعلها في النطق من الظهور والرقة والانكشاف وحسن التناسب كلفظ أكواب "[1]، ويظهر لنا من خلال المقارنة بين (أكواب) و (أباريق) ، أنّ القرآن قد ميّز بينهما ، على الرغم من اشتراكهما في الموقع الدلالي على أواني الشرب ، فالإبريق له عروة وأذن وبلبلة ، والكوب يخلو من ذلك .

٣) إستبرق :

تكررت هذه اللفظة في كتاب الله تعالى أربع مرات بصيغة واحدة ، وذلك في قوله تعالى : { يحلّون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقاً }[2]، واختلفت آراء العلماء في الأصل الذي تعود إليه اللفظة ، فقد ذكر محقق كتاب المعرب : أنها من الفارسية[3]، وعدّها السيوطي من الفارسي ، تعريب (استروه)[4]، ويؤكد المطران آدي شير فارسيتها بقوله : " الإستبرق : الديباج الغليظ ، وقيل : ديباج يُعمل بالذهب أو ثياب حرير صفاق ، معرّب عن (استبر) ، وأصل معناه الغليظ "[5]، ويردّها الدكتور فؤاد حسين إلى الفارسية ، بمعنى الديباج الغليظ ، تعريب (ستبر)[6]، والقول نفسه لليسوعي ، إذ يقول : " إستبرق : خيط من حرير ، وخيط من ذهب "[7]، ويعدّها من الفارسية .

ويُلحقه أحد المقرئين بوزن (استفعل) ، بوصل الألف ، وفتح القاف ، فقد قرأ " ابن مُحيْصن (واسْتَبرق) بوصل الألف وفتح القاف حيث وقع ، جعله فعلاً ماضياً على وزن (استفعل) من البريق "[8]، وعلى هذا الرأي ، فاللفظ عربي ، وأميل إلى اعتبار هذه الكلمة أعجمية ، وأنها معربة عن الفارسية ؛ لأنّ العرب لم تعرف صناعة الثياب ، فنقلوها عن الأقوام الأخرى ، وفي هذا يقول صاحب

١- الرافعي ،٢٣٢.

٢- الكهف ، ٣١ وكذلك الآيات :الدخان ، ٥٣، الرحمن ، ٥٤ ، الانسان ، ٢١ .

٣- ينظر الجواليقي ، ٣٥ .

٤- ينظر السيوطي ، المزهر ، ٢٨٠/١ .

٥- آدي شير ، ١٠ .

٦- ينظر علي ، فؤاد ، مج (١٠) ، جزء (٢) ، ٨٢ .

٧- اليسوعي ، ٢١٦.

٨- الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ١١٦/٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المجموعة الفارسية)" وتعدّدت الأزياء والفرش والأثاث والآنية ، وكان كثير من هذا غير معروف للعرب ، فسمّوها بأسمائها الفارسية "[1]، ولعلّ دلالة (إستبرق) على الديباج الغليظ الذي يلبسه أهل الجنة ، تحقق الراحة النفسية للمؤمنين .

٤) زنجبيل :

وردت كلمة (زنجبيل) مرة واحدة في قوله تعالى : { ويُسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً }[2].

ويكاد العلماء يطبقون على عجمتها ، فقد ذكرها الجواليقي في عداد الكلمات الفارسية ، وهي تعريب (شنكبيل) ، و (شنكوير) ، و (شنكويل) ، وهو أصلاً من اللغة السنسكريتية[3]، وقد ذكرت في شعر الأعشى[4]:

كأنّ جنيّاً من الزنجبيـ ـلِ خالط فاها وأريا مشورا

وأورده الخفاجي بمعنى " عروق في الأرض ، وليس شجراً ولا نبتاً "[5]، وذكر الثعالبي أنها من الأفاويه المعربة[6]، ويسوقها آدي شير ضمن الألفاظ الفارسية المعربة إذ يقول : " الزنجبيل : عروق تسري في الأرض ، ويتولّد منها عقد حريفة الطعم ، تعريب (شنكبيل) "[7]، ويردّها فؤاد حسين إلى الأثل السنسكريتي ، تعريب (سرنجفيرا) ، بمعنى بقلة ، يقال لها (فلفل الماء) ؛ لأنها حريفة[8]، أمّا اليسوعي ، فيرجعها إلى الأثل اليوناني[9].

وأقف مع الرأي الذي يردها إلى الأصل السنسكريتي ، لاشتهارهم بهذه الانواع ، وقد استخدم القرآن هذه اللفظة في سياق وصف الشراب الذي يتناوله أهل الجنة ، فالزنجبيل هو " العين وأنّ الزنجبيل اسم لها "[10]، وقد سمّيت العين باسم طعمها ، كما سمّيت العين (سلسبيلا) ؛ لصفة الماء فيها ، والقرآن الكريم عندما يصف طعم الشراب ، يدعو النفس عن طريق الترغيب للوصول إلى تلك العين ، ويؤكد كذلك أنّ

١- التنوجي، محمد ، المجموعة الفارسية ، ٧٨ ، وقد عد (استبرق) منها .

٢- الانسان ، ١٧ .

٣- الجواليقي ، ٣٥٥.

٤- الأعشى ، الديوان ، ١٠٧ .

٥- الخفاجي ، شهاب الدين ، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، ١١٤ .

٦-ينظر الثعالبي ، فقه اللغة وسر العربية ، ٣٠٦ .

٧- آدي شير ، ٨٠ .

٨- ينظر علي ، فؤاد ، الدخيل في اللغة العربية ، مجلة كلية الآداب ، مج (١١) ، ٣٠ .

٩- ينظر اليسوعي ، ٢٥٩ .

١٠- الفراء ، ٢١٧/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نعيم الجنة تستطيب له النفس الإنسانية .

٥) زمهريـــر :

وردت هذه اللفظـــة وحيدة المادة والصيغة في قوله تعالى في وصف جوّ الجنة : { لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً }[١].

وقد زعم آدي شير أنها من الفارسية ، وهو شدة البرد ، " مركبة مـــن (زم) : أي برد ، ومن (هريراي) : موجب ، وقالوا فيها : ازمهرّ اليوم : اشـــتدّ بـــرده "[٢]، وتبعه في ذلك اليسوعي ، حيـــث أرجعهـــا إلـــى الأثل الفارسي إذ تتكون مـــن زم (برد قارس) ، هرير فاعل ، محدث [٣].

غير أني أرجّح أن تكون عربية ؛ ذلك أنّ قبيلة طيء تستخدم هذه اللفظة بمعنـــى (القمر) ، كما قال ثعلب ، واستشهد بقول الشاعر[٤]:

وليلةٍ ظلامُها قد اعتكـــــر قطعْتُها والزمهريرُ مـــا زهـــر

وعلى هذا ، فالجنة مضيئة بلا شمس ولا قمر ، " والأزهران أيضـــاً : الشـــمس والقمر ، يقال : زهر السراج زهوراً : تلألأ ، وكذلك الوجه والقمر ، قال [٥]:

آل الزبير نجومٌ يُستضاء بـــــهم إذا دجا الليلُ من ظلمائه زَهَـــرا

٦) زرابـــي :

جاءت هذه اللفظة وحيدة الصيغة والمادة في قوله تعالى : { وزرابيّ مبثوثـــة }[٦]، ولم تنصّ كتب اللغة على عجمتها ، غير أنّ آدي شير يزعم أنها من الفارسية ، حيـــث يقول : " والزرابي : النمارق والبسط ، تعريب (زرآب) ، ومعناه : ماء الذهـــب ، أو الماء الأصفر ، ويطلق على كل ما صُبغ بالصفرة ، فيحتمل أن تكون الزربية : البساط المزخرف بالصفرة "[٧]، ووافقه اليسوعي على ذلك بقوله : " زربيّة : ما بسط واتّكـــئ

١- الانسان ، ١٣ .

٢- آدي شير ، ٧٧ .

٣- ينظر اليسوعي ، ٢٣٢.

٤- الزمخشري ، ١٩٧/٤ .

٥- ابن منظور ، مادة زهر .

٦- الغاشية ، ١٦ .

٧- آدي شير ،٧٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عليه "[1]. غير أني أرجّح أن تكون اللفظة من لغة هذيل ، كما ورد ذلك عن ابن عباس[2].

وقد جاءت اللفظة في موقع دلالي يصف محتويات الجنة ، حيث تفرش أرضيتها بالبسط والطنافس .

٧) سندس :

تكررت لفظة سندس في القرآن مرات ثلاث ، وذلك في قوله تعالى : { أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار يحلّون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقاً }[3].

ذكر الجواليقي هذا اللفظ في معرّبه ، حيث قال : " السندس رقيق الديباج . لم يختلف فيه المفسرون ... ولم يختلف أهل اللغة في أنه معرّب "[4]، وذكره الخفاجي كذلك بقوله : " سندس : رقيق الديباج ، معرّب "[5].

وينقل محقق المعرّب قولاً للمستشرق جفري عن لفظ سندس أنه " معوّب (سندكس) باليونانية ، وهو حسب ما ذكر سترابو يطلق على ملابس نساء مفصلة من كتّان رقيق شفاف بلون اللحم "[6]، ويوافقه اليسوعي على أصلها اليوناني[7]. وأقف مع الرأي القائل أن يكون الأثل يونانياً ، ثم دخل العربية للدلالة على نوع معين من الملابس ، وقد جاء في القرآن الكريم للمعنى نفسه ، حيث وصف لباس أهل الجنة الرقيق .

٨) طوبى :

جاء لفظ (طوبى) وحيد المادة والصيغة في قوله تعالى : { الذين آمنوا وعملوا الصالحات **طوبى** لهم وحسنُ مآب }[8]، ويذكر الجواليقي عن ابن عزيز قوله : " طوبى اسم الجنة بالهندية ، وقيل : طوبى شجرة في الجنة ، وعند النحويين : هي فُعلى ، من الطيب " [9]، وقد ذكر السيوطي عن ابن عباس قوله : " طوبى الجنة بالحبشية "[10]،

١- اليسوعي ، ٢٣١.

٢- ابن عباس ، اللغات في القرآن ، ٥٢ .

٣- الكهف ، ٣١، وكذلك الدخان ٥٣، الانسان ، ٢١ .

٤- الجواليقي ، ٣٦١.

٥- الخفاجي ، ١١٩.

٦- ينظر الجواليقي ، ٣٦١ .

٧- ينظر اليسوعي ، ٢٦٠ .

٨- الرعد ، ٢٩ .

٩- الجواليقي ، ٤٤٥.

١٠- السيوطي ، الاتقان ، ٢٩٤/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعدّها اليسوعي من الكلمات المنقولة عن الآرامية ، ومعناها : سعادة "[1]، ويرجّح محقق كتاب المعرّب أن تكون من المواد المشتركة بين اللغات السامية "[2]، غير أنّ الدكتور عودة أبو عودة يرجّح الأثل العربي لها ، ويسرد البراهين التي تؤيد قوله ؛ فالوزن والمبنى عربيان[3]، وأورد صاحب اللسان هذه الكلمة في قاموسه حيث يقول " وذهب سيبويه بالآية مذهب الدعاء ... ، قال ثعلب : وقرئ (طوبى لهم وحسنَ مآب) ، فجعل طوبى مصدراً ، كقولك : سقيا له ، ونظيره من المصادر : الرجعى ... ، وقال قتادة : طوبى كلمة عربية ، تقول العرب : طوبى لك إن فعلت كذا وكذا ، وأنشد "[4]:

طوبى لمن يستبدل الطود بالقرى ورِسلاً بيقطين العراقِ وفومها

وأرى أن تكون اللفظة من اللغة الأم ، ثمّ تفرعت إلى اللغات الأخرى . ولعلّ في استخدام القرآن – هذا اللفظ بوصفه اسماً للجنة أو شجرة فيها – دلالةً على سعة العيش وطيبه ، وتعميقاً لمعنى السعادة التي تحفّ المؤمنين .

٩) الفردوس :

قال تعالى : { إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً }[5]، وقال تعالى : { أولئك هم الوارثون*الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون}[6]يذكر الجواليقي هذه اللفظة في معرّبه ، ناقلاً آراء العلماء فيها ، إذ يقول : " قال الزجاج : الفردوس أصله رومي أُعرِب ، وهو البستان ، كذلك جاء في التفسير ، وقد قيل : الفردوس تعرفه العرب ، وتسمّي الموضع الذي فيه كَرْمٌ فردوساً ... وقيل : هو بالرومية ، منقول إلى لفظ العربية ، قال : الفردوس أيضاً بالسريانية ... وحقيقته أنه البستان الذي يجمع كل ما يكون في البساتين ؛ لأنه عند أهل كل لغة كذلك ... وقال ابن الكلبي بإسناده : الفردوس البستان بلغة الروم "[7]، ويعلق محقق الكتاب على هذه الآراء بقوله : " والصواب أنه معرّب من اليونانية (براديس) ... والكلمة اليونانية مأخوذة من الفارسية القديمة ، وأصلها فيها (Pairdaeze)"[8]. ويُرجع السيوطي أصل

١- ينظر اليسوعي ، ١٩٤.

٢- الجواليقي ، ٤٤٦ .

٣- أبو عودة ، عودة ، التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن ، ٤١٤.

٤- ابن منظور ، مادة طيب . الرسل اللبن ، اليقطين القرع .

٥- الكهف ، ١٠٧.

٦- المؤمنون ، ١١.

٧- الجواليقي ، ٤٧٠.

٨- الجواليقي ، ٤٧٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكلمة إلى الرومية التي تعني البستان[١]، ويسوق اليسوعي اللفظة ضمن الكلمات اليونانية التي تعني " جنة ، مسكن الأبرار الأبدي ، من هذه الكلمة اشتق الجمع (فراديس) قبل المفرد "[٢]، ويردّه الفرّاء إلى العربية بقوله : " وهو عربي أيضاً . والعرب تسمّي البستان الفردوس "[٣]، ويوردها الخفاجي في كتابه لمعنى الجنة فيقول : " اسم الجنة ، عربية ، وقيل معرّبة [٤] وعدّ الثعالبي الفردوس من الرومية[٥]، ويرجّح أبو عودة أن تكون الكلمة " معرّبة عن الرومية ، أي اليونانية ، وعزا سبب ذلك انتشارها على لسان أهل الشام أكثر من غيرهم [٦]. وأكبر الظن أن تكون معربة عن الرومانية ، ثم دخلت العربية ، بوصفها اسماً من أسماء الجنة ، غير أنّ لها ميزةً خاصة تدلّ على السعة وكثرة النعيم ، وعلى الرغم من عجمتها إلاّ أنّ العرب قد أخضعوها لقانون الاشتقاق ، فقالوا : فردس ، ومفردَس ، " وقال الليث : كرم مفردس : أي معرّش ، قال العجاج:

..... وكلكلاً ومنكباً مفردساً

... والفردسة : السعة "[٧]، وقد نطق بها الشعراء في مجال ذكر ثواب المؤمنين ، ومن ذلك قول حسان[٨]:

وإنّ ثواب الله كل موحّد جنان من الفردوس فيها يُخلّد

١٠) كافور :

جاء لفظ كافور في كتاب الله عزّ وجلّ مرّة واحدة ، بصيغة واحدة ، وذلك في قوله تعالى : { إنّ الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا*عيناً يشرب بها عبلد الله يُفجّرونها تفجيراً }[٩]. ولم يختلف العلماء في عجمتها ، وإن اختلفوا في الأئل الذي انتقلت منه إلى العربية ، وقد أشار الجواليقي إلى لفظ كافور في المعرّب ، دون ان

١- ينظر السيوطي ، الاتقان ، ٢٩٥/١.

٢- اليسوعي ، ٢٦٢ .

٣- الفراء ، ٢٣١/٢.

٤- الخفاجي ، ١٦٨ .

٥- ينظر الثعالبي ،٣٠٦.

٦- ينظر أبو عودة ،٤٠٥.

٧- ابن منظور ، مادة فردس .

٨- ابن ثابت ، حسان ، الديوان ، ٩١.

٩- الانسان ، ٥، ٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يذكر أصلها الأعجمي[1]، غير أنّ محقق الكتاب يُرجعها إلى الأصل الهندي ، إذ يقول : " وأصله من اللغات الهندية ... وهو بالسريانية (قفورا) ... ودخلت الكلمة في اللاتينية من اللغة العربية ، فهي (Camphora)[2]، ويوردها الخفاجي دون أن يذكر أصلها[3]، وينص الثعالبي على عجمتها ، ويرجعها إلى الأصل الفارسي الذي تكلمت به العرب [4]، أمّا آدي شير ، فقد أدخلها في الفارسية بقوله : " الكافور : طيب يكون من شجر بجبال بحر الهند والصين ... ويوجد في أجوافه الكافور ، فارسيته (كافور) ... ورائحة الكافور الحقيقي كرائحة الليمون "[5]، ومعنى هذا أنّ أصل الكافور نبت يُجلب من الهند ، ثم دخل الفارسية ، وقد ذكرها اليسوعي ضمن الكلمات اليونانية عن طريق اللغة السريانية "[6]، وذكرت الكلمة في كتاب المجموعة الفارسية أنها من أنواع الطيب[7]. ولعلّي أميل إلى اعتبار كلمة كافور هندية الأصل ؛ لاشتهارهم بالروائح وأنواعه الطيب ، كما يقول جرجي زيدان : " على أننا نرجح أنّ العرب أخذوا عن الهنود كثيراً من المصطلحات التجارية ... وأسماء الحجارة الكريمة ، والعقاقير ، والطيب "[8]، ثمّ دخلت الفارسية ، فاللغة العربية .

وإذا ما تحدّثنا عن الجانب الدلالي لكلمة (كافور) ، نجدها " أخلاط تُجمع من الطيب ، تُركّب من كافور الطلع ... قال الراعي" [9]:

تكسو المفارقَ واللّبات ذا أَرَجٍ من قصب معتلفِ الكافورِ دَرّاج

وقيل : " اسم عين في الجنة ، وصرفت لتوافق الآي ، وقرأ عبد الله (قافورا) ، بالقاف بدل الكاف ، وهما كثيراً ما يتعاقبان "[10]. وبوسعنا القول : إنّ الكافور عين في الجنة سمّيت بهذا الاسم لطعم الكافور فيها ، وهذا ممّا يُستطاب في الذوق والشمّ .

١١) مسك :

قال تعالى : { يُسقون من رحيق مختوم *ختامه مِسك وفي ذلك

١- ينظر الجواليقي ، ٥٤٤ .

٢- نفسه ، ٥٤٤.

٣- ينظر الخفاجي ، ١٩٣ .

٤- ينظر الثعالبي ، ٣٠٦ .

٥- آدي شير ،١٦٣.

٦- ينظر اليسوعي ، ٢٦٧.

٧- ينظر التنوجي ، ٨٤.

٨- زيدان ، جرجي ، اللغة العربية كائن حي ، ٣٨.

٩- ابن منظور ، مادة كفر .

١٠- الاندلسي ، تفسير البحر الميط ، ٨/ ٣٨٧ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فليتنافس المتنافسون }[1]. لم يختلف العلماء في عجمتها ، ويكادون يُطبقون على فارسيتها ، فالجواليقي يقول : " والمسك : الطيب فارسي معرّب "[2]، وعند الخفاجي " فارسي معرّب ،والعرب تسمّيه المشموم "[3]، ويُرجعه الثعالبي إلى الأثل الفارسي ، ويعدّه نوعاً من أنواع الطيب[4]، وأمّا جرجي زيدان ، فيرده إلى السنسكريتية بقوله " وهو في الحقيقة سنسكريتي ولفظه (مشكا) "[5]، ويعدّه اليسوعي من الكلمات الفارسية بمعنى " مادة عطرة ، (مشك) "[6]،ويقول ابن منظور نقلا عن الجوهري : " المسك من الطيب ، فارسي معرّب "[7]. و أميل إلى أن يكون أصل المسك هندياً لاشتهار أهل الهند بأنواع الطيب ، ثمّ دخل الفارسية ، فالعربية ، وقد استخدمه القرآن الكريم للدلالة على وصف خمر الجنة .

١٢) مرجان :

ذكرت لفظة مرجان مرتين ، الأولى : في مجال ذكر كنوز البحر ، وذلك في قوله تعالى : { يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان }[8]، وجاءت الآية الثانية في وصف نساء الجنة ، حيث يقول تعالى : { فيهنّ قاصرات الطرف لم يطمثهن إنسٌ قبلهم ولا جانّ ... كأنّهنّ الياقوت والمرجان }[9].

والكلمة من الألفاظ الأعجمية التي استعملها القرآن الكريم ، ومن استعراضنا لآراء العلماء نرى أنّ الجواليقي والخفاجي لم يذكرا أصلاً للكلمة ، مع إقرارهما بأعجميتها ، غير أنّ محقق كتاب المعرّب يُرجعها إلى السريانية ، ثمّ اليونانية ، بقوله : " وهو من السريانية (مركانيثا) ، ومعناه : كبار اللؤلؤ ، وهو باليونانية بمعنى اللؤلؤ ، ومنه العلَم الإنجليزي (Murgaret)[10]، ويردّها اليسوعي إلى الأصل اليوناني ، بمعنى لؤلؤة صغيرة [11] ، ويؤصل لها فؤاد حسين من

١- المطففين ، ٢٥، ٢٦

٢- الجواليقي ، ٥٩٨

٣- الخفاجي ، ٢٠٦

٤- ينظر الثعالبي ، ٣٠٦

٥- زيدان ، ٣٨

٦- اليسوعي ، ٢٤٥

٧- ابن منظور ، مادة مسك .

٨- الرحمن ، ٢٢

٩- الرحمن ٥٦-٥٨

١٠- الجواليقي ، ٦٠٢

١١- ينظر اليسوعي ، ٢٦٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآرامية ، بلفظ (مرجنيثا)[1]، وفي التفسير " المرجان : الحجر الأحمر ... أعجمي معرّب ، قال ابن دريد : لم أسمع فيه فعل متصرف "[2].

ومع تأكيدنا على عجمة الكلمة ، فقد دخلت العربية بمعنى اللؤلؤ الصغير ، وقد ذكرها الأعشى في شعره بقوله[3]:

من كل مرجانة في البحر أحرزها تيارها ووقاها طينها الصدف

ولعلّ في تشبيه حوريات الجنة بهذه الزينة التي تجمع بين لون المرجان الأحمر ، وشكله الجذاب ، من الجمال والرونق ، ما تهفو إليه نفوس المؤمنين ، للقاء زوجاتهم المزينات بمختلف أنواع الزينة ، والرجل بطبعه يحب أن يرى ذلك من زوجته ، والزينة قبل ذلك شغل المرأة الشاغل ، وبهذا يكون الوصف موافقاً لِما جُبلت عليه النفوس .

١٣) الياقوت :

والياقوت أيضاً من الكلمات الأعجمية التي أرساها القرآن الكريم لوصف الحور العين ، وذلك في قوله تعالى : { كأنّهنّ الياقوت والمرجان }[4]، وقد ذكر المعرّب كلمة ياقوت من الكلمات الأعجمية ، ولم يرجع بها إلى أصل معين ، وقد أرجعها محقق الكتاب إلى اليونانية بقوله : " هو دخيل بالفارسية من اليونانية ، وأصله (هياكنثوس) وهو نوع من الأحجار الكريمة ، أزرق اللون ، ويطلق أيضاً على ضرب من ا لزهر ، ومنه (ياقوندا) بالسريانية ، بمعنى الياقوت "[5]، ويردّه الثعالبي إلى الأصل الفارسي[6]، ويؤصل له اليسوعي من اليونانية[7]، أما فؤاد حسين فيرجعه إلى اللغة الآرامية تعريب (يقونتا)[8]. وبصرف النظر عن أصله ، فإنّ القرآن استخدمه استخداماً رائعاً جميلاً ، يضفي صبغة جمالية على نساء الجنة ، بكل ما يحويه الياقوت من اللون والصفاء .

١٤) الأرائك :

وهي من الكلمات الأعجمية التي تكلم بها القرآن الكريم ، وقد عالجها صاحب كتاب

١- ينظر علي فواد ، مجلد ١٢ / ٤١

٢- الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٨ / ١٩٠

٣- الأعشى ، الديوان ، ٥٣ .

٤- الرحمن ، ٥٨

٥- الجواليقي ، ٦٤٩

٦- الثعالبي ، ٣٠٦

٧- ينظر اليسوعي ، ٢٧١

٨- علي فؤاد ، مجلة كلية الآداب ، مجلد ١٢ / ٥٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(لغة القرآن في جزء عم). واستعرض جميع الآراء حولها ورجح أن يكون أصلها من اليونانية " [1] وقد جاءت في كتاب الله تعالى في سياق ذكر محتويات المكـــان ، وهـــو الجنة ، وذلك في قوله تعالى : { على الأرائك ينظرون }[2].

وثمة كلمات أخرى عدها بعض العلماء من الكلام الأعجمي ومنـــها (عـــدن) ، حيث جاءت مضافة إلى الجنة ؛ دلالة على البقاء ، قال تعالى : { جزاؤهم عند ربـــهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار ، خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنـــه* ذلك لِمن خشي ربه }[3]، وقد ردّها الدكتور أبو عودة إلى أصلها العربـــي[4] ، ونحـــن نوافقه على هذا الرأي .

ومنها أيضاً كلمة (سلسبيل) ، ولم يقل أحد قبل الجواليقي بعجمتـــها[5]، وشـــك الخفاجي في أصل اللفظ بقوله : " معرب ، وقيل عربي منحوت ؛ أي سلس سـبيله [6]، غير أنهما لم يذكرا الأصل الذي تعود إليه . وقد أورده الثعالبي فـــي بـــاب (أســـماء عربية يتعذر وجود فارسية أكثرها)[7]. وأرى أنّ الكلمة عربية ، استخدمها القـــرآن الكريم في مجال وصف عيون الجنة ومياههـــا ، حيث يقول تعالى : { عيناً فيها تسمّى سلسبيلاً }[8].

أمّا كلمة (بطائنها) ، فلا أرى أن تبحث تحت باب الألفـــاظ الأعجميـــة ، وقـــد ذكرها السيوطي عن شيدله أنها تعني " ظواهرها بالقبطية "[9].حيث جاءت فـــي قولـــه تعالى : { بطائنها من إستبرق وجنى الجنتين دان }[10].

ويحسُن أن أختم هذا الجزء بالقول : إنّ في القرآن ألفاظاً أعجميـــة ، لكنـــها لا تُخرجه عن كونه عربياً ، وكان ذلك لأسباب وحكم ذكرناها في مكانها ، ولقد جـــاءت هذه الألفاظ من باب وضع الشيء في مكانه الصحيح ، حيث خاطب العرب بما يعرفون والقرآن بذلك حوى علوم الأولين والآخرين ، ليكون بحقّ كتاب البشرية جمعاء .

---

[1] – نحلة ، ١٩٦

٢– المطففين ، ٢٣.

٣– البينة ،٨.

٤– ينظر أبو عودة ، ٤٠٧، ٤٠٨.

٥– ينظر الجواليقي ، ٣٨٠ .

٦– ينظر الخفاجي ، ١٢٠ .

٧– ينظر الثعالبي ، ٣٠٥.

٨– الانسان ، ١٨.

٩– السيوطي ، الاتقان ، ١/ ٢٩٢.

١٠– الرحمن ، ٥٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جدول بالألفاظ الأعجمية الواردة في نصوص الجنة

الرقم	اللفظ الأعجمي	معناه	أصله الأعجمي	عدد تواتره في الايات
١	أباريق	إناء له عروة	فارسي	١
٢	أرائك	الأسرة في الجمال	يوناني	٥
٣	إستبرق	الحرير السميك	فارسي	٤
٤	زنجبيل	اسم عين في الجنة بطعم الزنجبيل	سنسكريتي هندي	١
٥	سندس	الحرير الرقيق	يوناني	٣
٦	طوبى	اسم للجنة الخاصة ، أو شجر في الجنة	اللغة الأم	١
٧	فردوس	البستان الواسع	روماني	٢
٨	كافور	نوع من أنواع الطيب أو اسم عين في الجنة	هندي	١
٩	مسك	نوع من الطيب والروائح	هندي	١
١٠	مرجان	نوع من الأحجار الكريمة ، صغار اللؤلؤ	يوناني	٢
١١	ياقوت	نوع من الأحجار الكريمة أزرق اللون	يوناني	١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إيهام الترادف في نصوص الجنة

تقديـــــم :

يعدّ الترادف من القضايا اللغوية البارزة في العربية ، ومن عوامل التنمية اللغوية التي ترفد أبناء اللغة بثروة لفظية ثرّة ، تسعفهم في اختيار طرائق متعددة للتعبير عـــن المعاني ، وقد قام نفر من العلماء بتصنيف المصنفات ، وتأليف الكتـــب التـــي تبحـــث قضية الترادف[١].

وقد تباينت آراؤهم حول وقوع الترادف في اللغة ، وانقسموا بين منكر ومحقـق ، وانسحب هذا التباين على علماء الشريعة والدراسات القرآنية ، فأنكر جُلّ العلماء وقوع الترادف في القرآن الكريم ، وحجتهم في ذلك أنّ الإعجاز اللفظي يقتضي وقوع اللفظ الدقيق في مكانه الدلالي المخصص له ، فإن ورد لفظ آخر في الموقع الدلالي نفســـه ، فإنّ ذلك لا يعني أنّ المعنَيين متطابقان متماثلان ، بل إنّ ثمّة فرقاً يُمكـــن أن يُلمـــس بينهما ، بحسب الاعتبارات الدلالية المقنّعة حيناً ، والظاهرة حيناً ، وعلى هذا أنكـــروا الترادف .

فابن عطية الأندلسي يقف مع المنكرين ، قائلاً : " وكتاب الله تعالى لو نزعـــت منه لفظة ، ثمّ أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها ، لم يوجد "[٢]، ومؤدّى هـــذا القول أنّ جميع مفردات القرآن تؤدي دورها في مكانها المرسوم لها ، ولا يُمكـــن أن تسُدّ مكانها لفظة أخرى ، لِما تمتاز به المفردة القرآنية من قـــوّة المعنـــى المتسّـق ، والسياق الدلالي .

ومن العلماء الذين أنكروا الترادف في كتاب الله تعالى ، أبو هلال العســـكري ، وقد أحسن إذ حاول أن يتلمّس دقائق الفروق بين الألفاظ ، وفي هذا الشـــأن يقـــول : " وواضع اللغة حكيم ، لا يأتي فيها بما لا يفيد ، فأن أشير منه في الثاني والثـــالث إلـــى خلاف ما أشير إليه في الأول ، كان ذلك صواباً ، فهذا يدلّ على أنّ كلّ اسمين يجريان على معنىً من المعاني ، وعين من الأعيان في لغة واحدة ، فإنّ كـــلّ واحـــد منـــهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر ، وإلاّ لكان الثاني فضلاً لا يحتاج إليه ، وإلـــى هـــذا ذهب المحققون من العلماء ، وإليه أشار المبرّد ..."[٣] .

وقد ألمح الراغب الأصفهاني في مقدمة كتابه (المفردات) ، إلى وجود فـــروق

١- ينظر على سبيل المثال ،الأصمعي ، ما اختلف لفظه واتفق معناه ، والرماني ، الالفاظ المترادفة والمتقاربة المعنى ، والحيا لي ،ا لألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة .

ومن المحدثين ، حسين محفوظ ، معجم المترادفات ، واليسوعي ، روفائيل ، قاموس المترادفات والمتجانسات .

٢- ابن عطية الغرناطي ، أبو محمد عبدالحق ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ٧٢/١.

٣- العسكري ، أبو هلال ، الفروق اللغوية ،تح ، حسان الدين القدسي ، ١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بين مفردات القرآن ، بيد أنّ الأجل لم يُمكّنه من إتمام هذا البحث ، فهو يقول : " وأتبع هذا الكتاب [المفردات] إن شاء الله تعالى ، ونسأ في الأجل ، بكتاب يُنبئ عن تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد ، وما بينها من الفروق الغامضة "[1]، وقد خاض المحققون في ذات القضية ، وأقروا بوجود الترادف في القرآن ، متخذين من مسألة نزول القرآن على **سبعة أحرف** حجة لهم في مذهبهم ، وتبعهم في ذلك أصحاب التفسير فقد سلكوا من تفسير كتاب الله تعالى طريقة الشرح بالمترادفات ، وللحقّ لم يكن هدفهم بحث قضية الترادف ، وإنما تركزت جهودهم على بيان أحكام القرآن ، وكشف ما غمض من مفرداته ، وعلى هذا فسّروا أكثر ألفاظ القرآن ، فقالوا : إنّ (جاء) بمعنى (أتى) ، و (هلمّ) : (تعال) ، و (عمل) توازي (فعل) ... وغيرها من الكلمات

وقد اهتم المحدثون بالقضية ذاتها ، واختلفت فيها آراؤهم ، فنجد القسم الأول يقضي بعدم وقوع الترادف في القرآن ، ومنهم بنت الشاطئ ، التي حاولت أن تكشف فروق الألفاظ ، وفي هذا الشأن نراها تقول : " من قديم شغلت قضية الترادف علماء العربية واختلفت مذاهبهم فيها ، والبيان القرآني يجب أن يكون له القول الفصل فيما اختلفوا فيه حين يهدي إلى سرّ الكلمة ، لا يقوم مقامها كلمة سواها من الألفاظ المقول بترادفها "[2]، وقد سار على هذا الرأي نفر من العلماء ، من أمثال أحمد بدوي[3]، وعبد الله دراز[4]، وفضل عباس[5]. ونجد القسم الآخر منهم قد قال بالكلمات المترادفة في القرآن ، ومن هؤلاء : صبحي الصالح ، الذي يقرّ بوجود الترادف إذا كان من لغات مختلفة ، غير أنه يعود فيقول : إنّ هذه الفروق بين الدلالات قد " تنوسيت فيما بعد ، وأصبح من حق اللغة التي ضمتها إليها أن تعتبرها ملكاً لها ، دليلاً على ثرائها ، وكثرة مترادفاتها "[6]. ويُقرّ إبراهيم أنيس بوقوع الكلمات المترادفة في القرآن بقوله : " أمّا الترادف ، فقد وقع بكثرة في ألفاظ القرآن ، رغم محاولة بعض المفسرين أن يلتمسوا فروقاً خيالية ، لا وجود لها إلا في أذهانهم ، للتفرقة بين تلك الألفاظ القرآنية المترادفة ... ويبدو من الاستعمال القرآني أنّ معنى (في أذنيه وقر) لا يختلف عن معنى الأصم "[7]، ويبدو أنه عدل عن رأيه فيما بعد ، على حدّ قول عائشة عبد الرحمن ،

١- الراغب ، ٥٥ .

٢- بنت الشاطئ ، عائشة بعد الرحمن ، الإعجاز البياني للقرآن ، ١٩٣ .

٣- بدوي ، ٥٧.

٤- دراز ، عبد الله ، النبأ العظيم ، ١٢٤،١٢٥.

٥- ينظر عباس ، الإعجاز في القرآن الكريم ، ١٧١ .

٦- الصالح ، صبحي ، دراسات في فقه اللغة ، ٢٩٩ .

٧- أنيس ، دلالات الألفاظ ، ٢١٥،٢١٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذلك في أثناء مناقشة أزمة الترادف بلجنة الأصول في المجمع اللغوي[١].

ويُجمل أحد الباحثين آراء العلماء في وقوع الترادف في القرآن بالقول : " نرى أنّ المهتمين بعلوم القرآن تباينت آراؤهم في إنكار الترادف في القرآن على ثلاث شعب : فبعضهم أثبته في أصل اللغة ، وأنكره في درجات الفصاحة والبلاغة ، من حيث الحسن والقبح ... وبعضهم تحرّج من القول بترادف ألفاظ من القرآن ، و آثر القول بالتباين ما أمكن ، والتمس فروقاً دقيقة بين كلمات يُظنّ بها الترادف ، وبعضهم أنكر الترادف في أصل اللغة ، إلاّ أن يجيء من لغتين ، وكان إنكاره للترادف في كتاب الله أشدّ ، والتمس فروقاً دقيقةً أيضاً بين بعض ألفاظ من كتاب الله ، واعترف بقصوره عن لمح فروق بين كثير من الألفاظ "[٢].

ويقف البحث بقوّة وعزم ، إلى جانب المنكرين ، فليس يُحتج لوقوع الترادف بتقصير العلماء ، ولا يعني الشرح والتفسير القول بإقرار الترادف ، وعلى هذا الرأي قمنا بإيراد بعض الألفاظ التي توهم في ظاهرها أنها مترادفة ، وحاولنا أن نلتمس بينها فروقاً ، وإن جزئية . ولقد كان الأمر صعباً يحتاج للنظر الدقيق ، واستلهام التوفيق ، ذلك أنّ الحديث في كتاب الله ينبغي أن يحاط بنوع من الحيطة والحذر ، ولست أقطع بكلّ ما وصلت إليه . وإني أرى أن انهي التعليق على الألفاظ بردّ العلم إلى الله تعالى .

<u>الأجر والثواب :</u>

ورد اللفظان في موضع التعقيب على مصير المؤمنين في الجنة ، جزاءً لهم على أعمالهم الصالحة ، وذلك في قوله تعالى : { وقالوا الحمدُ لله الذي صدقَنا وعدَه وأورثنا الأرضَ نتبوأ من الجنّةِ حيثُ نشاء فنعم أجرُ العاملين } [٣] ، وقوله تعالى : { ... ولأدخلنّهم جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عندَه حُسن الثواب }[٤]، وقد بحثها قبلي الأستاذ المنجّد ، وأرى أنه أصاب في إيجاد الفروق بين الأجر والثواب ، ويجمل الكاتب تلك الفروق التي ذكرها في بحثه ، إذ يقول : " ولنا بين الأجر والثواب فروق نكاد نخفيها ، حذر الزلل في كتاب الله ، إذ إننا نُحسّ بها ، ولا نجد الأدلة القاطعة عليها ، لكن حسبنا إخلاص النية . أوّل تلك الفروق أنّ الأجر يُكافئ العمل ، والثواب مازاد على ذلك "[٥]، ثمّ يأتي بأمثلة من القرآن شاهداً على

١- ينظر بنت الشاطئ ، الإعجاز البياني ، ١٩٨، الحاشية .

٢- المنجد ، محمد نور الدين ، الترادف في القران الكريم بين النظرية والتطبيق ، ١٢٥ ، ١٢٦ .

٣- الزمر ، ٧٤.

٤- آل عمران ، ١٩٥.

٥- المنجد ، ١٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صحة مايقول ، ويتابع المنجد كلامه فيقول : " ثاني تلك الفروق هو أن القرآن جعل الأجر عاما ، يكون من الله عز وجل ، كقوله تعالى : { فلهم أجرهم عند ربهم ... }، ويكون من الناس أيضا ، كقوله تعالى : { فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن }، في حين أن القرآن لم يذكر الثواب مسندا للبشر ، فكأن الثواب خاصا بجناب الله تعالى ، والأجر عام ، وثالث تلك الفروق التي لا نقطع بها أن الأجر يكون على الأعمال فقط ، في حين أن الثواب يكون على الأعمال والأقوال معا ، فيكون الثواب – إن صح ذلك – أعم من الأجر ، ونستأنس لهذا المعنى بقوله تعالى : { فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار " ... وإذا صحت هذه الفروق بين الأجر والثواب فلا يمكن عدها من المترادفات "[1].

أعين وعيون :

يدل لفظ العين على معان مختلفة ، جمعها ابن بنين النحوي في كتابه (اتفاق المباني وافتراق المعاني) ، وعد منها العين الجارحة ، والعين بمعنى الواشي ، وعين الماء ...[2]، وتجمع العين على أعين وعيون ، ولا يفرق بينها إلا بالدلالة على القلة والكثرة ، إذا دلت على معنى واحد ، وبالتالي يمكن أن يتبادلا مواقعهما الدلالية ، غير أن استعمال القرآن للكلمتين متفرد ، فعلى الرغم من اتفاق اللفظين في أصل الاشتقاق (عين) إلا أن دلالة كل منهما مختلفة ، واستقراء الآيات يؤيد ذلك ، ففيما يتعلق بلفظ (أعين) ، نجد أن القرآن استخدمها للدلالة على العين الباصرة فقط وفي كل الأحيان ، ولم تشذ عن ذلك آية من الآيات الاثنتين والعشرين اللاتي وردت فيها اللفظة ، ولقد اختصت آيتان من مجموع الآيات بذكر الجنة ، كما يتضح ذلك من قوله تعالى : { فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أَعْين جزاء بما كانوا يعملون }[3]، وقوله تعالى : { ... وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون }[4].

أما كلمة (عيون) ، فقد استخدمها القرآن في موقع دلالي يختلف عن استخدام لفظ (أعين) ، وذلك للدلالة على عين الماء فقط ، وجاء ذكرها في وصف جنة الدنيا – البستان – كقوله تعالى : { فأخرجناهم من جنات وعيون }[5]، وفي وصف جنة الخلد أيضا ، بقوله تعالى : { إن المتقين في جنات وعيون }[6].

وإذا تبينا هذا الفرق بين اللفظين ، فإننا نرد الترادف بينهما ، مع أن العربية

١- المنجد ، ١٦٢ .

٢- ابن بنين النحوي ، سليمان ، اتفاق المباني وافتراق المعاني ، تح يحيى جبر ، ١٠٧، ١٠٨ .

٣- السجدة ، ١٧ .

٤- الزخرف ، ٧١.

٥- الشعراء ، ٥٧.

٦- الذاريات ، ١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تجيز تبادلهما ، ومن ذلك قول الشاعر[1]:

كأنّ عيونَ الوحشِ حول خِبائِنا وأَرْحلِنا الجزْعُ الذي لمْ يثقّب

الإحسان والفضل :

وردت هاتان الكلمتان في وصف الجزاء الذي ينتهي إليه المؤمنون في الآخرة ، كما يتضح من قوله تعالى : { هل جزاء الإحسان إلاّ الإحسان }[2]، وقوله تعالى : { وبشّر المؤمنين بأنّ لهم من الله فضلاً كبيراً }[3]، ويدلّ لفظ الفضل في المعاجم على " الزيادة عن الاقتصاد "[4]، والفضل كذلك " ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب "[5]. وأصل الفضل " أصل صحيح يدلّ على زيادة في الشيء ... والإفضال : الإحسان ، والفضل : ضدّ النقص "[6]، ويُلحظ من خلال الآراء السابقة أنّ الفضل يؤدي معنى الزيادة على الحق المطلوب .

أمّا الإحسان فيقال على وجهين : " أحدهما الإنعام على الغير ، يقال : أحسن إلى فلان ، والثاني : إحسان في فعله ؛ وذلك إذا علم علماً حسناً ، أو عمل عملاً حسناً "[7]. وعلى هذا فالإحسان يتعلق بمظهر النعيم الحَسَن ، مكافأة على العمل الحسَن ، وإذاً فثمة تمايز بين قولنا : أحسنت إليه ، وتفضلت عليه .

وبين الإحسان والفضل فرق ، فالإحسان " قد يكون واجباً وغير واجب ، والفضل لا يكون واجباً على أحد ، وإنما هو ما يُتفضل به من غير سبب يوجبه "[8]. وهذا الفرق تهدي إليه الآية الأولى : { هل جزاء الإحسان إلاّ الإحسان } ، إذ تحصر الإحسان في الجزاء على العمل الصالح ، وتقصره به ، فيكون بمنزلة الأجر للعامل إذا أحسن ، في حين أنّ الفضل يزيد على الأجر ، من باب التفضل الإلهي على عباده المؤمنين ، وهذا من باب قوله تعالى : { جزاءً من ربك عطاءً حساباً } ، فالجزاء يتمثل في الإحسان ، ولذا ضاعف الله أجر الحسنة بقوله : { من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها } ، والعطاء يتمثل في الفضل ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإنّ

١-امرؤ القيس ، الديوان ، ٧٠.

٢- الرحمن ، ٦٠.

٣- الأحزاب ، ٤٧.

٤- الراغب ، مادة فضل .

٥- الزمخشري ، ٢٦٦/٣.

٦- ابن فارس ، المقاييس ، مادة فضل .

٧- الراغب ، مادة حسن .

٨- العسكري ، أبو هلال ، الفروق اللغوية ن تح حسام الدين القدسي ، ١٥٩ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإحسان يرسم دلالة حسنة على الجزاء ، والإحسان من الحسن ، ضدّ القبح ، لذا وصف الله تعالى الجنة بالحسنى ، في قوله تعالى : { للذين أحسنوا الحسنى وزيادة }[1]، والفضل لا يتضمن هذا المعنى في لفظه ، وثمة فرق آخر لا نجزم به ، وإنّما يُخيّل إلينا ، ونقصد به أنّ الإحسان يكون في الأقوال والأعمال ، فمثال الأعمال : قوله تعالى { ... إنا لا نُضيع أجر من أحسن عملاً }[2]، ومثال الأقوال : { ومن أحسن قولاً مِمّن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين }[3]، في حين أنّ الفضل لا يكون إلا في الأعمال .

وإذا كانت هذه الفروق في موقع الصواب من البحث ، فإننا نردّ الترادف الواقع بينهما والله أعلم .

التحية والسلام :

هما من الألفاظ التي تستقبل بها وفود المؤمنين في الجنة ، حيث تتلقاهم الملائكة بالتحية والسلام ، كما في قوله تعالى : { تحيّتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين }[4]، { لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً*إلاّ قيلاً سلاماً سلاماً }[5]، { تحيّتُهم يوم يلقونه سلام وأعدّ لهم أجراً كريماً }[6].

وتكاد المعاجم توحّد بين اللفظين ، ففي اللسان : " التحية : السلام ، وقد حيّاهُ تحية والتحية في كلام العرب : ما يُحيّي بعضهم بعضاً إذا تلاقوا "[7] ، وأصل اشتقاقها من الحياة ، أو المُحيّا ؛ لأنه الجزء الذي يُستقبل به الناس عندما يلقي التحية . تلك معاني التحية ، أمّا السلام ، فيعرّفه اللسان بقوله : السلام : التحية ، ومنه قول الشاعر:

تُحيّي بالسلامة أُمُّ بكر وهل لك بعد قولِك من سلام؟

وقال أبو الهيثم : السلام والتحيّة معناهما واحد "[8]، فهل استخدمهما القرآن بمعنى واحد ، أم أنّ هناك لطائف وفروقاً دقيقة بين اللفظين ؟

أجل ، فإنّ مذهبنا هو إنكار الترادف ، ولعلّنا لا نغالي إن قلنا : إنّ استعمال القرآن للكلمتين يشكل بنية دلالية مستقلة . فلو اقتصرنا على مستوى القول بين السلام

١- يونس ، ٢٦ .

٢- الكهف ، ٣٠.

٣- فصلت ، ٣٣.

٤- يونس ، ١٠ .

٥- الواقعة ،٢٥، ٢٦.

٦- الاحزاب ، ٤٤.

٧ - ابن منظور ، مادة حيي.

٨-ابن منظور ، مادة سلم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتحية لقلنا : إنّ التحية تكون بالسلام وغيره ، فالتحية " أعمّ من السلام ، وقال المبرّد يدخل في التحية حيّاك الله ، ولك البشرى ، ولقيت الخير ، وقال أبو هلال أيده الله تعالى : ولا يقال لذلك سلام "[1]، فالفرق بين التحية والسلام - قولاً - فرق بين العام والخاص ، بيد أنّ لهذا الخاص مزايا جليلة ، ولذلك خُصّ من دون ألفاظ التحية كلها . ولا يقتصر معنى السلام على القول الشفهي ، بل يتعدّى ذلك للدلالة على معاني السلامة والنجاة ، والأمن والبقاء ، وليس التحية كذلك في القرآن ، فقوله تعالى : { والله يدعو إلى دار السلام } ، يشكل سياقات متعددة ، واعتبارات دلالية يفضي بعضها إلى بعض ، " دار السلامة والصحة والأمن ، وهي الجنة ؛ إذ أهلها سالمون من كل مكروه ويجوز أن يكون الله تعالى أضافها إلى اسمه الشريف ، على سبيل التعظيم لها والتشريف "[2]. والتحية من الحياة ، والسلام من السلامة ، وقد جمع القرآن بينهما في قوله تعالى : { ويلقّون فيها تحيّة وسلاماً }[3]. والعطف بالواو يقتضي أن تكون التحية غير السلام ، فالتحية هنا دعاء بالبقاء ، والسلام دعاء بالسلامة من كل المكاره والآفات وإذا كان ذلك كذلك ، فليس يحق أن نقول بترادف اللفظين .

<u>الخلود والدوام :</u>

وقد وردتا في نصوص الجنة ، وصفاً لها تارةً ، ووصفاً لأهلها مرة ، ويظهر ذلك في قوله تعالى: { وأمّا الذين ابيضّت وجوهُهم ففي رحمةِ الله هم فيها **خالدون** }[4]، وقوله تعالى : { مثل الجنة التي وُعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها ... }[5]، وقوله تعالى : { وأمّا الذين سُعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماواتُ والأرض }[6].

وأصل الخلد عند ابن فارس : أصل يدلّ على الثبات والملازمة[7]، وفي اللسان : " الخلد دوام البقاء "[8]. ويزيد الأصفهاني على معنى الخلد عدم فساد الأشياء ، بقوله : " والخلود في الجنة بقاء الأشياء على الحالة التي عليها ، من غير اعتراض الفساد عليها "[9].

١- العسكري ، ٤٤ .

٢- الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ١٤٦/٥ .

٣- الفرقان ، ٧٥.

٤- آل عمران ، ١٠٧.

٥- الرعد ، ٣٥.

٦- هود ، ١٠٨ .

٧- ابن فارس ، المقاييس ، مادة خلد.

٨- ابن منظور ، مادة خلد .

٩- الراغب ، مادة خلد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويـدلّ الأصل (دوم) على السكون واللزوم ، يقال : دام الشـيء،يـدوم : إذا سكن "[1].

وخلاصة الأقوال السابقة أنّ الخلود والدوام يقعان على معنىً فيه ثبـات ولـزوم وبقاء ، وقد ورد اللفظان في وصف الجنة ونعيمها وأهلها ، فهل يصح الاستغناء عـن أحدهما ، أو تبادل مواقعهما ؟ وأرى أنّ ذلك إن جاز في كلام البشر ، فإنه لا يجـوز في كتاب الله تعالى ، فهناك فرق دقيق ، بين الخلود والـدوام ، فعلـى الرغـم مـن اشتراكهما في الدلالة على الزمن ، إلاّ أنّ الفرق بينهما يعتمد على تحديد الزمن الـذي يتميز به كل لفظ عن الآخر ، فالدوام يعني : " استمرار البقاء في جميع الأوقـات ، ولا يقتضي أن يكون في وقت دون وقت ... والخلود هو استمـرار البقـاء مـن وقـت مبتدأ "[2]، وهذا مبتدى ما يمكن أن نلحظه من سياق الآيات ، فوصـف أكـل الجنـة بالدوام يحتّم أن يكون ذلك في كل الأوقات، دون تحديد ، وهذا ما يولّده الأصل الثنائي (د.و) الذي يدلّ على الدائرية في الشيء (دوحة ، دورة) ، والدائرة ليس لها بدايـة أو نهاية ، ولكنها كالحلقة .

أمّا الخلود ، فإنه يدلّ على بداية الوقت الذي اتصف به المؤمنـون بـالخلود ، أو وصفت الجنة به ، ومن هنا جاء الوصف في الآية : { وأمّا الذين سُعدوا ففـي الجنـة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض } بالخلد ابتداءً ، ثمّ كان الوصـف بـالدوام ، فالخلود يفترق عن الدوام في البدء ، ويتفق معه في الاستمرار . وثمّة فرق آخر يسعفنا به استقراؤنا للآيات ، من أنّ الدوام يكون لغير الأحياء كالأكل السماوات والأرض ... أما ما ورد في قوله تعالى : (إلا ما دمت عليه قائمـا) ، فـالمعنى أن القيـام علـى اليهودي ليؤدي له دينه يشبه قيام الشيء الجامد الذي لا يتحرك ، أمّا الخلود ، فيختـص بالأحياء وحسب ، وعلى هذا فلا ترادف بين اللفظين والله أعلم .

<u>الكبير والعظيم :</u>

جاءت الكلمتان في مجال التعقيب على المصير الذي ينتهي إليه المؤمنـون فـي الآخرة ، والآيتان التاليتان تهديان لذلك حيث يقول تعالى : { أعدّ الله لهم جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم }[3]، ويقول تعالى : { إنّ الذين آمنـوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير }[4].

فإذا نقّرنا عن معنى اللفظين في المعجم ، وجدنا الأصل اللغوي (عظـم) يـدلّ

١-ابن فارس ، المقاييس ، مادة دوم .

٢- العسكري ، ٩٥.

٣- التوبة ، ٨٩.

٤- البروج ، ١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"على كِبَر وقوّة ... ومعظم الشيء أكثره" [1]، وفي اللسان : " عَظُم الشيء ، يعظم عِظَماً وعظامة : كَبُر "[2].

ومِمّا سبق يتبيّن أنّ العِظَم يدلّ على الكبر والكثرة ، أمّا معنى (كبر) فيفسّره اللسان بقوله : " كبُر بالضم ، يكبر أي عظم فهو كبير " [3] ولا يجد المرء في هذا الكلام ما يفرق بين الكبير والعظيم ويورد الراغب كلاما يشبه كلام السابقين وإن كان قد أوضح ذلك بصيغة أدق بقوله :" عظم الشيء أصله كبر عظمه ، ثمّ استعير لكلّ كبير ، فأُجريَ مجراه محسوساً كان أو معقولاً ، عيناً كان أو معنى "[4]، ففي قول الراغب زيادة على معنى العظيم ، إذ يكون في المحسوس والمعقول ، فنقول : عمل عظيم وفكر عظيم ، ثمّ يعود فيفسّر الكبير بقوله : " الكبير والصغير من الأسماء المتضايفة ، التي تقال عند اعتبار بعضها ببعض ... وتستعملان في الكمية "[5]، وهذا الكلام فيه نظر ؛ فالكبير قد يقال في بيان مقدار الشيء وكميته ، غير أنّ استعماله في الحجم أشيع ، وإن دل في بعض معانيه على الكثرة ، غير أنّ العظيم " قد يكون من جهة الكثرة ، ومن غير جهة الكثرة ... وقد يعظم الشيء من جهة الجنس ، ومن جهة التضاعف "[6]، ودلالة المضاعفة التي يشير إليها لفظ (العظيم) ، لا يشير إليها لفظ (الكبير) ، كما أنّ (العظيم) يوحي بالعزّ والشرف والسلطان ، وفرّق العسكري بين كبير القوم ، وعظيم القوم ، وذلك " أنّ عظيم القوم هو الذي ليس فوقه أحد منهم ، فلا تكون الصفة به إلا مع السؤدد والسلطان ، فهو مفارق للكبير "[7]، وأرى أنّ العظيم يوصف بالكثرة المضاعفة من جهة ، وبالعلوّ الذي لا يدانيه علوّ ، وعلى هذا ، فالفوز عندما يُنعَت بالعظمة (فوز عظيم) ، فهو فوز لا يعادله فوز مثله ، ونستأنس لهذا المعنى بقوله تعالى : { إنّ الشرك لظلم عظيم } ، أي ليس فوقه ظلم ، ولم يوصف بالكبير ، في حين أنّ الكبير قد يدلّ على الكثرة ، ولكنه لا يدلّ على العلوّ ؛ لذا جاءت الآيات التي تصف الله عز وجل بالكبير مصاحبة لكلمة العلوّ ، كقوله تعالى : { ... عالمُ الغيبِ والشهادةِ الكبيرُ المتعال "[8]، وقوله تعالى : { قالوا ماذا قال رُبّكم قالوا الحقّ

١- ابن فارس ، المقاييس ، مادة عظم .

٢- ابن منظور ، مادة عظم .

٣- نفسه ، مادة كبر .

٤- الراغب ، مادة عظم .

٥- نفسه ، مادة كبر .

٦- العسكري ، ١٥٠.

٧- نفسه ، ١٥٠.

٨- الرعد ، ٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو العليّ الكبير }[1]، ثمّ إن الكبير خلاف الصغير ، والعظيم ضد الحقير ، وفرق بين الصغير والحقير . وإن صحّت هذه الفروق ، فلا ترادف بين اللفظين ، والله أعلم .

الفلاح والفوز :

لا تكاد معاجم اللغة تفرّق بين دلالة اللفظين ، فاللسان يوفق بينهما بالقول : " الفلح والفلاح : الفوز والنجاة والبقاء في النعيم والخير "[2]، ويعرّف الراغب الفلاح بقوله : " والفلاح : الظفر ، وإدراك بغية ، وذلك ضربان : دنيوي وأخروي "[3]، ومن خلال استقراء الآيات التي وردت فيها كلمة الفلاح ، نرى أنّ الفلاح يشترك في الخير والشر وفي الأمور الدنيوية والأخروية ؛ ففي مجال الحديث عن الأخرة ، يقول تعالى واصفاً المؤمنين : { قد أفلح المؤمنون*الذين هم في صلاتهم خاشعون }[4]، وقوله تعالى : { فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون }[5]، وقد جاء الفلاح في خبر الدنيا مرة واحدة وذلك في خبر آل فرعون مع موسى عليه السلام ، كما يتضح من قوله تعالى : { فأجمعوا كيدكم ثمّ ائتوا صفاً وقد أفلح اليوم من استعلى }[6].

أمّا الفوز ، "فيعني : الظفر بالخير مع حصول السلامة "[7]، ومن خلال تلاوتنا للآيات التي جاءت فيها لفظة الفوز ومشتقاتها ، نرى أنّ القرآن لم يستخدمها إلا في خبر المؤمنين ، واقتصر في ذكرها على الدار الآخرة دون الدنيا ، ومثال ذلك قوله تعالى : { فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور }[8]، وقوله تعالى : { لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون }[9] ، أمّا بخصوص ما جاء في خبر المنافقين من ذكر للفوز في قوله تعالى :{ ... ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً }[10]، فيجوز أن يكون ذلك من قبيل التمني الذي لا يمكن حصوله على الحقيقة ، أو من قبيل كشف نفسية هؤلاء المنافقين الذين لا يعترفون بالفوز العظيم إلا في الأمور الدنيوية الزائلة .

١- سبأ ، ٢٣ .

٢- ابن منظور ، مادة فلح .

٣- الراغب ، مادة فلح.

٤- المؤمنون ، ١، ٢ .

٥- المؤمنون ، ١٠٢.

٦- طه ، ٦٤.

٧- الراغب ، مادة فوز .

٨- آل عمران ، ١٨٥.

٩- الحشر ، ٢٠.

١٠- النساء ، ٧٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ونخلص مِمّا سبق إلى القول : إنّ الفلاح يفترق عن الفوز ، من حيث أنّ الفلاح يستخدم في الخير والشر ، وفي شؤون الدنيا والآخرة ، في حين يقتصر ذكر الفوز على خير الآخرة .

ولقد لَمَح الدكتور فضل عباس فرقاً آخر بين اللفظين ، يتمثل في الحركة التي تصاحب لفظ الفلاح ، والسكون الذي يتوافق والفوز ، بقوله : " فالفلاح لا بدّ له من حركة ومشقة ، ولهذا نجد الآيات التي ذكر فيها الفلاح في كتاب الله تعالى جاءت جامعة لكثير من التكاليف والأوامر ، محذرة من كثير من النواهي ... وأمّا الفوز ، فيلاحظ فيه جانب السلامة والنجاة "[1].

وينبغي الإشارة إلى أنّ القرآن الكريم عدل عن استعمال كلمة النجاح مقابل الفوز على الرغم من شيوعها وتحقيقها المعنى الذي يدلّ على الظفر ، ولعل السر في ذلك يتمثل في أنّ النجاح يمكن أن يستخدم في الشرّ ، فنقول : نجح اللص في الهرب ، ولا نقول : فاز .

ولعلّ الفروق السابقة تؤكد نفي الترادف عن الكلمتين ، والله أعلم .

<u>النصب واللغوب:</u>

جاءتا في نصوص الجنة منفيتين ، وذلك في قوله تعالى : { الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب }[2]. ولا تفرق المعاجم بين دلالة اللفظين ، فالنصب هو " الإعياء من العناء ... وهو التعب ، قال النابغة[3]:

كِليني لهم يا أميمة ناصب وليلٍ أقاسيه بطيءِ الكواكبِ

واللغوب : هو التعب والإعياء "[4]، مِمّا يعني أنّ المعاجم لا ترى فرقاً بين اللفظين ، إذ يمكن حلولهما في ذات الموقع الدلالي ، فهل الله تعالى ذكر النصب ، ثم ذكر اللغوب فضلةً ؟ أرى أنّ ذلك لا يحدث ما طمى البحر ، وحاشا القرآن أن يكون كذلك ، ولعلّ الزمخشري قد لمح بفكره الوقاد فرقاً غاب عن أذهان كثير من اللغويين ، ويتمثل هذا الفرق بين النصب واللغوب بأن يكون أحدهما أثراً للآخر ، ومتولّداً عنه ، ويظهر ذلك في قوله : " النصب : التعب والمشقة التي تصيب المنتصب للأمر ، المزاول له ، وأمّا اللغوب : فما يلحقه من الفتور بسبب النصب ، فالنصب نفس المشقة والكلفة ، واللغوب نتيجته "[5]، ولهذا جاء ترتيب اللفظين في الآية مبتدئاً بالنصب ؛ لأنه

١- عباس ، فضل ، المفردات القرآنية ، ١٠٠.

٢- فاطر ، ٣٥ .

٣- ينظر اللسان ، والقول نفسه في ا لمقاييس والمفردات .

٤- ابن منظور ، مادة لغب .

٥- الزمخشري ، ٣/٣١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المسبّب للتعب ، وأعقبه باللغوب ؛ لأنه السبّب عنه .

وعلى هذا ، فلا ترادف بين اللفظين ، بل تفرّد لغوي معجز ، والله أعلم .

السرور والسعادة :

وردت اللفظتان في وصف حالة المؤمنين في الآخرة ، وذلك في قوله تعالى : { وأمّا من أوتيَ كتابَه بيمينه فسوف يُحاسب حساباً يسيراً*وينقلب إلى أهله مَسْروراً }[1]، وقوله تعالى : { وأمّا الذين سُعدوا ففي الجنة خالدين فيها } [2]. ويدلّ السرور على "ما ينكتم من الفرح" [3]، وسمّي السرور بهذا الاسم لأنه أمر خال من الحزن ويتضح مِمّا سبق أنّ السرور يكون في الخير ، غير أنه لا يظهر .

أمّا الأصل (سعد) فهو أصل واحد يدلّ على خير وسرور[4]. والسعادة : " معونة الأمور الإلهية للإنسان على نيل الخير "[5].

وأرى أنّ سياق الآيات يوحي بظلال متدرجة ، تفرّق بين دلالة كلّ من اللفظين ، فهو – أي السرور – يكون في وصف ملاذ الدنيا والآخرة ، ففي مجال ذكر ملاذ الدنيا يقول تعالى في خبر بقرة بني إسرائيل : { قال إنه يقول إنها بقرةٌ صفراءُ فاقعٌ لونها تسرّ الناظرين }[6]، ويقول تعالى : { الذين يُنفقون في السرّاء والضرّاء }[7].

أمّا فيما يتعلق بوصف أمور الآخرة ، فيدلّ عليه قوله تعالى : { ... ولقّاهم نضرة وسروراً }[8]، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ، يشترك المؤمن والكافر في لفظ السرور ، ويظهر ذلك في قوله تعالى في خبر المؤمنين " { وينقلب إلى أهله مسروراً }[9]، وفي خبر الكافرين : { ويصلى سعيراً*إنّه كان في أهله مسروراً*إنه ظنّ أن لن يَحور }[10].

غير أنّ استخدام القرآن الكريم للفظ السعادة ، يتميز عن استخدام لفظ السرور ، فقد اقتصر القرآن في ذكر السعادة على الدار الآخرة وحسب ، إذ إنها تؤكد المصير السعيد للمؤمنين في الجنة ، وفي هذا يقول تعالى : { وأمّا الذين سُعدوا ففي الجنة

١- الإنشقاق ، ٧-٩ .

٢- هود ، ١٠٨.

٣- الراغب ، مادة سرر .

٤- ابن فارس ، المقاييس ، مادة سعد .

٥- الراغب ،مادة سعد .

٦- البقرة ، ٦٩.

٧- آل عمران ، ١٣٤.

٨- الانسان ، ١١.

٩- الانشقاق ، ٩.

١٠- الانشقاق ، ١٢-١٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومِمّا سبق نرى أنّ الأصل (سكن) يدلّ على الموضع الذي يتميّز بالصلاح للإقامة فيه ، ويضاف إليه معنى الهدوء والطمأنينة ، فهو من سكن فيه ، وسكن إليه . ومساكن التي في الآية مفاعل ، اسم مكان يدلّ على المعاني السابقة .

وأمّا فيما يتعلّق بلفظ مقامة ، فهو من قولنا : " قام يقوم قياماً فهو قائم ، وجمعه : قيام ... وأقام بالمكان إقامة "[١]، وفي اللسان : " المقام والمقامة : الموضع الذي تقيم فيه ، والْمُقامة (بالضم) : الإقامة ، والْمَقامة (بالفتح) : المجلس ، والجماعة من الناس ، قال : وأمّا الْمَقام والْمُقام ، فقد يكون كلّ واحد منهما بمعنى الإقامة ، وقد يكون بمعنى موضع القيام "[٢].

ويستدلّ مِمّا سبق على أنّ المقامة والمقام يدلان على المكان والمصدر ، وأرى أنّ ثمة فرقاً بين قولنا سكن ، وأقام ، وتميزاً بين المسكن والمقام ، فسكن لا تدلّ على البقاء والدوام في المكان ، بدليل قوله تعالى : { يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة }[٣]، وهما قد خرجا منها ، وقوله تعالى أيضاً : { وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم }[٤]، وبالطبع لم يكونوا ليسكنوها دون أن يكون أهلها قد غادروها .

ولذا أردفت كلمة (مساكن) في الآية الأولى،التي دلّت على موضع السكنى ، بكلمة (عدن) لتؤكد معنى البقاء والدوام ، أمّا المقامة ، فتدلّ على موضع القيام ، وهو الجنة ، دار البقاء والخلود ، وبذا يزيد على المسكن دلالتها على المصدر .

ولعلّ تميّزاً آخر يقع بين اللفظين ، يتمثل في أنّ المقامة تتميز بما تحويه من موجودات المكان ، كالأكل والشرب والحديث والاجتماع ، ويفصل العسكري ذلك بقوله: " والْمُقامة (بالضم) : المجلس يُؤكل فيه ويُشرب ، والْمَقامة (بالفتح) : المجلس الذي يُتحدث فيه "[٥].

ونخلص إلى القول : إنّ الفرق بين أصلي (سكن وأقام) ، ينحصر في معنى الدوام والبقاء ، ويكون الفرق بين (المساكن والمقامة) فرقاً بين البعض والكل ، فالمساكن : مواضع السكنى في دار المقامة ، وهي الجنة ، ولعلّنا نلمس تلك الدلالة من صيغة الإفراد التي جاءت بها كلمة (مقامة) ، حيث لم ترد في القرآن مجموعة ، وهذا يدلّ على جنس الإقامة في موضع واحد ، في حين أنّ الجمع في كلمة مساكن ، يدلنا على تعدّد درجات السكن في الجنة ، على حسب أعمال المؤمنين .

١- الراغب ، مادة قوم .

٢-ابن منظور ، مادة قوم .

٣- البقرة ، ٣٥.

٤- سورة إبراهيم ، ٤٥.

٥- العسكري ، ٣٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويحسن القول انتهاءً بأنّ الفروق السابقة – إن أصبنا فيها – تنفي وقوع الترادف بين اللفظين والله أعلم .

ولدان وغلمان :

وردت الكلمتان في وصف خدم أهل الجنة في ثلاثة مواضع ، وهي : قوله تعالى: {ويطوف عليهم غلمانٌ لهم كأنّهم لؤلؤ مكنون }[1]، { ويطوف عليهم ولدان مخلدون*بأكواب وأباريق وكأس من معين }[2]، { يطوف عليهم ولدان مخلدون*إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا }[3].

ويدلّ الأصل الغوي (ولد) على معنى واحد ، " وهو دليل النّجل والنسل "[4]، والولد : " فعل بمعنى المفعول ... ويقع على الذكر والأنثى ، واحداً كان أو أكثر "[5]. وفي اللسان : " الوليد : الغلام حين يُستوصف ، قبل أن يحتلم "[6].

ونخلص من هذه الأقوال أنّ الولد يختص بمزايا ثلاثة ؛ إحداها: أنه مولود بسبب من أب وأم ، والثانية تتمثل في إطلاق اللفظ على الذكر والأنثى ، وتحمل الدلالة الثالثة دلالة السّنّ المتقارب ، المشتق من اللده أو الترب ، " ليدل على أنهم يبقون دائماً في سنّ الولدان ، لايكبرون ، ولا يتحولون عن شكل الوصافة "[7].

أمّا (غلم) ، فالغلام : " الطار الشارب ، وقيل : هو من حين يولد إلى أن يشيبّ والجمع : أغلمة ، وغلمة ، وغلمان ... "[8].

وعلى هذا ، فالغلمان أكبر سنّاً من الولدان ، ويدل وجود اللام في الآية { غلمان لهم } ، على الملكية ؛ أي أنّ أهل الجنة يملكونهم ، " ولم يقل غلمانهم بالإضافة ، لئلا يتوهم أنهم الذين كانوا يخدمونهم في الدنيا ، فيشفق كل من خدم أحداً في الدنيا أن يكون خادماً له في الجنة ، فيحزن بكونه ما يزال تابعاً ... وكذا نسبة الخدمة للأولاد ، لا تناسب مقام الامتنان "[9].

وأرى – والله أعلم بالصواب – أنّ الغلمان خلق مميّز من خلق الجنة ، ليسوا من طبيعة البشر ، أمّا الولدان ، فهم من نسل الناس ، وقد فسّرها ابن عباس با لقول : " هم

١- الطور ، ٢٤ .

٢- الواقعة ، ١٧ ،١٨.

٣-الانسان ، ١٩.

٤- ابن فارس ، المقاييس ، مادة ولد

٥- السمين الحلبي ، مادة ولد

٦- ابن منظور ، مادة ولد .

٧- الأندلسي ،تفسير البحر المحيط ، ٢٠٥/٨

٨- ابن منظور ، مادة غلم

٩- الألوسي ، روح المعاني ، ٣٤/٢٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولاد الكفار ، جعلوا خدماً لأهل الجنة "[1]، وعلى هذا نفرّق بين اللفظين .

ولقد أبدع القرآن في موضع استخدام اللفظين ، فكلمة (غلمان) جاءت في سياق الحديث عن جزاء المؤمنين مع ذرياتهم وأولادهم ، حيث يقول تعالى : { والذين آمنوا واتبعتهم ذرّيّتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء ... }[2]، ولو ذكر الولدان في السورة نفسها ، لدلّ ذلك على أنّ الأولاد هم الخدم المقصودون في الآيات ، ولأجل ذلك ذكر الغلمان ، أمّا في سورتي الواقعة والإنسان ، فلم يتقدم ذكر الذرية والأولاد في سياق الحديث عن الجنة ، فجاء لفظ الولدان لإزالة اللّبس الذي قد يتبادر إلى ذهن السامع ، أنّ أولاد المؤمنين هم المستخدمون ، فناسب كل موقع ما ذكر له . وقد ذكر القرآن الغلمان بوصفهم أكبر سناً في مجال خدمة الأهل والذرية ، فهم أقدر على الخدمة من الولدان ، وعلى هذا ، فلا ترادف بين اللفظين – إن صحّ الفرق السابق – ، والله أعلم.

ولعلّه يحسن أن أختم هذا الجزء بالقول : إن المفردات القرآنية مظهر من مظاهر الإعجاز اللغوي في القرآن ، استعملها في مواقع دلالية محددة ، ومواقف قرآنية خاصة ، تقطع بعدم تبادل مواقعهما ، وحلول أيّ منهما مكان الآخر ، وبذا يفترق القرآن – كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه – عن كلام البشر ، ولعلّ فيما سبق دلالة أكيدة على هذا القول .

---

١ – الفيروز آبادي ، تنوير المقياس من تفسير ابن عباس ، ٣٣٨

٢ – الطور ، ٢١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خاتمـــــــة

وبعد ... ففي خضم هذه الصفحات المتواترة ، وبعد رحلة شـــائكة، وشـــائقة استمرت أكثر من سنة ، والقلم يجري بالكتابة ، استطاع البحث — بتوفيق ا لله تعـالى — أن يخرج بالنتائج التالية التي تكشف عن القيم الجمالية ،والمقاربـــات الأســلوبية ، والتعابير الدلالية لنصوص الجنة في القرآن ، وقد جاءت على النحو التالي :

١- كشف البحث عن إمكانية اتخاذ الموضوع القرآني سبيلا للدراسة الأسلوبية ، بغض النظر عن الجزء أو السورة الموجود فيها ، وهو من الجديد في الدراسات القرآنية .

وقد قدّم البحث صورة عميقة للأسلوب القرآني في وصف الجنة ، بما يتضمنـــه مـــن سمات بلاغية، وخصائص لغوية ، ودلالات معنوية . وهذا ما لم يتناوله باحث — فيمـا أعلم — وقد بدا تميز القرآن في أسلوب الترغيب عن طريق وصف مشاهد الجنـــان ، وكان لا بد من تبين الأسلوب القرآني المعجز في وصف النار ؛ فالضد يظهر حســـنه الضد ، وحبذا القيام بهذا الجهد في بحث مستقل آخر .

ونتيجة لتعدد المستويات المدروسة في البحث ، تعددت النتائج الخاصة بكل مستوى.

التشكيل الصوتي :

كشف البحث عن جماليات التشكيل الصوتي في مشاهد الجنة ، وبيـــن أن لغـــة القرآن تختزن طاقة صوتية هائلة في التعبير عن المعاني كما يلي :

١- اعتمد القرآن - وهذا شأنه — على توقيعات الفاصلة التي تؤكد جرس القـــرآن ، وقد استخدم القرآن الفاصلة المتماثلة والمتجانسة محاولة للتنويع الموسيقي ، وامتد ذلـك ليشمل معظم المتعلقات التي تخص الفاصلة من التوازن، والتـــوازي، والقرائـــن مـــن تمكين، وتصدير، وإيغال ، وقد حقق ذلك كله الانسجام التنغيمي دون الإخلال بالمعاني

٢ - لجأ القرآن في آيات الجنة إلى اختيار الأصوات التعبيرية التي تحمل قيما دلاليـــة وأخرى ايقاعية ، رأينا من خلالها سمات التشكيل الصوتي ، وقدرته في إبراز المعـاني سواء أكان ذلك على مستوى الصوت المفرد المتكرر أم كان اللفظ الواحد .

٣- حاول البحث أن يفيد من نظام المقاطع الصوتية وتطبيقه على نماذج معينـــة مـــن النصوص القرآنية ، وبين أن المقطع الصوتي يسهم — بلا شك — في إثراء المســتوى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفكري للمشهد الموصوف وبخاصة فيما يتعلق بالمقطع المتحرك الذي يتمتع بزمن أطول من المقطع الساكن .

المستوى التركيبي :

تناول البحث بعض الظواهر الأسلوبية في نصوص الجنة حيث حققت أغراضا معنوية متعددة على النحو التالي :

١- شاعت النكرة في نصوص الجنة بكثرة ، وقد حققت أغراضا بلاغية كان أهمها غرضا التعظيم ، التكثير ، وهذان الغرضان يتناسبان مع ما أعده الله لعباده من النعيم ، كما أسهمت النكرة في إظهار — كمال النعيم وخلوه من الشوائب التي تعكره عن طريق إفادة نفي الجنس .

٢- شكّل أسلوب التعريف في نصوص الجنة بأنواعه (اسم الإشارة ، والضمير ، الاسم الموصول ،والمعرف باللام، والإضافة) ظاهرة حملت دلالات مختلفة ، برز منها التعظيم والاختصاص والكمال والعموم ، بينت الأهداف القرآنية من ذكر الجنة التي كانت جزاء لمن التزم بها .

٣- أكثر القرآن من استخدام أسلوب الحذف رغبة في الإيجاز ،ولأجل تحقيق أغراض معنوية منها التعظيم والاختصاص وإثبات الأفعال لأصحابها ، ويعمل الحذف على إثارة ذهن المتلقي ،وإبقائه متوقدا لاستقبال المعاني والأفكار .

٤- أفاد أسلوب التقديم والتأخير — من خلال سياقاته المتعددة — دلالات بلاغية عظيمة كالعناية والاهتمام والتشويق ، وقد برز منها بشكل صارخ غرض الاختصاص وهذا ما يلبي طمع النفس المؤمنة في إثبات الجزاء لها على أعمالها ، كما يعرّض بالفئات الأخرى التي تنكبت الطريق .

٥- لجأ القرآن الكريم في نصوص الجنة إلى المراوحة في الخطاب بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية، واستخدم ذلك استخداما بلاغيا بحيث لا يمكن التبادل بين موقع كل منهما ، فقد أفاد الخطاب بالاسم الاختصاص والتوكيد والثبات ، في حين أن الفعل يستخدم في المواقع التي تقتضي التجدد والمزاولة المرتبطة بزمن دال ،وقد استأثر الفعل المضارع على جلّ الأفعال ، لأنه يفيد الاستمرارية في الحال والاستقبال ، وهو ما يناسب أفعال العباد في الجنة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦- استخدم القرآن في آيات الجنة أسلوب التأكيد بوصفها — أي الجنة — معلما من معالم الغيب ، وقد تنوع هذا الأسلوب من توكيد بالتكرير ، وتوكيد بالمصدر و بالأدوات النحوية المعروفة وقد لوحظ أن التوكيد بـ(إن) خاصة ، كانت له مزية تمثلت في أحكام النظم والصياغة .

٧- لجأ القرآن في نصوص الجنة إلى استخدام أسلوب التكرار ، وبين أثر ذلك في ترسيخ الدلالة وتلونها ، كما أظهر البحث أن التكرار لا يشكل عثرة بقدر ما يؤكد منطق القران في الخطاب وقد أفاد التكرار — غير التوكيد — التمايز بين المشاهد المختلفة من حيث طريقة عرضها، وللتكرار هدف نفسي يلبي طموح النفس في الحديث المتكرر عن النعائم والرغائب التي تهواها الفطرة الإنسانية .

٨- بدا واضحا في نصوص الجنة أسلوب الربط بين الجمل القرآنية مشكلا بذلك المعنى الكلي للمتعاطفات ؛ لوجود الجهة الجامعة بينها ، في حين فصل القرآن بين الجمل لأجل البيان والتوضيح ،وغالبا ما يجتمع الفصل والوصل في المشهد الواحد ليحقق غاية مزدوجة تعمل على إحكام الصياغة ، وتمكين النظم .

٩- كشف البحث عن قلة استخدام الجملة الطلبية التي اقتصرت على أسلوبي الاستفهام والأمر اللذين خرجا عن أصل وضعهما إلى معان أسلوبية مختلفة ، ولعل سبب هذه القلة راجع إلى أن الجنة عقيدة من عقائد الغيب يقتضي الإخبار أن يتسطح على مساحة واسعة من النصوص ، ليحقق فائدة الخبر، ويظهر أغراضه الدالة على التكريم والتعظيم والتفخيم .

١٠- استخدم القرآن أسلوب الاستفهام ليحقق أغراضا أسلوبية كان من أبرزها غرض الإنكار ، والتفخيم، والترغيب، والتشويق ،والتقرير.

١١- استخدم القرآن أسلوب الأمر بهدف إبراز الحقائق المعنوية الدالة على هدف الجنة ومن أهمها النصح والإرشاد لنيل الجزاء الحسن ، وغرض الإكرام لأصحاب الجنة ، والدعاء لله تعالى بالتمجيد والتحميد .

١٢- أبرز البحث خصائص المشهد القرآني للجنة ، وبيّن الأطر البديعية والفنية التي من شأنها أن تخرج المشهد بصورة رائعة ، وقد توسل القرآن لذلك بالتصوير حينا ، وبالمقابلة طورا ،وبالحوار تارة ، لتشكل في ثلاثتها معالم عميقة لمشهدية الوصف القرآني للجنة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قضايا الألفاظ

في القرآن ثروة لفظية هائلة حشدها القرآن من أجل فهم المعنى، وتعميق الدلالة وهـــذه الألفاظ تتسم بخصائص تميزها من غيرها من كلام العرب ببلاغتها، ونظمها ومواقعـها الفكرية . تجعلنا نقر ببدائعها وكرائمها كما يتضح من الآتي :

١- أظهر البحث أن القرآن يستخدم الألفاظ الغريبة من أجل التوصل إلى المعنـــى ،ولا يجد غضاضة في ذلك ، وقد بيّن البحث سبب غرابة بعض الكلمات فـــي كونـــها مـــن لهجات القبائل ، أو أنها تطورت دلالتها مجازيا .

٢- بين البحث وقوع الألفاظ الأعجمية في القرآن لحكمة وغاية معينـــة ،ومثـــل هـــذا الوقوع لا يخرج الكتاب العزيز عن كونه عربيا ، وبخاصة أن مثل هذه الكلمات كـــانت مستخدمة قبل نزول القرآن ، وقد جاء القرآن العرب بما تعارفوه .

٣- وقف البحث مع الرأي القائل بعدم وقوع الكلمات المترادفة في القرآن ، وحاول أن يثبت ذلك عن طريق تلمّس الفروق الدلالية بين الألفاظ التي يوهم ظاهرها أنها مترادفة

ونختم بالقول : إذا كان الشاعر قد قضى من منى كل حاجة فإننا لم نقض مـــن البحث كل حاجة ، فما زال في النفس حاجات ورغبات علّها تستكمل في الأيام القادمة ، وما زال البحث قابلا لدراسات أخرى تكمل نقصه ، وتسد رتقه ، ومن ذا الذي يقـــول الكلمة الأخيرة في النص القرآني الذي لا تنقضي عجائبه ، ولا يخلَق على كثرة الرد .

تم بحمد الله .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملخص باللغة العربية

هذا بحث يتناول موضوعا من موضوعات القرآن الكريم ، وهو الجنة الأبدية التي أعدها الله لعباده المتقين .

وتقوم هذه الدراسة على أسس لغوية وبلاغية بمعنى أن البحث سيدرس الجنة من زوايا لسانية قصد الكشف عن الإعجاز اللغوي والبلاغي للقرآن الكريم في التعبير عن مشاهد الجنة القرآنية .

ونتيجة لهذا الاختيار فقد جاء البحث مقسما أربعة فصول ، حاول البحث أن يجمع شتات الموضوع في بوتقة واحدة .

ويرى الباحث أن الموضوع المطروق جديد في الدرس اللغوي من حيث إنه يكشف بالدرجة الأولى عن المقاربات الأسلوبية ، والإبداعات اللفظية في نصوص الجنة ، كما أن المعلومات التي قدمها الباحث تعدّ جديدة في بعضها ، ومرتبة في بعضها الآخر لا سيما أن معظم التفاسير قد ركزت على المعاني المباشرة للآيات التي تصف الجنة عدا قليل منها ، وهذا القليل اكتفى بالمعاني الجزئية ولم يحط بالموضوع من جميع أطرافه ، فجاءت مهمة البحث لجمع المتفرق ، وتكميل الناقص ، وتفصيل المجمل ، وترتيب المختلط .

وبناء على ما سبق جمع الباحث الآيات التي تصف الجنة في القرآن ، وقام بتوزيعها حسب مخطط يتماشى وموضوعات الدراسة اللغوية حيث درس التشكيل الصوتي في النصوص ، وعالج مجمل الظواهر الأسلوبية فيها ، كما حاول البحث أن يتجه للألفاظ التي استعملها القرآن في بيان مشاهد الجنة .

ورأى الباحث أن يكمل دراسته هذه خارجيا بمعنى أن يتلمس وصف الجنة في إبداعات الكتّاب والشعراء عن طريق اختيار نماذج متفرقة ، ومدى اتفاق هذه الإبداعات واختلافها عن الجنة القرآنية .

وقد خرج الباحث - بناء على ما سبق - بنتائج يُعتقد أنها جديدة تمس أعماق الموضوع على المستويات المدروسة كافة ، ويمكن إجمال النتائج بالقول :

إن القرآن الكريم حشد كل الطاقات اللغوية للتعبير عن مشاهد الجنة في القرآن من حيث وصفها الداخلي ، وبيان مدى التكريم الذي يحظى به أهل الجنة فيها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Abstract

This research investigates various features of the verses of the holy koran on the Paradise . Indeed , it aims at finding out the linguistic deviations of the holy koran of the language expressing many views and scenes of the Paradise and also their own significance .

The koranic verses of the paradise cover a wide range in the holy koran as a mark of the divine secret (supernatural) .

Also the persuasion invites to achieve the awakening of a devise and the motivation ,including simulation ..... . It also explores typical interpretations of the occupants of the Paradise .By this way ,the holy koran proves its prodigy ,as aside with intellectual and aethetical factors .

In this investigation ,there is a comparison among the method of the holy koran and the publisher ,the authors and production of poets ,concerning the views of the Paradise in the holy koran .Actually ,the koranic method echoed well on their productions .

The result of this investigation ,as follows :-

1. The holy koran function of the language to serve and express the views of the Paradise well .
2. The purposes of glorification and multiplication , in the koranic verses on the Paradise ,are much risen wiper than the other purposes of rhetoric .
3. The hormony and rhythm seem nice in offering the koranic verses on the Paradise it indeed addresses the heart.
4. This research is not complete and needs to other studies .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس الآيات القرآنية

الرقم	اسم ا لسورة	رقم الآية	الصفحات
١-	البقرة	٢٥	٣،٧٠،١٠٢،
		٨٢	٧٢، ٩٩
		٢٦٦	١٢٣
		١٨٦	١٣٠
		١٨٧	١٥٢
		٦٩	٢١٧
		٣٥	٢١٩
٢-	ال عمران	١٣٤	١٢، ٢١٧
		١٣٣-١٣٦	١٣
		١٩٥	١٥،٣٤،٦٦،٨٠ ١١٨، ٢٠٨
		١٥	٣٢، ١٤٤
		١٨٥	٤٤،٢١٥
		١٩٨	٦٥
		١٣٦	٧٣، ١٢٧
		١٣٣	٨٢،٩٦،١٥٥
		١٤	١٤٥
		١٠٧	٢١٢
٣-	النساء	٦٩	٩
		١٣	١٣،٦٨،٧١
		٥٧	٦٧، ١١٧
		١٢٢	١١٤،١٤٤
		٣	١٥٢
		٧٣	٢١٥
٤-	المائدة	١١٩	٦٢ ، ٣٥
		١٢	١١٨
		٦	١٨٤

الرقم	اسم السورة	رقم الآية	الصفحات
٥-	الأنعام	١٢٧	٩٠
٦-	الأعراف	٣٧	١
		٤٢	٥٩
		٤٣	١٧٣،٦٤
		٤٤	١٤٠، ١٧٢،٨٤
		٣١	١٥٢
		٥٠	١٥٨، ١٧٢
		٤٦	١٧٢
		٤٨	١٧٢
٧-	الأنفال	٢-٤	١٤
٨-	التوبة	٧٢	٤،٥٥،١٠٢،٢١٨
		٢١	٥٥
		١٠٠	٨٦
		١١١	١٤٣
		٨٩	٢١٣
٩-	يونس	٢٦	٦،٣٦،٥٥،٦٥ ، ٩١، ٩٢،٢١١
		٢٥	٢٤، ٩٨ ،٨٤
		١٠	٢١٢
١٠-	هود	١٠٨	٣٢،٢١٢،٢١٧ ٢١٨
		٢٣	٣٦
		١٠٥	٩٦
١١-	يوسف	٨١	١
		١٠٣	٩٦
		٢	١٩٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرقم	اسم ا لسورة	رقم الاية	الصفحات	الرقم	اسم السورة	رقم الاية	الصفحات
١٢	الرعد	٢٤	٨٣،٥٤		مريم	٨٥-٨٦	١٦٢
		٢٣	٨٣،٦٨	١٩-	طه	٦٤	٢١٥
		٣٥	٦٩،٧٦،٨١،٩٩، ٢١٢	٢٠-	الأنبياء	١٠١	٥٨،٦٧، ١٠٠
		٢٩	١٩٨			١٠٢	٥٨
		٩	٢١٤			٩٨	٥٨
١٣	إبراهيم	٢٢	٣٤	٢١-	الحج	٢٨	١
		٢٣	٧٧			١٤	٣٢،٦٥،٩٨،١١٦
		٤	١٩١			٢٣	١٠٦، ١٠٧
		٤٥	٢١٩	٢٢-	المؤمنون	١٠	٧٢
١٤-	الحجر	٤٧	٥٦، ١٠			١١	١٩٩، ٧٢
		٤٤	٨٧			١٠٢	٢١٥
		٤٨	١١٧			١	٢١٥
١٥-	النحل	٣١	٦٤، ١٣٢			٢	٢١٥
		٣٠	١٣٢، ١٤٦			١٩	١٣٥
١٦-	الإسراء	٧٨	١	٢٣-	الفرقان	٦٣	١٤
١٧-	الكهف	٣١	٤،٣٩،٤٤،٧٨،٨٣، ٩٧،١٠٦،١٢٧،٣٦ ٦٢،١٩٥،١٩٨			٦٤	١٤
		٣٠	٣٦،٦٢،٢١١			٧٥	١٤،٦٩،٧٧،٢١٢
		١٠٨	١٠٩			٧٦	١٤
		١٠٧	١٢٧، ١٩٩			٦٣-٧٥	٦١
١٨-	مريم	٩٦	٩،٥٤، ١١٧			٢٤	٩٨
		٦١	٣٥،١١٥			١٥	١٤٢
		٦٣	٦٢، ٧١	٢٤-	الشعراء	٥٧	٢٠٩
		٦٠	١٠٩	٢٥-	العنكبوت	٥٨	١١٨،١١٩
						٩	٨٦
		٢٦	١٥٢	٢٦-	الروم	١٥	٩٨،١٠٧،١٨٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرقم	اسم ا لسورة	رقم الآية	الصفحات	الرقم	اسم السورة	رقم الآية	الصفحات
٢٧-	السجدة	١٧	٢٠٩،٦٧،٥٦	٣٣-	ص	٤٩-٥٣	٢٤، ٢٩
٢٨-	الأحزاب	٣٥	٥٧ ،١٥			٥٠	١٣١،٨١،٤٥
		٤٤	٢١١ ،٥٤			٥٠-٥٣	٦٣
		٣٧	١٨٦			٤٩	١٣١،٩٢،٨١
		٤٧	٢١٠			٥٢-٥٣	٨٣
٢٩-	سبأ	٣٧	٦٩			٥١	١٢٨ ،٨٦
		٢٣	٢١٥			٥٤	١١٧
٣٠-	فاطر	٣٤	٧٠			٥٢	١٧٨ ،١٢٨
		٣٥	٢١٦،٧٥،٧٣،٥٥ ٢١٨			٤٩-٥٨	١٦٣
		٣٤-٣٥	٦٦،٥٧،٤٧،١٠	٣٤-	الزمر	٧٤	١
٣١-	يس	٥٨	٨			٢٠	٣٥،٤
		٥٧	٦٧			٧٣	٨٧ ،٩
		٥٥	٩٣			٧١	٨٧
٣٢-	الصافات	٤٨-٤٩	٥			٧٤	٢٠٨ ،١٠٥
		٤٠-٤٤	٢٤	٣٥-	غافر	٣٩	٥٩
		٤٧	٩٢،٤٢			٧-٩	١٥٤
		٦٠-٦١	٦٣	٣٦-	فصلت	٢٦	١٨
		٤٨	٩٢			٣	٢٢
		٤١	١٣١			٣٠	١٥٣
		٤٢	١٣١			٣٣	٢١١
		٤٥-٤٧	١٣٤	٣٧-	الشورى	٢٢	٥٩
		٥٠-٥٣	١٣٩			٧	٧٠
		٥٨	١٤٠			٥٠	١٨٦
		٥٩	١٤٠	٣٨-	الزخرف	١٩	١
		٥٠-٥٧	١٦٩			٧٢-٧٣	٢٩، ١٣٥
		٤٩	١٨٤			٧١	٩١،٧٠،٦٠،٥٧ ١٠٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرقم	اسم ا لسورة	رقم الآية	الصفحات	الرقم	اسم السورة	رقم الآية	الصفحات
٣٨-	الزخرف	٧١	١٢٨،١٣٢،١٩٣، ٢٠٩		ق	٣٤	٦٢، ١٣٣
		٦٧	٦٩			٣٣	٦٦
		٧٠	٦٠،١٠٧،١٣٢، ١٨٠	٤٤-	الذاريات	١٥	٦٧،٢٠٩
		٧٢	٧١			١٦	٦٧
		٦٧-٧٣	١٦٠			١٨	٩٣
				٤٥-	الطور	٢٢	٥
٣٩-	الدخان	٥٣	٦٤،٨٣، ١٠٦			٢١	٩، ٥٤،٢٢١
		٥٤	٦٤،١٨٦			١٩	١١،٨٣،١٣٣
		٥١-٥٢	١٣١			١٧-٢٢	٢٠
		٥١-٥٥	٢٣			٢٦-٢٨	٣٢
		٥١-٥٦	١٣٥			٢٣	٤٢
		٥١-٥٧	١٥٩			٢٧	٤٥
٤٠-	الأحقاف	١٦	٣٤			١٨	٧٥،١٣٣
		١٣	١٣٠			٢٥-٢٦	٨٨
		١٤	١٣٠			٢٨	١١٥
٤١-	محمد	١٦	٤			٢٥-٢٨	١٦٨
		١٥	٦٩،٨١،١٢٢			٢٤	٢٢٠
		٦	٧١				
		١٢	٧٧	٤٦-	النجم	١٣-١٥	٩٤
		١١	٧٧			٢٢	١٧٧
٤٢-	الفتح	٥	٩٦	٤٧-	القمر	٥٤-٥٥	١١،٤٠،١٣٢، ٢٣٥
٤٣-	ق	٣١-٣٥	٢٥	٤٨-	الرحمن	٥٢	٥،٥٧،٩٢،٩٥
		٣١	٣٠،٧٩،٨٢			٧٠-٧٢	٣٠
		٣٢	٣٠،٧٩،٨٢،٦٦			٦٦	٤٣
		٣١-٣٤	٤١،١٧٣			٧٢	٤٩،١٣٤
		٣٥	٤٨،٦٧، ١٣٣			٤٦	٥٧،٦٨،٩٤،١٢٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرقم	اسم ا لسورة	رقم الآية	الصفحات	رقم	اسم السورة	رقم الآية	الصفحات
	يتبع الرحمن	٥٠	٥٧، ١٠٤		يتبع الواقعة	٢٧-٢٨	١٤٧،٨٠
		٥٦	١١٠،٨٥،٧٣			٢٧-٣٤	١٢٨
		٧٠	١٣٤،٨٥			٨-٩	١٤٨
		٥٤	٢٠٤،٨٨			١٧	٢٢٠،١٩٢،١٦٣، ٢٣٥
		٧٤	١٣٤،٩٦			٣٧	١٧٨
		٦٢	١٢٢			٨٨-٨٩	١٨١
		٦٨	١٢٩			١٨	٢٣٥،٢٢٠،١٩٢
		٤٧	١٣٨	٥٠-	الحديد	١٢	٩، ١١١،١٥٤
		٦٠	١٣٨، ٢١٠			٢١	١٥٦،٨٨،٨٢،٥٣
		١٢	١٨١			١٢-١٥	١٧١
		٧٦	١٨٣			١٣	١٧٣
		٢٢	٢٠٢	٥١-	المجادلة	٢٢	٥٨
		٥٦-٥٨	٢٠٢	٥٢-	الحشر	٢٠	٢١٥،٧٢،٥٨،٣٤
		٥٨	٢٠٣	٥٣-	الصف	١٣	١٢
٤٩-	الواقعة	٣٥-٣٧	٦			١٠	١٤٥
		٢٨-٤٠	٢٠			١١	١٤٦
		٢٨-٣٠	٢٨			١٢	٢٢٩،١٤٦
		٣٣	٢٨	٥٤-	الطلاق	١١	١١٨
		٢٠-٢١	٢٩	٥٥-	التحريم	٨	٢٢٤،١٥٥،١١١
		٣٠-٣١	٣٠			١١	١٥٤
		٣٥-٣٦	١١٣ ،٣٠	٥٦-	الملك	٧-٨	١٦٦
		١٩	١٨٥،٨٠،٤٥				
		٢٥-٢٦	١٦٨،١١٣،٥٤ ٢١١،١٠٩	٥٧-	الحاقة	٢١-٢٤	٢٨، ٦٠
		١٠	١١٢،٧٠،٦٢			٢١	٨٦
		١١	١١٢،٦٢			١٩	١٥٧
		١٣-١٤	٧٠			١٨-٢٩	١٦٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرقم	اسم ا لسورة	رقم الآية	الصفحات
٥٨-	المعارج	٢٩-٣٥	١٤
		٢٢-٣٥	٦١
		٣٥	١٠٠
		٣٨	١٣٩
٥٩-	المدثر	٣٩-٤٢	٦٠، ١٤١
		٣٩-٤٠	١٣٤
		٣٨-٤٨	١٧٠
٦٠-	القيامة	٢٢	٦
		٢٢-٢٣	٥٣، ٩٠
٦١-	الإنسان	١٣	٤،١٢٧، ١٩٧
		٥	٥،٢٥،٤٠،٨٤، ١١٦، ٢٠٠
		٦	٢٥،٧٩،٨٦،١١٣ ٤٠،٢٠٠
		١٤	٢٥،٧٩،٨٦،١١٣
		١٧	٢٥،١٩٦،٥
		١٨	٢٥،٢٠٤،٥،٤١
		٢٢	٢٥،٦٠،٦٣
		١١	٢٨،٤٥،١٢٩، ٢١٧
		١٢	٢٨، ٥٤، ١٢٩
		٢٠	٣٠،٦٣،٨٤
		٢١	٣٠،٣٩،٦٠،٦٣، ١٠٦
		١٥	٧٨
		١٩	٧٨،١٠٢،١٠٥، ٢٢٠،٢٢٣

الرقم	اسم السورة	رقم الآية	الصفحات
	يتبع الإنسان	٦-٧	٤٧
		١٦	٧٩،١١٤
		٤	١١٦
		١٠-١١	١٣٠
		٥-٧	١٣٣،١٦٦
٦٢-	النبأ	٣٢	٢٩
		٣٣	٢٩، ١٧٩
		٢٦	٣٣
		٣٦	٣٣، ٢١١
		٣١-٣٢	١٢٩،١٣١
		١-٢	١٤٥
		٣٤	١٨٠
		٣١-٣٣	١٨٤
٦٣-	النازعات	٤٠-٤١	٥٩
٦٤-	عبس	٣٨-٣٩	٣٠
٦٥-	المطففين	٢٥-٢٧	٥
		٢٩-٣١	١٠
		٣٤-٣٥	١٠
		٢٤	٢٩، ١١٠
		٢٥	٢٩،٧٨،٩٢،١٣٢ ١٥٦،٢٠٢،٢١٢ ٢٣٣
		٢٦	٦٩،٩٢،١٣٢، ١٥٦، ٢٠٢، ٢١٢، ٢٣٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرقم	اسم ا لسورة	رقم الآية	الصفحات	الرقم	اسم السورة	رقم الآية	الصفحات
٦٥-	يتبع المطففين	١٨-٢٠	١٤٧،٨٠				
		٢٢	٩٥				
		٢٣	٢٠٤،٩٥				
		١٨	١١٦				
		٧	١٤٨،١١٦				
		٢٢-٢٥	١٣٥				
		٨	١٤٨				
٦٦-	الانشقاق	٧-٩	٢١٧				
		٩	٢١٧				
		١٢-١٤	٢١٧				
٦٧-	البروج	١١	٢١٣				
٦٨-	الغاشية	١٣-١٦	٤				
		٨-١٤	٢٧				
		١٥	٣٠				
		١٦	١٩٧،١٨٢،٣٠				
		٥	٧٩				
		٨-١٠	٩٥				
		١١	١١٠				
		١٢-١٦	١٣٠				
		١-١٦	١٦٥				
٦٩-	الفجر	٢٧-٣٠	٧٣				
٧٠-	البلد	١٦	١٧٩				
٧١-	البينة	٨	٢٠٤،١٠٢،٣٣،٨				

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائمة المصادر

* القـــرآن الكريـــم

- ابن أبي ربيعة ، عمر، الديوان ، تقديم فوزي عطوي ، بيروت ، الشـركة اللبنانيـة للكتاب ، د. ت .

- ابن أبي سلمى ، زهير ، الديوان ، شرح وتقديم علي حسن فـاعور ، بـيروت دار الكتب العلمية ، (١٩٨٨م) .

- ابن أبـي طالب ، علي ، الديوان ، جمع عبد العزيز الكرم ، دمشق ، دار كرم ، د . ت .

- ابن الأثير ، ضياء الدين ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تح أحمد الحوفي و بدوي طبانة ، مصر ، مطبعة الرسالة ، (١٩٦٢م) .

- ابن الأحنف ، العباس، الديوان ،شرح أنطوان نعيّم ، بيروت ، دار الجيل (١٩٩٥م)

- ابن بنين النحوي ، سليمان ، اتفاق المباني وافتراق المعاني ، تحقيق يحيـى جـبر عمان ، دار عمار للنشر والتوزيع ، (١٩٨٥م) .

- ابن ثابت الأنصاري ، حسان ، الديوان ، شرح وتصحيح محمد عـزت نصـر الله بيروت، دار إحياء التراث العربي ، د . ت .

- ابن الجزري ، أبو الخير محمد الدمشقي ، النشر في القراءات العشـر ، تصحيـح ومراجعة علي محمد الضباع ،بيروت ، دار الكتب العلمية ، د . ت .

- ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، الخصائص ، ط ٢ ، تحقيق محمـد علـي النجـار ، بيروت ، دار الهدى للطباعة والنشر ، د . ت .

- ابن رشيق القيرواني ، أبو علي الحسن ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تح محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط ٢ ، مصر مطبعة السعادة (١٩٦٤م)

- ابن الزبير الثقفي العاصمي ، أحمد بن إبراهيم ، ملاك التأويل ، تحقيق سعيد الفـلاح بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، (١٩٨٣م) .

- ابن طباطبا ، محمد بن أحمد ، عيار الشعر ، تح وتعليق طه الحاجزي ، ومحمـد زغلول سلام ، مصر ، شركة فن للطباعة ، (١٩٥٦م).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- – ابن عباس ، عبد الله ، كتاب اللغات في القرآن ، برواية ابن حسنون المقـــرىء بإسناده إلى ابن عباس ، ط ٣ ، تحقيـق ، صلاح الديـن المنجـد ، بيـــروت ، دار الكتاب الجديد ، (١٩٧٨م) .

– ابن عطية الغرناطي ،أبو محمد عبد الحق ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز تحقيق أحمد صادق الملاح ، القاهرة ،مطابع الأهرام التجارية (١٩٧٤م)

- ابن عقيل ، بهاء الدين عبد الله ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مـــالك ، بـيروت ودمشق ، دار الخير (١٩٩٠م) .

- ابن فارس أبو الحسين ، أحمد بن زكريا

* معجم مقاييس اللغة ، ط ٣ ، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هـــارون ، مصـر ، شركة مطبعة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ،(١٩٦٩م - ١٩٧٢م) .

* الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، تحقيق مصطفى الشويمي ،بـيروت مؤسسة أ ، بدران للطباعة والنشر ، (١٩٨٤م).

– ابن الفارض ، عمر ، الديوان، شرح عبد الخالق محمود، مصر ، عين للدراســات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، د . ت .

- ابن القيم الجوزية ، شمس الدين محمد بن أبي بكر

* الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د . ت

* حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، تح عبد اللطيف آل محمد الفواعير ، عمـان ، دار الفكر (١٩٨٧م).

–ابن مجاهد ، أبو بكر أحمد بن موسى ، كتاب السبعة في القراءات ، تح شوقي ضيف مصر ، دار المعارف ، د . ت .

– ابن منظور الافريقي ، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، ط ٣ بيروت ، دار صادر ، (١٩٩٤م) .

– ابن منقذ ، أسامة ، البديع في البديع في نقد الشعر ، تحقيق عبـــد.آ. علـــي مـــهنا ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، (١٩٨٧م) .

- ابن هشام الأنصاري ، جمال الدين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

* شرح شذور في معرفة كلام العرب ، علق عليه ، وشرح شواهده عبد الغني الدقـر ، دمشق ، الشركة المتحدة للتوزيع (١٩٨٤).

*مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تح محمد محي الدين عبد الحميد ،بـــيروت ، دار الكتاب العربي ، د . ت .

- ابن الورد ، عروة ، الديوان ، ط ٢ ، شرح ابن السكّيت ، قدم له ووضع هوامشه راجي الأسمر ،بيروت ، دار الكتاب العربي ، (١٩٩٧م) .

- أبو السعود،محمد بن محمد العمادي ،تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي،د . ت

- أبو العتاهية ، إسماعيل بن القاسم ، الديوان ، بيروت، دار التراث ، (١٩٦٩م)

- آدي شير ، الألفاظ الفارسية المعربة ، طهران ، ، طبعة مصورة ،(١٩٦٥م)

- الإسكافي ، الخطيب ، درة التنزيل وغرة التأويل برواية ابن أبي فرج الأردســتاني ، ط ٣ ، بيروت ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، (١٩٧٩م) .

- الأصبهاني ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله ، صفة الجنة ، ط ٢ ، دراسة وتحقيق علـــي رضا ، دمشق ، دار المأمون للتراث ، (١٩٩٥م) .

- الأصفهاني ، الراغب ، مفردات ألفاظ القرآن ، تح صفوان داودي ، دمشق، دار القلم وبيروت، الدار الشامية (١٩٩٢م) .

- الأعشى ، ميمون بن قيس ، الديوان ، تحقيق فوزي عطوي ، بـــيروت ، الشـــركة اللبنانية للكتاب ، د . ت .

- الألوسي ، أبو الفضل شهاب الدين السيد ، روح المعاني في تفسير القــرآن العظيـــم والسبع المثاني ، بيروت ،دار إحياء التراث العربي ، د . ت .

- الأندلسي ، أبو حيان ،أثير الدين ،تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، ط٢ تـــح سمير طه المجذوب ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، (١٩٨٨م) .

- الأندلسي ، أبو حيان محمد بن يوسف ، تفسير البحر المحيط ، تح الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، (١٩٩٣م)

* أنيس ، ابراهيم ، والابياري ،وآخرون ،المعجم الوسيط ، صادر عن مجمع اللغـــة العربية المصري ، ط ٢ ، بيروت ، دار إحياء الثرات العربي ، د.ت .

- الباقلاني، القاضي أبو بكر ، إعجاز القرآن ،بيروت ، دار ومكتبة الهلال (١٩٩٣م)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- البكري ، أبو عبيد ، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ، تحقيق وتقديم ، إحسان عباس ،وعبد المجيد عابدين ، لبنان ، دار الأمانة ، ومؤسسة الرسالة ، (١٩٨١م) .
- الثعالبي ، أبو منصور ، فقه اللغة وسر العربية ،ط ٣، تحقيق وترتيب مصطفى السقا ابراهيم الأنباري ، وعبد الحفيظ شلبي ، مصر ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده (١٩٧٢م) .
- الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ،تصحيح الشيخ محمد عبده بيروت ، دار الكتب العلمية ، د . ت.
- الجواليقي ، أبو منصور موهوب بن أحمد بن الخضر ، المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، تح ف . عبد الرحيم ، دمشق ، دار القلم ، (١٩٩٠م) .
- الخفاجي، شهاب الدين ، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، تصحيح نصر الهويدي ومصطفى أفندي وهبي ، المطبعة الأميرية ، (١٢٨٢هـ).
- الرماني والخطابي والجرجاني ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ط ٤ ، تح محمد خلف الله أحمد و محمد زغلول سلام ، مصر ،دار المعارف د . ت .
- الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن ، خرجه وقدم له، وعلق عليه مصطفى عبد القادر عطا ، بيروت ، دار الفكر (١٩٨٨م)ع
- الزمخشري ، أبو القاسم جار الله ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر، د . ت .
- السكاكي ، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد ، مفتاح العلوم ، القاهرة ، مطبعة مصطفة البابي الحلبي وأولاده ، (١٩٣٧م) .
- السمين الحلبي ، أحمد بن يوسف ، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، تح ، محمد باسل عيون السود، بيروت ، دار الكتب العلمية ، (١٩٩٦م) .
- سيبويه ، أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر ،الكتاب، تح عبد السلام هارون ، بيروت ، دار الكتب العلمية ،(١٩٨٢م - ١٩٨٨م) .
- السيوطي ، أبو الفضل جلال الدين
* الإتقان في علوم القرآن ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د . ت .
* المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، شرح وتعليق محمد أحمد جاد المولى وآخرون ، مصر ،دار إحياء الكتب العربية ، د . ت .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الشعراوي ، محمد متولي ، المنتخب من تفسير القرآن الكريم ، بيروت ، دار العودة (١٩٨١م) .
- العامري ، لبيد بن ربيعة ، الديوان ، بيروت ، دار صادر ، (١٩٦٦م) .
- العسكري ، أبو هلال ،ا لفروق اللغوية ،تحقيق حسام الدين القدسي ، بيروت دار الكتب العلمية (١٩٨١م) .
- العلوي ، يحيى بن حمزة ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز بيروت ، دار الكتب العلمية ، (١٩٨٠م) .
- الفخر الرازي ، التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب ، بيروت ، دار الكتب العلمية (١٩٩٠م) .
- الفراء ، أبو زكريا يحيى بن زياد ، معاني القرآن ، تح على النجار ، دار السرور ، لبنان .
- الفيروز آبادي ، أبو طاهر محمد بن يعقوب ، تنوير المقياس من تفسير ابن عباس ، راجعها لجنة من العلماء ،بيروت ، د . ت .
- الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، ط ٢ ، تح مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بيروت،مؤسسة الرسالة (١٩٨٧م)
- القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن ، القاهرة ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر (١٩٦٧م) .
- القزويني ، جلال الدين ، شرح التلخيص في علوم ا لبلاغة ، شرحه وخرج شواهده محمد هاشم دويدري ، دمشق ،منشورات دار الحكمة (١٩٧٠م) .
- القزويني ،الخطيب ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ط ٣ ، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني (١٩٧١م) .
- القيس،امرؤ القيس ، الديوان ،بيروت ، دار بيروت ، ودار صادر ، (١٩٥٨م)
- القيسي ، مكي بن أبي طالب ، العمدة في غريب القرآن ، تحقيق يوسف المرعشلي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، د . ت .
- كحالة ، عمر رضا ، معجم المؤلفين ، مكتب تحقيق التراث ،مؤسسة الرسالة ، (١٩٩٣م) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الكرماني ، محمود بن حمزة ،أسرار التكرار في القرآن، ط ٣ ، تح عبد القادر عطا ، القاهرة ، دار الاعتصام (١٩٧٨م)
- مسلم ، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ط ٣ ، بيروت ، دار الفكر (١٩٧٨م) .
- المصري ، ابن أبي الأصبع ، بديع القرآن ، تحقيق حنفي محمد شرف ، القاهرة ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة (١٩٥٧م) .
-المصري ، عبد الرؤوف ، معجم القرآن ، ط ٢، القاهرة ، مطبعة حجازي (١٩٤٨م)
-الهمداني ، حسين بن أبي العز ، الفريد في إعراب القرآن ، تح فؤاد مخيمر ، الدوحة دار الثقافة ، د . ت .

قائمة المراجع

- أبو عودة ، عودة خليل ، التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن ، الأردن مكتبة المنار ، (١٩٨٥م) .
- أبو موسى ،محمد ، خصائص التراكيب ، ط ٢ ، دار التضامن للطباعة ، (١٩٨٠م)
- أنيس ، إبراهيم
* الأصوات اللغوية ، ط ٧ ، مصر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، (١٩٧٩م) .
* دلالة الألفاظ ، ط ٣ ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، (١٩٧٦م) .
* من أسرار اللغة ، ط ٧ ، مكتبة الأنجلو المصرية، (١٩٩٤م)
* موسيقى الشعر ، ط ٦ ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية (١٩٨٨م) .
- إيجري ،لايوس ، فن كتابة المسرحية ، ترجمة ، دريني خشبة ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، د. ت.
- بدوي، أحمد ، من بلاغة القرآن ، ط ، مصر ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة د . ت
- بربري ، محمد أحمد ، الأسلوبية والتقاليد الشعرية - دراسة في شعر الهذليين - مصر ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، (١٩٩٥م) .
- بشر ، كمال ، علم اللغة العام ،القسم الثاني - الأصوات - ط ٢ ، القاهرة، دار المعارف ،(١٩٧١م) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- البطمان ، سويس ، العلاقات الدلالية في ضوء السياق ، دمشق ، جامعة حلب ، رسالة دكتوراه ، (١٩٩٥م) .
- البقري ، أحمد ماهر ، أساليب النفي في القرآن ، الإسكندرية ،المكتب العربي للطباعة والنشر ، (١٩٨٩م) .
- بنت الشاطئ ، عائشة عبد الرحمن
* الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، (١٩٧١م) .
* رسالة الغفران ،تحقيق ودرس ، مصر ، دار المعارف ، د . ت .
- التنوجي ، محمد ، المجموعة الفارسية ، ط ٣، بيروت ، دار الفكر (١٩٦٩م)
- جبر ، يحيى عبد الرؤوف
* نحو دراسات وأبعاد لغوية جديدة ، نابلس ، لا مط
* ألفاظ البيئة الطبيعية في القرآن الكريم ، نابلس ، منشورات جامعة النجاح الوطنية ، د . ت .
جيرو ، بيير ، الأسلوبية ، ط ٢ ، ترجمة منذر عياشي ، مركز النماء الحضاري ، (١٩٩٤م) .
-حسان ، تمام ، اللغة العربية معناها ومبناها ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٧٣م) .
-حسن ، عباس ، النحو الوافي ، مصر ، دار المعارف ، د . ت .
- الحسناوي ، محمد ،الفاصلة في القرآن ، ط ٢ ،عمان ، دار عمار ، (١٩٨٦م)
-حميدة ، مصطفى ، نظام الارتباط والربط في الجملة العربية ،القاهرة ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، (١٩٧٧م) .
- الخالدي ، صلاح عبد الفتاح ، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ، عمان مطبعة حطين ، (١٩٨٣م) .
- الخولي ، أمين ، مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب ، مصر، دار المعرفة ، (١٩٦١م) .
- دراز ، محمد عبد الله ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

*دستور الأخلاق في القرآن ، تعريب وتحقيق عبد الصبور شاهين ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، والكويت،دار البحوث العلمية ، (١٩٧٣م)

* النبأ العظيم - نظرات جديدة في القرآن - ، مصر ، مطبعة السعادة ، (١٩٦٠م) .

- الرافعي ، مصطفى صادق ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ط ٣ ، القاهرة ، لا مط .

- زيدان ، جرجي ، اللغة العربية كائن حي ، مراجعة مراد كامل ، بيروت ، دار الهلال ، د . ت .

- سلطان، منير، البديع تأصيل وتجديد ، الإسكندرية ، منشأة المعارف ،(١٩٨٦م)

- سلّوم ، تامر ، نظرية اللغة والجمال في النقد الأدبي ، سورية ، دار الحوار ، (١٩٨٣م) .

- السيد ، عز الدين علي ، التكرير بين المثير والتأثير ، القاهرة ، دار الطباعة المحمدية ، (١٩٧٨م) .

- الشرقاوي ، عفت ، بلاغة العطف في القرآن الكريم - دراسة أسلوبية - بيروت دار النهضة العربية ، (١٩٨١م) .

- شيخون ، محمود السيد ، أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن الكريم ، القاهرة مكتبة الكليات الأزهرية ، (١٩٨٣م) .

- طبانة ، بدوي ، معجم البلاغة العربية ، ط ٣ ، جدة ، دار المنارة ، والرياض دار الرفاعي ، (١٩٨٨م) .

- الظواهري ، كاظم ، بدائع الإضمار القصصي في القرآن ،دار الهداية ، ودار الصابوني ، (١٩٩١م) .

- عباس، فضل

* إعجاز القرآن الكريم ، الأردن ، دار الفرقان (١٩٩١م).

* المفردات القرآنية مظهر من مظاهر الإعجاز ، عمان ، الجامعة الأردنية ، مخطوط

- عبد الحق ، فاضل ، مغامرات لغوية ، بيروت ، دار العلم للملايين ، د . ت

- عبد المطلب ، محمد ، البلاغة والأسلوبية ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٨٤م) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- العثمان ، عبد الكريم ، الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجـــه خـــاص ، مصر ، مكتبة وهبة ، (١٩٦٣م) .

-عدمان ، عزيز ، سورة الفرقان - دراسة أسلوبية - الجزائر ، جامعة الجزائر ، رسالة ماجستير مخطوطة ، (١٩٩٥م) .

- الغلاييني ، مصطفى ، جامع الدروس العربية ، ط ١٢ ،بيروت ، المطبعة العصريـة (١٩٧٣م) .

- فودة ، عبد العليم السيد ، أساليب الاستفهام في القرآن ، القاهرة ، دار الشـعب ، د . ت .

- قطب ، سيد

* التصوير الفني في القرآن ، ط ٤ ، بيروت ، دار الشروق (١٩٧٨م)

* مشاهد القيامة في القرآن ، مصر ، دار المعارف ، د. ت .

* في ظلال القرآن ، ط ٩ ، بيروت ، دار الشروق ، (١٩٨٠م)

- قطب ، محمد ، دراسات قرآنية ، ط ٢ ، بيروت ، دار الشروق ، (١٩٨٠م) .

- قنيبي ، حامد صادق

* المشاهد في القرآن الكريم - دراسة تحليلية وصفية - ، الأردن ، مكتبة المنـــار ، (١٩٨٤م) .

*دراسات في تأصيل المعربات والمصطلـــح ، (من خلال دراسة تحقيـــق وتعريـــب الكلمة الأعجمية لابن كمال باشا) ، عمان ، دار عمار ، بيروت دار الجيل ، (١٩٩١م)

- لاشين ، عبد الفتاح ، البديع في ضوء أساليب القرآن ، ا لقـــاهرة ، دار المعـــارف (١٩٧٩م) .

- محمد ، إبراهيم عبد الرحمن ، الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية ، بيروت دار النهضة العربية ، (١٩٨٠م) .

- محيسن ، محمد سالم ، الكشف عن أحكام الوقف والوصل في العربية ، بيروت دار الجيل ، (١٩٩٢م) .

- مطلوب،أحمد ،أساليب بلاغية ، الكويـــت ، وكالـــة المطبـــوعات (١٩٨٠م)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- مفتاح ، محمد ، تحليل الخطاب الشعري - استراتيجية التناص - ط ٣ ، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ، (١٩٩٢م) .
- ملحس ، محمد سعيد ، أحكام تجويد القرآن ، ط ١٥، نابلس ، مطبعة عبد الرحمن حجاوي وأولاده ، (١٩٩٣م) .
- المنجد ، محمد نور الدين ، الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق ، دمشق ، دار الفكر ، (١٩٩٧م) .
- موسى ، إبراهيم نمر ، حداثة الخطاب وحداثة السؤال ، بير زيت ، مركز القدس للتصميم والنشر والكمبيوتر ،(١٩٩٥م) .
- نحلة ، محمد أحمد ، لغة القرآن الكريم في جزء عم ، بيروت ، دار النهضة العربية (١٩٨١م) .
- النعيم ، علي عبد الله ، الأحاديث القدسية - دراسة في البنية اللغوية والنظم الأسلوبي- الأردن ، الجامعة الأردنية ، رسالة دكتوراه ، (١٩٩٤م) .
- النوري ، محمد جواد
* علم أصوات العربية ،نابلس ، منشورات جامعة القدس المفتوحة ، (١٩٩٧م) .
* فصول في علم الأصوات ، نابلس ، مطبعة النصر التجارية ، (١٩٩١م) .
- هاف ، كراهم ، الأسلوب والأسلوبية ، ترجمة ، كاظم سعد الدين ، العراق ، دار الآفاق العربية ، (١٩٨٥م) .
- وافي ، علي عبد الواحد ، فقه اللغة ، ط ٤ ، القاهرة ، مطبعة لجنة البيان العربي ، (١٩٥٦م) .
- اليسوعي ، روفائيل نخلة ، غرائب اللغة العربية ، ط ٢ ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية د . ت .

الدوريات

- بوطيب ، عبد العالي ،" **إشكالية الزمن في النص السردي** " ، فصول ،المجلد الثاني عشر ، العدد الثاني ، صيف (١٩٩٣م) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- حسنين ، علي فؤاد ،" **الدخيل في اللغة العربية** "، مجلـــة كليـــة الآداب ،المجلـــدات العاشر والحادي عشـــر والثانـــي عشر ، مصـــر ، مطبعـــة جامعة فـــؤاد الأول ، (١٩٤٨-١٩٥٠م) .

- حماسة ، محمد عبد اللطيف ، " **منهج في التحليل النصـــي** " ، فصـــول ، المجلـــد الخامس عشر ، العدد الثاني ، (١٩٩٦م) .

- فضل ،صلاح ، " **ظواهر أسلوبية في شعر شوقي** " ، فصول ، المجلد الأول ، العدد الرابع ، (١٩٨١م) .

الأحاديث الإذاعية

* الشعراوي ، محمد متولي ، تفسير سورة البقـــرة ، التلفـــاز الأردنـــي ، الواحـــدة وأربعون دقيقة ،(١٩٩٧/١٠/٢م).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit